آل سعود والوهابية والإرهاب
1744-2022م



د. حامد العطية

2022م

آل سعود والوهابية والإرهاب
1744-2022م

د. حامد العطية

2022م

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ويسمح بتصوير وحفظ وتوزيـع نسخ مجانية منه ولا يجوز طبعه ونشره من دون موافقة المؤلف الخطية.

فهرس المحتويات

مقدمة

كان ناصحاً أكثر منه معارضاً، ومن قبل عوناً مطيعاً لهم، لكن ذلك لم يشفع له، لأن النصح العلني محرم في عقيدتهم وخيانة لولي أمرهم. استدرجوه لسفارتهم في اسطنبول، حيث كان فريق بانتظاره، سألوه إن كان سيعود إلى بلاده، كانوا يعرفون إجابته مسبقاً، ولم يناقشوه، فهم لا يمتلكون التفويض ولا المهارات اللازمة، لذلك جلبوا معهم عدتهم. باشروا في تنفيذ المهمة الموكلة إليهم، ولم يقو على مقاومتهم. كتموا أنفاسه بكيس من النايلون، وتجاهلوا توسلاته. فارق الحياة. أحضروا منشاراً لتقطيع الجثة، وتولى المهمة طبيب، قطّع أوصاله وهو يستمع للموسيقى، ثم تخلصوا من أشلائه، وبعد ادعاء البراءة أقرّوا بالجريمة، ورموا بها المنفذين المأمورين، ونزهوا الآمر بها. في 1750م وبعد سنوات قليلة من ابرام الحلف السعودي الوهابي اغتيل حاكم مدينة العيينة النجدية عثمان بن معمر في المسجد بأمر من أمير الدرعية محمد بن سعود وحليفه محمد بن عبد الوهاب بتهمة "الخيانة" أيضاً، ما بين الاغتيالين ما ينيف على المئتين وخمسين عاماً. أسّس الاغتيال الأول لعهد من العنف السعودي الوهابي المتطرف، ودلّ الثاني على استمرار ذلك النهج لحكام السعودية.

يدور خلاف عميق حول تعريف الإرهاب، ويرجع ذلك إلى التأثيرات السياسية وتنوع غايات حكومات مختلفة من استعمال المصطلح. من دون اجماع على تعريف الإرهاب تتباين الآراء حول من هو الإرهابي والصفات المميزة للتنظيم الإرهابي، وتستغل بعض الحكومات هذا الغموض وانعدام الاجماع لابتزاز وتشويه سمعة حكومات وأحزاب وحركات معادية أو معارضة، وهي مستعدة لشطب إرهابي أو جماعات إرهابية من هذه القوائم بشروط محددة، وبنفس السهولة التي تضيف بها جماعات أخرى لهذه القوائم لو هددت سياساتها ومصالحها. الكثير من المسلمين والعرب مقتنعون بأنهم مستهدفون بالحملة على الإرهاب، وبأن حكومات غربية وأخرى سائرة في ركابها تستغل هذا المصطلح لمحاربتهم وابتزازهم وإخضاع

حكوماتهم للحصول منها على تنازلات استراتيجية. في نفس الوقت فلا يمكن انكار نشوء حركات إرهابية في العالمين العربي والإسلامي.

لعل قواميس اللغة أقرب إلى الحياد والموضوعية في تعريفها للإرهاب، إذ يعرف أحدها الإرهاب بأنه كل ما تستعمله حكومة أو معارضة لإثارة الخوف والرعب في النفوس، ومن البديهي أن العنف الإرهابي مخالف للدساتير والقوانين .[1] كما أن القيم الإنسانية ومباديء الأخلاق ترفضه. قد تقدم مجموعة على عمل إرهابي، ويحدث ذلك استثناءً على منهجها المعتاد، بالمقابل قد يكون الإرهاب وسيلة رئيسية وثابتة لجماعة أخرى في بلوغ أهدافها. إن ثبوت صفة الإرهاب على مجموعة يتطلب اعتيادها ومداومتها على الإرهاب.

أول سمات الإرهاب استعمال واحد أو أكثر من وسائل العنف أو التهديد بها، ولا يشمل ذلك أنواعاً من العنف مثل الحروب النظامية والتحريرية والجرائم، إلا إذا استهدفت المدنيين بشكل متعمد للحصول على مكاسب في السياسة أو الميدان، وكل أشكال العنف والتهديد بها المستهدفة للمدنيين جماعات أو أفراداً هي في جوهرها إرهاب، فقذيفة المدفعية التي أطلقتها سفينة حربية لدولة استعمارية، أو هددت بإطلاقها على مدينة ساحلية لدولة أخرى أو جماعة بشرية هي إرهاب، كما أن القصف الأمريكي لمدن العراق قبيل احتلاله لخلق "الصدمة والرعب" كما صرحت بذلك الحكومة الأمريكية عمل إرهابي، والحصار الذي يؤدي إلى المجاعة وتفشي الأمراض وموت الأطفال إرهاب أيضاً، وفي المفهوم الأوسع للإرهاب تندرج الإبادة الجماعية للسكان وقتل المدنيين واغتيال وإعدام المعارضين والتمثيل بجثث القتلى وتدمير المساكن وتخريب المزارع وحرق المزروعات والتهجير وفرض الإتاوات، وتشترك جميعها في كونها فساداً في الأرض وسفكاً للدماء وقطعاً للأرزاق وبثاً للرعب والقلق في النفوس، وتعكيراً لصفو الحياة.

مقاومة المحتلين بمختلف الوسائل بما في ذلك العمليات المسلحة لا يعد إرهاباً، بل هو حق من حقوق الشعوب، ولا يكتسب الاحتلال أو وجود قواعد عسكرية لدولة أجنبية شرعية بموافقة حكومة البلد المحتل أو قبول فئة من سكانه حتى لو

---

[1] Webster's Collegiate Dictionary.

كانوا أغلبية عددية، فالفلسطينيون والعرب والمسلمون يمتلكون حقاً مطلقاً في مقاومة الاحتلال الصهيوني ورعاته وحلفائه، كما أن مقاومة العراقيين للاحتلال الأمريكي مشروعة بل ومفروضة دينياً ووطنياً وإنسانياً، وكذلك قتال اليمنيين للاحتلالين السعودي والإماراتي وإن استدعاهما جمع من مواطنيهم، لكن استهداف مدنيين في العراق لأن بعض المنتمين لطائفتهم قبلوا باحتلال بلدهم إرهاب.

يحكم كثيرون على النظام السعودي بكونه إرهابياً وراعياً للإرهاب، ويقدمون أدلة لا يكن تجاهلها على ذلك، وهي كافية على الأقل لبناء فرضية احتمال كون هذا النظام إرهابي، أي أنه اعتمد وبصورة منهجية ودؤوبة إرهاباً من نوع أو آخر لتحقيق أهدافه في السيطرة على أوسع مساحة جغرافية وأكثر تجمعات سكنية وقبائل في الجزيرة العربية وترسيخ وإدامة نظامه، ويتطلب اختبار صحة هذه الفرضية مراجعة تفصيلية لتاريخ الحكم السعودي منذ ما قبل نشوء ما يعرف بالدولة السعودية الأولى وحتى الزمن الحاضر، والبحث عن أدلة مساندة أو مبطلة لهذه الفرضية في مصادر موالين للنظام ومناصرين للعقيدة الوهابية وكذلك مناوئين للنظام والدعوة والمصادر المحايدة والموضوعية إن وجدت.

بالإضافة إلى هذه المقدمة يشتمل الكتاب على ستة فصول وخاتمة، يتركز الاهتمام في الفصل الأول على التحالف بين حاكم قرية الدرعية محمد بن سعود ورجل الدين الحنبلي السلفي محمد بن عبد الوهاب صاحب ما يعرف بدعوة التوحيد أو الوهابية، إذ وفر هذا التحالف التبرير والذريعة لبدء حملات قتالية لبسط السيطرة السعودية-الوهابية على التجمعات السكنية والقبائل في الجزيرة العربية وجوارها، واحكام السيطرة عليها بدعوى نشر الدعوة الوهابية في ظل الحكم السعودي، وأمدّ هذا التحالف البراغماتي عائلة آل سعود وعلى مدى عدة أجيال بالزخم المعنوي والسياسي لتحقيق أغراضهم التسلّطية والتوسعية، فكانت المرحلة الأولى من الحكم السعودي بدءً بالمؤسس محمد بن سعود ومن بعده ابنه عبد العزيز وحفيده سعود وآخرهم عبد الله الذي انتهى مقطوع الرأس في الإستانة، وتاريخها كما يتبين من الفصل الثاني سجل لغزوات ومعارك وكمائن وغيرها من أعمال العنف التي أوصلت القوات الوهابية إلى البحر الأحمر غرباً وجزيرة البحرين شرقاً وحوران ومدينة حلب

شمالاً ونجران وعمان جنوباً، لكنها فشلت في تأسيس نظام سياسي وإداري قابل للبقاء، وكما قامت بالقوة والقهر انتهت بنفس الطريقة، ولا بد من التعمق في حوادث تلك الفترة لتحري وجود الإرهاب من عدمه.

عاد آل سعود وحلفائهم الوهابيون إلى السلطة بعد انقطاع قصير نسبياً، لكنهم لم يستعيدوا سيطرتهم السابقة بالكامل، وطغى على الفترة الثانية من الحكم السعودي، موضوع الفصل الثالث من الكتاب، الصراع بين أفراد العائلة على السلطة، واضطرارهم للتحالف مع قوى محلية وإقليمية ودولية وتقديم التنازلات للحلفاء، انتهت إلى انكفائهم واستيلاء حكام حائل من آل الرشيد الشمّريين على السلطة ولجوء العائلة السعودية إلى حليفهم مبارك آل الصباح الكويتي، وبسبب هذه العوامل فقد لا تكون مظاهر الإرهاب إن وجدت عديدة وجلية، لكن اثبات الفرضية من عدمها يتطلب التحقق من الإرهاب في الفترة الثانية واعتماده من قبل الحكام السعوديين في احكام سيطرتهم كما أسلافهم في الفترة الأولى، والاضطراب الذي ساد تلك المرحلة من حكم آل سعود لم تقضي على طموحاتهم لاستعادة السيطرة على معظم جزيرة العرب، ومن المفترض أن يكون الإرهاب عاملاً رئيسياً ووسيلة معتمدة بوعي وإصرار في بلوغ ذلك، وهو ما سيتبين في الفصل الثالث.

الفترة الثالثة والحالية من الحكم السعودي التي زادت على مئة عام هي الأطول، ونشأت واستمرت في ظروف داخلية وخارجية مختلفة عن تلك التي شهدتها الفترتان السابقتان، ولم يعد سجل قرارات وتصرفات حكامها مقتصراً على ما دونه ونشره مؤرخون موالون لهم وندرة من الرحالة وموظفون رسميون لدول أجنبية، وربما أدى ذلك إلى توخي هؤلاء الحكام درجة أعلى من الحذر في استعمال الإرهاب، لكن يفترض أن طبيعة النظام والعقيدة الوهابية وتاريخ العائلة الحاكمة والتخوف من فقدان السيطرة مرة أخرى أغرّتهم باعتماد وسائل إرهابية، وخاصة في فترة تأسيس مملكة آل سعود، وهو موضوع الفصل الرابع، ولذلك فإن صحة الفرضية تتطلب أيضاً استمرار استعمال الإرهاب من قبل أبناء مُحي الفترة الثالثة وحتى الزمن الحاضر، وإن كانت وفرة العوائد المالية من النفط ربما قلّلت الحاجة لاستعمال الإرهاب، كما سيتضح في الفصل الخامس.

عندما تثبت نجاعة وسيلة في تحقيق أغراض حاكم فقد يحفّزه ذلك على استعمالها لأغراض أخرى، والغايات تبرر الوسائل عند الحكام، الذين لا يعيرون قيمة كبرى لشرعية الوسائل، لذلك من المحتمل لجوء أبناء عبد العزيز للإرهاب في بلوغ مصالحهم خارج حدود مملكتهم، ويقو هذا الاحتمال إذا كانت عقيدتهم تضفي شرعية على الإرهاب وتحت مسميات وشعارات مختلفة مثل الجهاد، وينتج عن ذلك تصدير الإرهاب لإضعاف أعداء الحكام الفعليين والمفترضين، فهل صدّر أبناء عبد العزيز الإرهاب إلى دول ومجتمعات أخرى؟ الجواب على ذلك في الفصل السادس، وتتضمن الخاتمة النتيجة النهائية لاختبار صحة الفرضية باعتماد آل سعود للإرهاب كسياسة ثابتة ووسيلة مجربة لتحقيق غاياتهم منذ ابرام التحالف السعودي الوهابي وعلى مدى قرابة 280 عاماً حتى الزمن الحاضر.

الفصل الأول: نشأة التحالف السعودي الوهابي

بدأت مسيرة آل سعود للسيطرة على شبه الجزيرة العربية بالتحالف بين حاكم قرية الدرعية محمد بن سعود وشيخ دين منبوذ هو محمد بن عبد الوهاب في عام 1744م،[2] أي قبل أكثر من قرنين ونصف. كانت الدرعية قرية قميئة خاملة في وسط منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية، وشهدت صراعات دموية بين أفراد عائلة حكامها، أما محمد عبد الوهاب فقد جاءها فارّاً من سخط حكام وسكان بلدات أخرى، حاول فيها نشر عقيدته الدينية المتطرفة، التي تصم سكان نجد بالشرك لأنهم يشيدون قبوراً للصالحين ويزورونها وينذرون لها ويطلبون شفاعتها، وقبل بيان طبيعة المعاهدة بينهما من المفيد التعرف بإيجاز على صفات الشخصين وتاريخهما.

حاكم الدرعية

لا يعرف على اليقين من أسّس حكم عائلة آل سعود في قرية الدرعية، إذ تضاربت الروايات حول ذلك، ويرجح أن يكون مانع المرادي أو ابنه ربيعة المهاجران من بلدة القطيف في شرق الجزيرة من حلّ بهذه القرية وجعلها مركزاً لسلطته.[3] سرعان ما دبت الخلافات على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة، فأقدم موسى ابن ربيعة على خلع أبيه، وأستولى على وادي حنيفة حيث تقع الدرعية، لكنه فشل في الإجهاز على أبيه، الذي فرّ إلى مدينة العيينة، وخلفه ابنه الأصغر مرخان فرحل بقية أخوته عن القرية، وفي عام 1654م حدث صراع على السلطة بين أحفاد موسى، إذ قتل وطبان ابن عمه المدعو مرخان أيضاً ليستحوذ على الحكم، لكنه فشل في الحفاظ على السلطة ثم تولى الحكم من بعده أخ القتيل محمد، واستعر القتل والثأر بين أفراد العائلة، قتل فيها عدد من الحكام حتى انتهت السلطة إلى سعود في 1685م والذي يعتبر مؤسس

---

[2] Leslie McLoughlin, 1993. **Ibn Saud: Founder of a Kingdom**. New York: Palgrave Macmillan, p. 5.

[3] James Wynbrandt, 2004. **A Brief History of Saudi Arabia**. New York: Facts On File Inc. p. 10.

السلالة الحاكمة التي تعرف باسمه، واستطاع جيش الأحساء التابع للسلطان حمد القيسي من قبيلة بني خالد الاستيلاء على الدرعية، وحكموها لمدة 17 عاماً، قبل استرجاع آل سعود للقرية، وعاد سعود للحكم في 1720م ولمدة خمس سنوات.[4] كان محمد بن سعود حاكماً مغموراً لقرية الدرعية في وسط نجد، لكنه كما سيتضح من تاريخه بعد تحالفه مع محمد بن عبد الوهاب يطمح، مثل غيره من حكام نجد، إلى ضم بلدات ومناطق أخرى تحت إمرته، لكن هذا الطموح ظل رغبة مكبوتة حتى مجيء مؤسس الوهابية إلى الدرعية، ولم يقدم على تبني المشروع الوهابي إلا بعد تشجيع وحث من زوجته وبعض أفراد عائلته.

محمد بن عبد الوهاب

توجد صورتان شبه نمطيتين للشيخ محمد بن عبد الوهاب، الأولى براقة لدى أفراد عائلته وأتباعه، تصوره مصلحاً فذاً، أراد إحياء الإسلام الأصيل وتنقيته من البدع التي أحدثها مسلمون ومارسوها، والأخرى لدى مخالفيه وأعدائه مظلمة وقاتمة لشيخ مضطرب الشخصية دفعه طموحه وفساد عقيدته الى تأويل نصوص دينية لغرض تكفير المسلمين، وتبرير التسلّط عليهم بالقوة إن لزم الأمر، واستمر هذا التباين الحاد في الصورتين حتى اليوم، ولكن توجد حقائق موثقة عن هوية وسيرة هذه الشخصية المثيرة للإعجاب عند البعض والسخط لدى آخرين، فالمؤكد بأنه ولد لعائلة دينية، وكان والده شيخاً دينياً، وقاضياً في مدينة الحريملية، وللشيخ شقيق معروف هو سليمان بن عبد الوهاب، خلف أباه في منصب القضاء، وتتلمذ الشيخ الوهابي على والده، قبل رحيله إلى مدن أخرى داخل الجزيرة، وسافر إلى البصرة للاستزادة من معارف شيوخها. وفي البصرة تلقى إلهاماً ربانياً، كما يدعي أحد أحفاده، كشف له جوانب خفية من عقيدتي التوحيد والصفات الإلهية، وبذلك اكتسب في نظر أتباعه مرتبة تعلو به على بقية مشايخ الدين، الذين لم يحظوا بمثل هذا الإلهام،

---

[4] Wynbrandt, 2004, pp. 107-109.

وأفرغ محتوى هذه المعرفة في كتابه عن التوحيد المتضمن عدداً من الأحاديث النبوية.[5]

انتمى محمد بن عبد الوهاب إلى المذهب الحنبلي بفرعه المتشدّد الذي مثله ابن تيمية الحراني (1283-1328م)، وعرف ابن تيمية بالتطرف في وصم مخالفيه من أهل السنة والصوفيين والمذاهب الأخرى باتباع البدع التي لا أساس لها في الدين، ودفعت أطوار ابن تيمية الغريبة الرحالة المعروف ابن بطوطة إلى التشكيك في قدراته العقلية،[6] أما شمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي فقد كتب له رسالة نصيحة، أعاب عليه تشدّده، الذي أفضى به إلى الزيغ والتكفير، وذمّ غروره وكبريائه، التي أعمت عقله عن زلاته، وأبعدته عن العقيدة الصحيحة، وألح عليه بالتوبة مضيفاً:[7]

> أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار! إلى كم تصدقها وتزدري بالأبرار، إلى كم تعظمها وتصغر العباد، إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد، إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله أحاديث الصحيحين، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والاهدار أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوي! أما حان لك أن تتوب وتنيب...

لم يتزوج ابن تيمية، لكن مقلده ابن عبد الوهاب لم يكن زاهداً في مُتع الدنيا، إذ روي بأنه تزوج عشرين امرأة وأنجب ثمانية عشر، وأورث بساتين ومزارع كانت تدرّ خمسين ألف ذهبية سنوياً، وتزوج ابنه علي ما بين خمسين إلى ستين امرأة،[8] واحتكر

[5] David Commins, 2006. **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**. London: I. B. Taurus, p.12.

[6] Donald P. Little, 1975. Did Ibn Taymiyya have a screw loose? **Studia Islamica**, No. 41: pp. 93-111.

[7] شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، 1928. **بيان زغل العلم والطلب ويليه النصيحة الذهبية لابن تيمية**. دمشق : مطبعة التوفيق.

[8] Alexei Vassiliev, 2000. **The History of Saudi Arabia**. New York: New York University Press, p. 90.

خلف محمد عبد الوهاب إدارة الشؤون الفقهية والقضاء لآل سعود، وشغل البعض منهم مناصب وزارية وإدارية عليا، وجمعوا الثروات، وسكنوا القصور.

الدعوة الوهابية

ألا يكفي النطق بلا إله إلا الله أو الشهادتين كافياً ليثبت الفرد بأنه مسلم ويكون دمه وماله وعرضه محرماً؟ ربما لم يطرح أحد هذا السؤال على محمد بن عبد الوهاب؟ لكنه بالتأكيد أجاب عليه في مؤلفاته ورسائله وعظاته، ومثلت أطروحاته حول شروط إسلام المرء جوهر دعوته، فهو لا يرى الشهادة أو الشهادتين مع أداء الفرائض والعمل الصالح دلائل كافية على صحة إسلام المرء، إذا اقترنت بأقوال وأفعال منافية في اعتقاده لمعنى التوحيد كما يراه، فلو أن هذا المسلم شهد لله بالربوبية وآمن برسوله وكتابه وغيرها من العقائد الأساسية للدين وقرن ذلك بزيارة قبور صالحين وتوسل إليهم أو بوساطتهم إلى الله قضاء حاجاته بطل إيمانه وغدا مشركاً، ولا فرق في ذلك بين التمسّح بقبر ولي صالح أو مرقد الرسول الأعظم.

تقليداً لابن تيمية حكم محمد بن عبد الوهاب على المسلمين في زمانه الذين اعتادوا زيارة قبور الصالحين وطلب الشفاعة منهم أو قضاء حوائجهم بالشرك، وخلص إلى أن هذا الشرك أسوء من شرك الجاهلية، لأن أولئك المشركين كانوا يعتقدون بأن القدرة لله وحده في الاستجابة لدعائهم، وما أصنامهم ومعبوداتهم الحجرية سوى وسطاء يتقربون بعبادتها لله، ولا تمتلك قدرة مستقلة عن الله، واعتبر القبور والمزارات كالأصنام، الواجب هدمها وطمسها ومنع الناس من التردد عليها والصلاة فيها، ولأن حكام المناطق والبلدات التي توجد فيها هذه المزارات امتنعوا عن القيام بذلك خوفاً من سخط الناس احتج بذلك لتبرير قتالها والتسلّط عليها لنشر مذهبه في التوحيد والصفات.

في رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم كتب: " المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك

والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته" كما أضاف في رسالته إلى تابعه ابن سحيم ما اعتبر تكفيراً لأتباع المذهب الشيعي والمتصوفة وغيرهم: " الغلو في علي بن أبي طالب، مثل الغلو في المسيح، من غالى في نبي، أو صحابي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالوهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني أو أنا في حسبك فهذا كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل"،[9] لكنه في الواقع لم يفسح للذين قتلوا بأمره أو من قبل اتباعه فرصة التوبة والقبول بمذهبه بل عاجلوهم بالغارات والقتل. ويروى أنه بعد استيلاء أتباع محمد بن عبد الوهاب بعد وفاته على المدينة المنورة ارتقى بعضهم قبة قبر الرسول بغرض هدمها، فامتنعت عليهم، وهوى بعضهم إلى الأرض فهلكوا، وتركوها.[10]

ادعى محمد بن عبد الوهاب بأنَّ جميع أهل نجد من دون استثناء هم كفرة تباح دماؤهم ونساؤهم وممتلكاتهم ، والمسلم هو من آمن بالسنة التي يسير عليها محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، ويتضح ذلك في وصف تابعه ابن غنام خضوع أهالي القصيم للحاكم السعودي عبد العزيز بن محمد في 1769م " وفد عليه أكثر أهل القصيم، فدخلوا في الإسلام، وخرجوا مما كانوا فيه من عبادة الأوثان، فأخذ عبد العزيز عليهم العهد، ووضع عندهم معلمين يعلمونهم التوحيد والشرائع والأحكام،"[11] وبالمثل شمل كافة المسلمين بما فيهم الأتراك الذين لا يدينون بعقيدته بالكفر.[12] وكفّر أتباعه " عموم المسلمين الذين على الكرة الأرضية إلا من اعتقد اعتقادهم."[13]

---

[9] أمين الريحاني، 1928. **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها**. بيروت: المطبعة العلمية، ص 41.

[10] John Lewis Burckhardt, 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys**. London: Henry Colburn and Richard Bentley, p. 109.

[11] حسين بن غنام، **تاريخ نجد**. دار الشروق ، ص 134.

[12] Burckhardt, 1831, p. 96.

[13] **خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود** للشيخ عثمان بن سند الوائلي البصري، اختصره الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، القاهرة: المطبعة السلفية.، 1952، ص 80.

كتب أحمد زيني دحلان، مفتي مكة المكرمة، بأن الوهابي اشترط على كل من انضوى في مذهبه الشهادة على نفسه وعلى أبويه بالكفر ، ولو كان حج من قبل اعتناقه الوهابية فلا صحة لتلك الحّجة لأنه حجها وهو مشرك وعليه الإعادة،[14] وسار من جاء بعده من ذريته ودعاة مذهبه وحكام آل سعود على منهجه في تكفير معظم المسلمين المخالفين، ففي رسالة سعود بن عبد العزيز بن محمد إلى والي بغداد العثماني شرح لعقيدة الوهابي في التكفير:[15]

> أما قولكم: كيف التجري بالغفلة على إيقاظ الفتنة بتكفير المسلمين وأهل القبلة ومقاتلة قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر .... فنقول قد قدمنا أننا لا نكفر بالذنوب وإنما نقاتل من أشرك بالله وجعل لله نداً، يدعوه كما يدعو الله، ويذبح له كما يذبح له، وينذر له كما ينذر لله، ويخافه كما يخاف الله، ويستغيث به عند الشدائد وجلب الفوائد، ويقاتل دون الأوثان والقباب المبنية على القبور، التي اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله، فإن كنتم صادقين في دعواكم أنكم على ملّة الإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فاهدموا تلك الأوثان كلها وسوّوها بالأرض، وتوبوا إلى الله من جميع الشرك والبدع ...وأما إن دمتم على حالكم هذه ولم تتوبوا من الشرك الذي أنتم عليه وتلتزموا بدين الله الذي بعث الله رسوله وتتركوا الشرك والبدع والخرافات لم نزل نقاتلكم حتى تراجعوا دين الله القويم.

وفي رسالته لأهالي مكة المكرمة التي استهلها بالسلام على من اتبع الهدى وهي عبارة عادة ما يستعملها المسلمون في تحية من لا يعترفون أو يشّكون بصحة إسلامه أفصح

---

[14] أحمد بن زيني دحلان، 1950. **الدرر السنية في الرد على الوهابية**. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص 50.

[15] **الدرر السنية في الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا**. 1995. جمع عبد الرحمن محمد النجدي، الجزء 7، بدون بيانات نشر، ص 37.

سعود عن اعتقاده بأنهم لا يتبعون الإسلام الصحيح: "... إنما ندعوكم لدين الله ورسوله."[16] وأكد حفيد محمد بن عبد الوهاب عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في خطابه إلى الوهابيين من بني تميم بإن" قتال الدولة -يعني المصرية- والأتراك والإفرنج وسائر الكفار من أعظم الذخائر المنجية من النار."[17]

حرص محمد بن عبد الوهاب على الاستحواذ على ولاء وعقول أتباعه، فاحتكر لنفسه ولآل سعود وأتباعه صفة المسلمين وأطلق على غيرهم تسمية المشركين.[18] كما حظر السفر إلى مواطن من اعتبرهم مشركين مثل الأتراك الذين كانوا يسمونهم بالروم، وفرض رقابة مشددة على زائري مناطق الوهابيين، وبالتالي خلق حاجزاً فكرياً ونفسياً بينهم وبين بقية المسلمين وغير المسلمين، وكان ابن عبد الوهاب سلطوياً في انحيازه للحكام والقادة، أي آل سعود ومن يمثلهم، ودعوته لطاعتهم وتحريم الخروج عليهم، وأجاز لهم استعمال الشدة القصوى في التعامل مع المتمردين على سلطتهم.[19]

رأى ديفيد كومنز في كتابه حول الدعوة الوهابية والسعودية بأن الخلاف الرئيسي بين محمد بن عبد الوهاب ومعارضيه يتمحور حول شروط التدين بالإسلام، إذ يؤمن هؤلاء المعارضون، خلافاً لاعتقاده، أن النطق بالشهادتين دليل كاف على صحة إسلام المرء، أما من يخالف تعاليم الشريعة فهو عاص أو مخطئ لا مشرك ولا كافر، كما أن عقيدته في صفات الله مسألة خلافية كبرى، فهو يثبت الصفات الحسّيّة والجسمانية مثل السمع واليد والاستواء، والتي يراها المخالفون تجسيماً نافياً لتنزيه الخالق.[20]

---

[16] عثمان بن عبد الله بن بشر، 1982. **عنوان المجد في تاريخ نجد.** الجزء الأول، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ص 261.

[17] **الدرر السنية في الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا،** مصدر سبق ذكره، ص 23.

[18] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها**، مصدر سبق ذكره، ص 33.

[19] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 75.

[20] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p.vi-vii.

حكم معارضو محمد بن عبد الوهاب على مذهبه بأنه حركة منحرفة أنشاها قائد ديني طموح وضالّ، عاش في منطقة منعزلة في الجزيرة العربية، انبثقت منها ومنذ فجر الإسلام دعوات منحرفة،[21] وأن أفكاره لم تكن نتيجة أخطاء غير مقصودة بل هي تحريف متعمد للإسلام لإشباع نهمه للسلطة والنفوذ، لذا حكم على المسلمين من غير أتباعه بأنهم مشركين ليحلّل لنفسه ولحكام آل سعود سفك دمائهم ونهب أموالهم والتسلط عليهم، واجتذبت دعوته البدو الجهلاء، مذكيةً شهوتهم للغزو والنهب والسلب.[22]

من المستغرب أن بعض الكتاب الغربيين اعتبروا محمد بن عبد الوهاب مصلحاً دينياً، وربما ظن هؤلاء أنه أشبه برجال الدين المسيحيين البروتستانت الذين دعوا إلى نبذ ممارسات تعبدية سائدة لدى أتباع المذهب الكاثوليكي في أوروبا. شخّص محمد أسد جانباً مهماً من القصور في دعوة محمد بن عبد الوهاب، إذ أولت جلّ اهتمامها لقسر الناس على تبني عقيدتهم التوحيدية وإقامة الشعائر، وأهملوا الجانب الروحي، كما أنهم "اعتبروا أنفسهم أصحاب العقيدة [أي الإسلام] الوحيدين والقيمين عليها" نتيجة نزعة تنزيه الذات ورفض الاختلاف في الرأي السائدة لدى العرب.[23]

توفي محمد بن عبد الوهاب في 1792م، لكن أفكاره ظلت تزود الحكام من آل سعود بالذخيرة العقائدية والعسكرية والمالية، ويمكن الجزم بأن لولا عقيدته التكفيرية لما استطاع هؤلاء الحكام من بسط سيطرتهم على معظم أرض الجزيرة العربية واطلاق اسم عائلتهم على مملكتهم، ومدّ نفوذهم إلى بلاد المسلمين باسم الدين ودعوة التوحيد، فقد وفرت أفكاره الذريعة "الشرعية" لطموحهم، وحافزاً عقائدياً لمقاتليهم، وتمويلاً لحملاتهم، وترسيخاً لسيطرتهم، لذا استطاعوا إحياء دولتهم مرتين بعد القضاء عليها من أعدائهم الإقليميين والمحليين، ومكّنتهم من

[21] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. vi-vii.

[22] Commins, p. 2.

[23] محمد أسد (ليوبولد فايس)، 2010. **الطريق إلى مكة**. ترجمة رفعت السيد علي. بغداد: منشورات الجمل ، ص 245.

بسط نفوذهم خارج مملكتهم، كما غدا الفكر الوهابي المنبع الرئيسي لعقائد الجماعات المتشددة على امتداد العالم الإسلامي كالقاعدة وداعش وغيرهما.

الحلف السعودي الوهابي

حلّ محمد بن عبد الوهاب مهاجراً في قرية الدرعية، وكان لزوجة حاكمها دوراً هاماً في التقريب بينه وبين زوجها محمد بن سعود، وتنقل مصادر الوهابيين نصيحتها لزوجها: " إن هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتنم ما خصّك الله به"،[24] بأي معنى كان محمد بن عبد الوهاب غنيمة لحاكم قرية الدرعية؟ في المتعارف عليه الغنيمة هي الأسلاب التي يأخذها الغازي أو المنتصر من المنهزم، ومن المستغرب وصف رجل دين بالغنيمة، وهو المطرود من عدد من بلدات وقرى نجد، والمنبوذ من عائلته والمطارد من واحد من أقوى حكام الجزيرة، وقد يكون مردُّ ذلك طغيان التفكير بالغنائم على عقول عائلة آل سعود، فلم تجد الزوجة وصفاً له أفضل من ذلك، أو أنها توسمت فيه وسيلة لجني الغنائم، وهو ما تحقق بالفعل.

وصف ابن بشر المحبة التي تولدت بين محمد السعودي ومحمد الوهابي: " قذف الله في قلب محمد محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه"،[25] أراد المؤرخ من اقحام الله في التحالف السعودي الوهابي إضفاء رداء الشرعية بل القداسة عليه، انطلاقاً من اعتقاده الجازم بصحة العقيدة الوهابية، وكان أول الحديث ين المحمدين تبادل البشارات، بشره محمد بن سعود ببلاد خير من بلاده وبالعزّ والمنعة، وبادله الشيخ المبتهج البشارة بالعزّ والتمكين والنصر المبين وإمامة المسلمين ومن بعده ذريته، ووصف نجد بأنها " كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل"، أي أنهم لم يعودوا مسلمين، واكتمل اللقاء بمبايعة الشيخ لحاكم الدرعية، على الرغم من معارضة شقيق الحاكم ثنيان بن سعود، وكان من شروط المبايعة إقامة محمد بن عبد الوهاب مع

[24] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد.** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 42.
[25] نفس المصدر السابق.

محمد بن سعود في الدرعية والامتناع عن مفارقته، لتكون دعوته حكراً على آل سعود والإبقاء على الضريبة التي يفرضونها على سكان الدرعية، فقبل الشيخ بذلك خلافاً للشريعة الإسلامية التي لا تقرّ ذلك، متمنياً أن يغنيه الله عنها بالغنائم، ولا غنائم بدون قتال، وتقاتل المسلمين من أكبر المحرمات، ولا تؤخذ الغنائم إلا من أعداء المسلمين المعتدين، وإتيان الشيخ على ذكر الغنائم دليل على ما لم يتضمنه تاريخ ابن بشر وغيره من تفاصيل المعاهدة بين المحمدين، وبالتحديد الاتفاق على اعتبار الآخرين ممن لن يقبلوا بسلطتهم هدفاً للقتال وتحصيل الغنائم، كما أن شمول الاتفاق ذرية محمد بن سعود من بعده مخالفة لتعاليم الدين، إذ لا ينال العهد من كان ظالماً فكيف لمحمد بن عبد الوهاب التيقن بأن ذرية السعودي ستكون عادلة وتحكم بما أمر الله؟ ناهيك عن أن القاعدة المثلى في اختيار الحكام لدى مذاهب السنة هي الشورى لا التوريث، وتوطّد الحلف المصلحي بين محمد بن سعود وابن عبد الوهاب بزواج ابن الأول من ابنة الثاني،[26] فكان الحلف السعودي الوهابي كما وصفه أمين الريحاني " العهد الذي جمع بين المذهب والسيف."[27]

استند تحليل عثمان بن سند لنجاح محمد عبد الوهاب في اقناع حاكم الدرعية بالتحالف الثنائي على عاملين، الأول هو دهاء وخداع ابن عبد الوهاب الذي وصفه بأنه" ذو علم ومكر ودهاء وخداع"، والثاني شهوة الحكم والسلطة عند محمد بن سعود، إذ "دسّ [أي ابن عبد الوهاب لآل سعود] دسيسة وهي أن هذه الحركات مما يجعلكم ملوك المسلمين عموماً، لأنه لم يبق من ملوك المسلمين من ينكر المنكر فطاوعوه، وهكذا الدول لا تتأسس إلا بالسلطان والدين معاً، انظر مقدمة ابن خلدون."[28]

---

[26] Wayne H. Bowen, 2008. **The History of Saudi Arabia** Westport, Conn.: Greenwood press, p. 69.

[27] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها.** مصدر سبق ذكره، ص 30.

[28] **خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود**، ص 84.

التحولات في الحلف السعودي الوهابي

نشطت قوات السعوديين الوهابيين في شنّ الغزوات على البلدات والقرى النجدية، وفي المرحلة الأولى منها كان لمحمد بن عبد الوهاب القرار النهائي في توجيهها والتصرف بأخماس الغنائم والزكاة، فكان " ما يجبى إلى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها...يضعها حيث يشاء، "[29] ولم يطبق دائماً الأحكام الشرعية في توزيعها، إذ "كان يعطي العطاء الجزيل بحيث أنه يهب خمس الغنيمة لإثنين أو ثلاثة".[30]

في المرحلة الثانية من الحلف بعد فتح الرياض، كما وثق ابن بشر، تخلى محمد بن عبد الوهاب عن القيادة للحاكم السعودي في حينه وهو عبد العزيز ابن حليفه محمد، ولا توجد تفاصيل في كتب التواريخ عن أسباب هذا التحول الكبير في ميزان القوى بين الطرفين السعودي والوهابي، وسواء تنازل محمد بن عبد الوهاب برضاه أو بحكم القهر والأمر الواقع فقد كان ذلك أشبه بانقلاب داخلي، انتهى بالسيطرة التامة للحاكم السعودي على جلّ القرارات المصيرية، وهي إعلان الحرب والقتال، وتسيير المقاتلين، وابرام المعاهدات، وتحصيل أموال الزكاة والخمس وغيرها من الجبايات والموارد، وإنفاقها كما يشاء، ولم يتبق لابن عبد الوهاب من صلاحيات تذكر سوى تعيين الدعاة المبشّرين بعقيدته وتعيين وصرف القضاة، ويمكن اعتبار ذلك بداية مركزية السلطة لدى الحاكم السعودي وتحول ذرية محمد بن عبد الوهاب المعروفين بآل الشيخ وغيرهم من مشايخ الوهابية إلى رعايا لا شركاء في السلطة وصيرورة الوهابية مجرد أداة بأيدي الحكام السعوديين لتحقيق مآربهم في السيطرة على نجد والجزيرة وما بعدها، ويتبين في الفصول اللاحقة بأن من سيتحدى السلطة السعودية المطلقة ولو بذريعة التمسك بالعقيدة الوهابية وأحكامها سيلقى مصيراً مظلماً.

---

[29] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 46.

[30] نفس المصدر السابق.

بعد السيطرة على الرياض أراد الحاكم السعودي أن تكون له سلطة كاملة في اكمال مشروعه التوسعي وضم مناطق وبلدات أخرى في الجزيرة تحت سلطته، ولا سبيل إلى ذلك من دون الإمساك بالقرارين القتالي والمالي، فلا تكون بعدها حاجة لموافقة ابن عبد الوهاب، واقتصار دوره ومن جاء بعده من ذريته وغيرهم على إضفاء الصفة الدينية على مشاريع الحاكم السعودي التوسعية وإلزام الرعية بالإخلاص له ولخلفائه، ولإبراز صفتهم الدينية اتخذ هؤلاء الحكام الدنيويون لقب الإمام من دون مبرر شرعي.

أمكن هذا التحول في ميزان القوى لصالح آل سعود حكامهم من التصرف بأموال الزكاة والغنائم لتكنيز الثروات وامتلاك وسائل الترف واللهو، وظهر هذا الاتجاه بعد وفاة مؤسس الوهابية، واستمر في عهود الحكام السعوديين اللاحقين، وتجلى بصورة فاحشة بعد اكتشاف النفط وتضخم عائدات بيعه، فلم يكن قد مضى وقت طويل على وفاة مؤسس الوهابية، وبالتحديد في عهد ابن حليفه عبد العزيز بن محمد، حتى بدأ سعود بن عبد العزيز في الاحتفاظ بما يرغب من نفائس الغنائم مثل السيوف المطعمة بالجواهر والذهب والفضة وامتلاك الخيل الأصيلة الثمينة، ولم يتردد آل سعود في استعمال موارد الغزو وغيرها كما يشاؤون، ففي الوليمة التي أقيمت لزواج فيهيد بن سعود ذبحت مئات الخراف والجمال لإطعام الضيوف وعلى مدى ثلاثة أيام.[31]

أبرز معارضي الوهابية

امتنع الوهابي عن الإفصاح عن أفكاره في حياة والده، ولم يذيعها إلا بعد وفاته، وكان بينهما "تباين" كما يذكر محمد بن عبد الله النجدي الحنبلي مفتي المذهب الحنبلي في مكة المكرمة،[32] ويستدل من ذلك على وجود خلاف بينهما وأن الأب عبد الوهاب لم يكن موافقاً لطروحات ابنه محمد، فحظر عليه أو امتنع الابن

[31] Burckhardt, p. 131.

[32] محمد بن عبد الله النجدي الحنبلي، 1996. **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**. الجزء الأول، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص676.

بمشيئته عن إذاعتها على الملأ، وأورد مفتي مكة الحنبلي الأسباب الكامنة وراء هذا التباين في الفكر بين الأب وابنه:[33]

> [عبد الوهاب] هو والد محمّد صاحب الدعوة التي انتشر شّررها في الافاق، لكن بينهما تباين مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشيخ عبد الوهاب هذا أنه كان غضبان على ولده محمد، لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته، ويتفرّس فيه أن يحدث منه أمر، فكان يقول للناس: يا ما ترون من محمد من الشّر، فقدّر الله أن صار ما صار.

كان سليمان بن عبد الوهاب أكثر جرأة وصراحة في معارضته الشديدة لفكر أخيه الوهابي، وضمِّن نقاط الخلاف معه في كتابه المعنون " فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب"، اتهم فيه أخاه بشق وحدة المسلمين وتكفيرهم واقتفاء أثر الخوارج الذين ظهروا في العهد الإسلامي الأول، و" ورد عليه ردًا جيدا بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدمًا أو متأخرا كائنا من كان غير الشيخ تقي الدين بن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه يرى كلامهما نصّا لا يقبل التأويل ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم،"[34] وروى أن الوهابي استاء من معارضة شقيقه وغضب عليه إلى درجة تدبير محاولة اغتياله. شهد أحمد زيني دحلان على الخلاف بين الشقيقين، فأفاد بأن سليمان بن عبد الوهاب سأل يوماً أخاه عن عدد أركان الإسلام فأجابه بأنها خمسة، فرد عليه بأنك جعلتها ستة، والسادس حكمت به على من لا يتبعك بالخروج من الإسلام.[35]

نشط سليمان بن عبد الوهاب في معارضته لعقيدة أخيه ومخططاته، وفي 1752م كان قاضياً في بلدة حريملاء عندما أعلن سكانها التمرّد على سلطة آل سعود وابن

---

[33] المصدر السابق، ص 675-680.

[34] المصدر السابق، ص 677-679.

[35] أحمد بن زيني دحلان، 1950. **الدرر السنية في الرد على الوهابية**. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص 42.

عبد الوهاب، وأجمعوا على ذلك كما ذكر ابن بشر،[36] واقتنع ابن عبد الوهاب بأن أخاه هو المحرض على العصيان، أو كما ادعى ابن بشر بأنه "نقض عهد المسلمين"، فأرسل إليه مهدداً ومتوعداً ومحذراً من "شؤم العاقبة"، ويبدو بأن بيعة سليمان بن عبد الوهاب لآل سعود وشقيقه - إن صحت - كانت تقية، وتحيَّن الفرص للرجوع عنها، وعمّ السخط على سليمان أتباعه، ففي 1754م دبّر محمد بن عبد الوهاب اغتيال سليمان بن خويطر لنقله رسالة من سليمان القاطن في حريملاء إلى أهالي بلدة العيينة تضمنت تسفيهاً لعقيدة الوهابية، واضطر غزو السعوديين الوهابيين لحريملاء سليمان إلى الهرب نحو سدير في 1756م، وبحلول 1776م كانت سبل الهروب واللجوء بسليمان قد ضاقت، فخاطر بالقدوم بمعية وفد من أهالي الزلفي ومنيخ إلى الدرعية، ولم تكن تلك زيارة ودّية كما وصفها ابن لعبون في تاريخه:" وقد استقدمه أخوه محمد والحاكم الوهابي عبد العزيز [بن محمد بن سعود] كرهاً وألزموه السكن في الدرعية"، أي أنه قضى بقية حياته في الإقامة الجبرية،[37] أما ابن غنام الذي يلاحظ تحيزه الواضح للدعوة الوهابية وآل سعود فادعى بأن سليمان "تاب" بعد قدومه إلى الدرعية، بينما شكّك ابن بسام في صحة رجوع سليمان عن معارضة أخيه.[38]

كلفت معارضة مربد بن أحمد التميمي حياته، ولم يشفع له كونه قاضياً في مدينة حريملاء. سافر القاضي إلى اليمن وفي صنعاء التقى بالفقيه محمد بن إسماعيل الصنعاني، وهو زيدي منفتح على المذاهب الأخرى ومصلح وداعية للتمسك بأصول الدين وتوحيد الربوبية أيضاً، [39] ولما سمع بدعوة محمد بن عبد الوهاب وافقها وامتدحها بقصيدة مطولة، وعقب لقاءه بالقاضي مربد التميمي تبين للصنعاني تطرف الوهابي "وتكفيره لأهل الإيمان ونهبهم" فكتب: " أينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطراً، ولم يمعن النظر، ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية، ويدلّه على العلوم النافعة ويفقهه فيها، بل طالع بعضاً من مؤلفات الشيخ أبي العباس ابن تيمية،

---

[36] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 65.

[37] هامش **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، ص 678.

[38] المصدر السابق، ص 679.

[39] أحمد محمود صبحي، 1991. **الزيدية**. بيروت: دار النهضة العربية، ص 396-424.

ومؤلفات تلميذه ابن قيم الجوزية، وقلّدهما من غير اتقان، مع انهما يحرمان التقليد." ونظم قصيدة مطلعها "رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي،"[40] وأكد أحمد صبحي ذلك: "بلغته الأنباء بعد ذلك بتكفيرهم الناس واستباحتهم الدماء فكان أن تراجع عن تأييده منكراً عليهم فعالهم"،[41] وبعد زمن قصير من عودة القاضي مربد التميمي من صنعاء قتله حاكم بلدة رغبة المعين من قبل محمد بن عبد الوهاب.[42]

تكمن أهمية معارضته لعقيدة الوهابية في كونه حفيد ابن عبد الوهاب، إذ لم يقتنع عبد العزيز بن حمد بن مشرف بدعوة جده، وبعد وفاة والده تزوجت والدته من شيخ كاره للوهابية، هو محمد بن علي بن غريب، ولم يكتشفوا موقف ابن غريب إلا بعد أن أفصح عنه لسائل ملحّ، فقتلوه صبراً، مما زاد من بغض عبد العزيز بن حمد لهم، لكنه كتم ذلك خوفاً من ملاقاته نفس المصير.[43] أما عبد الله بن عيسى المويس ابن عم محمد عبد الوهاب وقاضي حرمة، والذي وصفه محقق تاريخ ابن بشر بـ " ألد أعداء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" فقد انتقمت منه قوات آل سعود والوهابية بقطع نخيله في 1780م، أي بعد مرور حوالي عشرين عاماً على وفاته، وأمر الحاكم السعودي عبد العزيز بن محمد ابنه سعود بهدم مدينته.[44]

لعل أبرز معارضي الوهابي في حياته هو الشيخ الحنبلي محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي. ولد في مدينة الأحساء عام 1729م، وكان وأبوه وجده من رجال الدين الحنابلة، وأطنب مؤلف كتاب السحب الوائلة على ضرائح الحنابلة في مدحه ووصف قوة شخصيته وتبحره في المعارف الشرعية، فعلى الرغم من كفّ بصره كان " العلامة الفهامة كاشف المعضلات وموضح المشكلات... بحيث يطلق عليه شيخ العصر، مهيباً معظماً لدى الملوك... كاتبَ السلطان [العثماني] عبد الحميد يحثّه على قتال

---

[40] محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، **إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب**. المكتبة الشاملة ص 59.

[41] صبحي، **الزيدية**، مصدر سبق ذكره، ص 413-416.

[42] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 80.

[43] **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، مصدر سبق ذكره، ص 689-692.

[44] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 139.

البغاة الخارجين بنجد"،[45] واطلاقه حكم البغاة على الوهابي والسعودي تخويلاً شرعياً بجواز بل ضرورة قتالهم ، لذا عدّه محمد بن عبد الوهاب وآل سعود من ألدّ الأعداء لكونه حنبلي مثلهم وذي سمعة ومقام عليين، ومن أبرز تلاميذه محمد بن علي بن سلوم الذي عرف بمعرفته الواسعة بعلم الفرائض، وكفّر الوهابي ابن فيروز حتى "صار عندهم يضرب به المثل في عظيم الشرك وأنه ممن أضله الله على علم"، وروي بأنهم رصدوا لمن يقتله مكافأة بقيمة "خمسمائة أحمر من الذهب"، لكن محاولة قتله فشلت، وعندما شعر بدنو سقوط الأحساء بأيدي الوهابيين رحل هو وعائلته وتلاميذه ومنهم ابن سلوم إلى البصرة، أما ابن بشر الوهابي فروى بأنه أُخرج من قبل براك عبد المحسن الذي استولى على الأحساء وبأمر من الحاكم السعودي عبد العزيز بن محمد.[46] لم تتوقف معارضته للوهابيين في المنفى، بل داوم التحريض على قتالهم، وألّف قصيدة حماسية تحض على ذلك عندما وجه والي بغداد العثماني أمير المنتفق ثويني بن سعدون لقتال الوهابيين.[47]

وصف العلامة الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين الوهابيين بالكاذبين وحزب الشيطان، وشبههم بالخوارج، ففي تفسيره للآية القرآنية: [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ] (فاطر: الآية 6)، كتب: " وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج، الذين يحرّفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرِهم، وهم فرقة بأرض الحجاز، يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم."[48]

برز من بين معارضي الوهابي محمد بن أمين بن عابدين الدمشقي (1784-1836م)، والمعروف بابن عابدين، ويوصف بأنه إمام المذهب الحنفي في زمانه، وفي

---

[45] **السحب الوائلة على ضرائح الحنابلة**، مصدر سبق ذكره، ص 970-973.

[46] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 206.

[47] هامش **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، ص 970.

[48] أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي المالكي، **حاشية الصاوي [على تفسير الجلالين]**، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، كتاب إلكتروني، ص 1589.

كتاب روض البشر في أعيان دمشق وُصف بأنه "الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق الفقيه،"[49] لذا امتاز بمكانة رفيعة بين شيوخ الدين، ومن أشهر مؤلفاته رد المحتار على الدر المختار أو حاشية ابن عبدين، وعرف بموقفه الجريء في تحريم التدخين، معارضاً بذلك قرار السلطان العثماني مراد الرابع، لكونه لا يمتلك مرجعية دينية ليحلّل ويحرم، وزاد على ذلك بما يلي: "من قال لسلطان زماننا عادل فقد كفر"، فعوقب بمصادره كتابه من المكتبات ومنع تداوله، لكن الضجة التي أثارها المنع وتوسط شيوخ دين كبار أدت إلى إلغاء المنع، ولم يتردد ابن عابدين في الحكم على الوهابيين بالخوارج لأنهم" خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة وقتل علمائهم حتى كسر الله شوكتهم وخرّب بلادهم، وظفّر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف".[50]

محمد بن سليمان الكردي فقيه المدينة المنوّرة وأستاذ محمد بن عبد الوهاب استنكر هو الآخر ما سمعه عن تلميذه فكتب إليه رسالة نصح جاء فيها: " يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فإني أنصحك لله تعالى أن تكفّ لسانك عن المسلمين، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرّفه الصواب، واذكر له الأدلة على أن لا تأثير لغير الله تعالى، فإن أبى فكفّره حينئذ بخصوصه، ولا سبيل لك بتكفّير السواد الأعظم من المسلمين وأنت شاذّ عن السواد الأعظم."[51]

[49] محمد جميل الشطي، **روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر 1200-1300**. دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.

[50] محمد بن أمين الشهير بابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**. الجزء السادس. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 413.

[51] أحمد بن زيني دحلان، **الدرر السنية في الرد على الوهابية**، مصدر سبق ذكره، ص 38-39.

نشر الدعوة الوهابية

بعد استقراره في قرية الدرعية بحماية آل سعود أرسل محمد بن عبد الوهاب الوفود والكتب إلى حكام بلدات وقرى نجد يدعوهم فيها إلى تبني مذهبه والتخلص مما اعتبره مظاهر وسلوكيات الشرك، وكانت استجابتهم متباينة، ويمكن تصور تأثير خطاب من شيخ دين، يصفك بالمشرك أو الكافر، ويتوعدك بالعاقبة السيئة في الدنيا والسخط الرّبانّي في الحياة الآخرة، لا بد أنها حرّكت في نفوس العارفين بدينهم والمطمئنين لصحة اسلامهم الاستهجان والاستخفاف، لكنها ربما هيجت مشاعر الالتباس والقلق في نفوس كثيرين حريصين على صحة تديّنهم وحذرين من تقصيرهم في الالتزام بتعاليمه، كما أن صدور الدعوة من الدرعية حيث سكن ابن عبد الوهاب تحت مظلة الحماية السعودية جعلها ذات بعدين ديني وسياسي، فيكون الانتماء للدعوة خضوع بدرجة أو أخرى لحكام الدرعية، وتوضح ذلك في حالة بلدة المحمل: "طلب أهل المحمل من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الدخول في الإسلام، وعاهدوهما على التوحيد، فقبلا منهم على أن يعطوا نصف زرعهم وريع ثمارهم، فالتزموا بذلك."[52] ولا يوجد مبرر شرعي لفرض هذه الإتاوة أو الجزية على سكان هذه البلدة النجدية الفقيرة.

رفض كثيرون الخضوع لحكام الدرعية وعقائدهم لأنها تتطلب هدم أضرحة ومزارات ومنع الناس من زيارتها مما سيثير النقمة عليهم، كما يعني ذلك الإذعان التام لسلطة آل سعود، التي تفرض عليهم تنفيذ قراراتهم وجمع أموال الزكاة وإرسالها إلى الدرعية، والمشاركة في غزواتهم واقتسام غنائمها معهم، فيكونوا بالنتيجة مجرد رعايا عند سيدهم السعودي وحليفه الوهابي، لذلك اعتمد حكام الدرعية غالباً على القوة الغاشمة في ضم بلدات وقرى نجد تحت حكمهم، وفرضوا شروطاً قاسية على المستسلمين، فبعد الاستيلاء على حريملاء على سبيل المثال أعلنوا بأن البلدة غدت "فيئاً من الله" ودورها ونخيلها غنيمة للمسلمين."[53]

[52] حسين بن غنام، **تاريخ نجد،** مصدر سبق ذكره، ص 117.

[53] المصدر السابق، ص 109.

عندما لا يكون اعتناق عقيدة ما ناتج عن اقتناع بها يكون الالتزام بها سطحياً، أو اتقاءً لسطوة من قسرهم عليها، ولا يستبعد انشقاقهم عنها عندما تحين الفرصة، وهو ما كان يحدث بالفعل في البلدات والبوادي التي استولى عليها آل سعود وأخضعوها لسلطتهم، فلا يمضي وقت طويل حتى تنتفض بلدة أو قبيلة، وتعلن تمرّدها على الحاكم السعودي وحليفه الوهابي، فيسارعان إلى إرسال قواتهم لقمع التمرّد وإنزال أشد العقوبات بالسكان وقتل رؤوس العصيان. عند قدوم القوة المصرية للقضاء على حكم السعوديين الوهابيين امتنعت معظم المناطق والبلدات عن نصرة حكام الدرعية الوهابيين، بل أن البعض منها انضمَّ إلى القوات المصرية، وساعدوها في إتمام المهمة. نقل رحالة عن عرب الشام والجزيرة الذين اتصل بهم وعاش بين ظهرانيهم فترة من الزمن كرههم للوهابية، وبين أسباب ذلك، منها التسلط عليهم بذريعة دينية، واجبارهم على القتال معهم ضد المخالفين وأهالي الحجاز واليمن من دون نفقة، واستيفاء العشر منهم، وكان جباتهم ينتقون الأجود من كل صنف، لكنهم أطاعوهم خوفاً من بطشهم.[54]

يبين الجدول التالي أنماط استيلاء الحكام السعوديين الوهابيين على مناطق وبلدات الجزيرة العربية وتمردها على هذه السيطرة أثناء الدولة السعودية الأولى:

أنماط سيطرة السعوديين الوهابيين في الدولة السعودية الأولى

البلدة أو المنطقة	طريقة انضواءها للحكم السعودي	العلاقة مع الدرعية
العيينة	الخضوع في 1750م	أغتيل أميرها بأمر ابن عبد الوهاب.
حريملاء	الخضوع في 1751م	تمرّد سكانها مرتين، وقتلوا حاكمها المعين من الدرعية.
منفوحة	الخضوع في 1746م	تمرّدت في 1753م.

[54] **رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية**، 1994. تحقيق يوسف شلحد، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص 128-129.

بريدة	الخضوع في 1768م	تمرّدت في 1775م.
شقراء	الخضوع في 1775م	
عنيزة	الخضوع في 1768م	تمرّدت عدة مرات، وقتلت دعاة الوهابية، وأُخضعت في 1788م.
ثرمداء	أَخضعت بالقوة والقسر	
أشيقر	أَخضعت بالقوة والقسر	
القصب	أَخضعت بالقوة والقسر	
مرات	أَخضعت بالقوة والقسر	
الفرعة	أَخضعت بالقوة والقسر	
إقليم سدير وروضة سدير	أَخضع بعد حملات مسلّحة لأكثر من 10 سنوات.	تمرّد وطرد القوات السعودية في 1782م، ثم أُخضع مرة أخرى.
الدلم	حاول الوهابيون غزوها في 1781م، فصمد أهلها، وحوصروا، وقطعوا حوالي ألفين من نخيلها.	
الخرج	تصالحت مع حكام الدرعية.	حاربت حكام الدرعية، وهزمت قواتهم بمساعدة مقاتلين من نجران اليمنية.
حائل وجبل شمر	أَخضعت بالقوة والقسر في 1792م.	انتفضت على الحكم السعودي الوهابي، وسيطرت على نجد والدرعية.
منطقة الجوف	أَخضعت بالقوة والقسر خلال الفترة الممتدة من 1792م حتى 1797م.	

الأحساء	أخضعت بالقوة والقسر على مدى 30 عاماً.	قاتل أمراء الأحساء من بني خالد حكام الدرعية منذ 1759م وحتى 1789م. انتفض الإحسائيون بعد تسلط آل سعود عليهم وانتقموا من أعوانهم.
الرياض	قاومت آل سعود على مدى 27 عاماً قبل الاستيلاء عليها.	
القطيف	غزاها حكام الدرعية.	
الكويت	غزتها القوات الوهابية لكنها لم تخضع.	
قطر	استولت القوات السعودية عليها في 1793م.	
البحرين	سيطرت القوات السعودية عليها، وقبضت على حكامها من آل خليفة.	تغلب أهل البحرين وبمساعدة من حاكم مسقط على القوة السعودية وأخرجوها من جزيرتهم في 1810م.
عمان	الاستيلاء بالقوة ثم الصلح	
الحجاز	استولى عليها حكام الدرعية بالقوة وبعد عدة حملات عسكرية في 1806م.	حررتها القوات المصرية في عهد محمد علي.

ساد الانقسام والاضطراب الفترة أو الدولة الثانية لحكم آل سعود الوهابي، وتقاتل أفراد العائلة على السلطة، كما توزعت ولاءات مشايخ الوهابية بينهم، وفتر حماس أتباعهم للدعوة، واغتنم الفرصة منافسوهم آل الرشيد أمراء حائل للاستيلاء على معظم مناطق نجد، واضطر آل سعود للجوء إلى الكويت.

في الفترة الثالثة من حكم السعوديين الوهابيين التي أفضت إلى تأسيس مملكتهم الحالية استعاد عبد العزيز بن سعود السيطرة على مناطق واسعة من الجزيرة، مستغلاً ضعف الدولة العثمانية واضطراب حكم الأشراف في الحجاز وصراع آل الرشيد على إمارة حائل، واعتمد في معاركه المصيرية على قبائل البدو الوهابية المعروفين بالإخوان وحماسهم المذهبي وتوقهم للغزو والغنائم، لكنه رفض أن يكون لهم تأثير في تقرير سياساته وتحالفاته، وسعى إلى توطينهم في هجر أو قرى، ولما تمردوا عليه بطش بهم بمساعدة البريطانيين، وفي دعاوي ابن سعود بأحقيته في حكم الجزيرة كان غالباً ما يعتبرها إرث أجداده، كما ابتعد كثيراً عن تعاليم الوهابية في تحالفه مع البريطانيين ومن ثم الاعتماد على الأمريكيين في استخراج النفط. دُجّنت الحركة الوهابية، وغدت بالكامل تابعة للحكام السعوديين، يوجهونها كما يشاؤون لترسيخ سلطتهم والتخلص من معارضيهم داخل وخارج مملكتهم، كما سعوا إلى نشر الوهابية في البلاد المسلمة لتكون أداة للضغط على حكوماتها، و فشلت محاولات التمرّد من قبل بعض الجماعات الوهابية مثل الإخوان وحركة جهيمان في زعزعة الحكم السعودي.

تأثيرات الدعوة الوهابية

تأثيرات الدعوة الوهابية ماثلة للعيان، ليس في مملكة آل سعود فحسب بل في غالبية الدول الإسلامية والمسلمين في البلدان الأخرى، ولا تزال ورغم انحسار نفوذها العقيدة السائدة في المملكة ولجماعات وأحزاب سلفية في العالم الإسلامي، ويتفاخر السعوديون الوهابيون بنجاح حركتهم في منع الاقتتال بين بلدان وقبائل وعائلات الجزيرة وانحسار الغزوات التي تعرضت لها قوافل التجارة والحجيج في القرون

الماضية، والمؤكد هو أن سطوة الحكام السعوديين واحتكارهم الغزو وفرض الإتاوات كان العامل الرئيسي في ذلك، ومنذ نشوء الحركة تفاوت الالتزام بها ما بين الحماس المتطرف إلى التظاهر السطحي المنافق، والدليل على وجود هذا النفاق انسلاخ الكثيرين عنها ما أن سنحت الفرصة أو ضعف فارضها السعودي وقواته، وتوجد دلائل على ضعف تأثير الوهابية على سلوك الأفراد، فلم تنمحي السلوكيات والمظاهر السلبية التي دعا الإسلام إلى التخلص منها، وظل سلوك الجماعات والأفراد في البوادي محكوماً إلى حد كبير بالأعراف القبلية المخالفة للشريعة كالثارات القبلية والرّق والربا والفقر وحرمان المرأة من حقوقها الشرعية.

عكس المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر (1780-1873م) المعاصر للفترتين الأولى والثانية من الحكم السعودي صورة قاتمة للقيم والأخلاق في الزمن الذي أعد فيه كتابه، وعزا الصعوبة التي واجهته في إعداده إلى كثرة الكذب في زمانه الذي جاء بعد انبثاق الدعوة الوهابية بزمن قصير: "ثم إني أردت أن أجمع مجموعاً في وقائع آل سعود وأيامهم وأخبارهم ولا وجدت من يخبرني عنها خبراً مصدقاً، ولا عالم بها لا يقول إلا حقاً إلا ما يحكى بالاستفاضة - والكذب آخر هذا الزمان غلب على الناس ... واختلاق الكذب عليهم أغلب،"[55] وهذا دليل على ضعف التأثير الوهابي على منظومة القيم والأخلاق فيها، إذ يعتبر الصدق في العقيدة الإسلامية أول صفات المؤمن، ففي حديث لرسول الإسلام بيّن بأن المسلم قد يقترف بعض الكبائر مثل الزنا والسرقة لكن المؤمن بحق لا يكذب، وشهد ابن بشر مرة ثانية على أن التغيير في سلوك النجديين تحت الحكم السعودي الوهابي كان عابراً ووقتياً، فما أن زال حتى عادوا إلى سابق عاداتهم وتقاليدهم، كما يتبين من وصفه للفترة التي تلت إعدام العثمانيين لعبد الله بن سعود ونهاية الفترة الأولى من حكم آل سعود:[56]

> انحلّ فيها نظام الجماعة، والسّمع والطاعة، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر أو يأمر بمعروف، وعمل بالمحرّمات والمكروهات جهراً، وليس

[55] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد.** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 29.
[56] المصدر السابق، ص 426.

للطاعات ومن عمل بها قدراً، وجر الرباب والغناء في المجالس...وسلّ سيف الفتنة بين الأنام، وصار الرجل في بيته لا ينام.

في مسجد بعاصمة آل سعود الرياض ربما ستشاهد مصلياً خاشعاً، يرتدي ثوباً لا يصل إلى كعبي قدميه كما تقتضي السّنّة، ولحيته بطول قبضة يد وشعر شواربه مجزوز، ولو تتبعته بعد خروجه فمن المحتمل أن تراه يقود سيارة ثمينة، ويسكن قصراً فارهاً، بينما يعيش كثيرون من سكان المدينة الفقراء في بيوت قميئة، تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الصحية، والوهابية ترضى عن هذين النمطين من الحياة، ومظاهر الترف والبذخ في نظرها مشروعة لأنها من زينة الله التي أخرجها لعباده، كما يدعون، وكل ما يستولي عليه آل سعود من أموال طائلة من الدولة وأراضي شاسعة، وما يبتزونه من رجال الأعمال من مشاريع وحصص في مؤسساتهم، وما يمتلكونه من قصور وغيرها من وسائل الترف حلال ومباحة، ويستنبطون لها آيات وأحاديث وفتاوى تشرّعها، وفي السياسة يكفرون من يستعين بغير المسلم في قتال مسلمين، لكن لو كان ذلك هو الحاكم السعودي أباحوه، كما يحرّمون الانتقاد العلني لآل سعود ولعقائدهم وسياساتهم وسلوكهم الفردي، ومن يجرؤ على ذلك قد يعاقب بالقتل بالسيف والصلب لأنه محارب لله ورسوله وأولي الأمر.

أسوء ما نضح عن حكم آل سعود ورجال دين الوهابية التعصب والتطرف وسفك الدماء في بث دعوتهم وبسط سلطتهم، وكان الغزو أحد أنواع هذا العنف، بالإضافة إلى اقتراف مجازر جماعية واغتيالات وإعدامات ونهب للأملاك وقطع للنخيل وتخريب المزارع، ولاحظ وينبراندت بأنهم تغلبوا في كثير من الحالات باستعمال الترهيب intimidation فقط،[57] وهو ما أقرّ به أمين الريحاني المقرب من عبد العزيز بن سعود في تبرير استعمال آل سعود والوهابيين الهدم والإرهاب بدعوى الإصلاح:

" إن الإصلاح في بادئ أمره لا يكون إلا بالهدم، ولا يقوم بغير شيء من الإرهاب."[58]

---

[57] Wynbrandt, 2004. **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 130.

[58] الريحاني، 1928. **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها**، مصدر سبق ذكره، ص 41.

ورأى كوك أن سياسة الوهابيين كما التنظيم الإرهابي المسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام أي داعش هي قسر السكان الذين يسيطرون عليهم بالقوة على الإذعان التامّ، وكلاهما يهدفان لغرس الخوف والرعب في أذهان رعاياهم.[59]

سيتبين إن كان هذا العنف المفرط أشبه ما يكون بالإرهاب الشامل. اقترفه آل سعود تحت مسمى الجهاد، وهو أبعد ما يكون عن ذلك، وكان هدفهم النهائي من هذا العنف إخضاع البشر والتحكم بمقدراتهم، ولولاه لما تأسست لهم دولة، ولما حكموا غير قرية الدرعية، ، وبعد نجاحهم في استعمال الوهابية المتوحشة وسيلة لبلوغ مآربهم صدروها إلى بقية دول المسلمين، فنشأت فيها جماعات متطرفة، شوهت صورة الإسلام في نظر غير المسلمين، واتخذها أعداؤهم ذريعة لاحتلال بعض بلدانهم وفرض سيطرتهم ونفوذهم عليها، كما أدت الحروب على الإرهاب التي لم تتوقف حتى اليوم إلى مقتل مئات الألاف من المسلمين وتشريد الملايين واضطراب نظمهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

[59] Alastair Crooke, 2017. You can’t understand ISIS If you don’t know the history of Wahhabism in Saudi Arabia. **Huffpost**, March 30. https://www.huffpost.com/entry/isis-wahhabism-saudi-arabia_b_5717157

الفصل الثاني: الدولة السعودية الأولى والعنف المنهجي

عاش الوهابيون بسلاح السيف وكل من عارضهم قتلوه به.[60]

تحت راية الحرب على الشرك والكفر وإزالة المظاهر الشركية من أضرحة ومزارات بدأ الحليفان السعودي والوهابي حملة من العنف المنهجي بهدف بسط سيطرتهم الكاملة على مناطق واسعة من الجزيرة العربية، وإخضاع سكانها لسلطة الحكام السعوديين، وفرض العقيدة الوهابية عليهم، واستيفاء الحقوق الشرعية والاغتنام. لم تفلح رسائل التهديد والوعيد التي أرسلها محمد بن عبد الوهاب لإقناع الكثيرين بالخضوع، ولأن الطلب ذو شقين ديني وسياسي-اقتصادي، لم يلقْ استجابة واسعة، وحتى القلّة التي قيل بأنها وافقت على ذلك سرعان ما تمرّدت، ويمكن التكهن بأن الرسائل كانت مجرد ذريعة أو مقدمة لمرحلة العنف التي تلتها بعد زمن قصير، ولو كانت الدعوة الوهابية دينية خالصة لعمد صاحبها لإرسال الدعاة، واستعمال وسيلة الحكمة والموعظة الحسنة، امتثالاً لأمر الله في القرآن الكريم، وهو مأخذ رئيسي على ابن عبد الوهاب ودعوته، لأنه بالتالي لا يفرق بين القبول بالدعوة والخضوع السياسي للحاكم السعودي الذي منّاه وذريته اعتباطاً بإمامة المسلمين.

تعاقب على الحكم في الفترة الأولى من حكم آل سعود أربعة، توفي الأول والثالث منهم بميتة طبيعية، وأُغتيل الثاني انتقاماً، وأُعدم الرابع في عاصمة العثمانيين بعد قضاء القوات المصرية على الحكم السعودي الوهابي. سار الأربعة على منهج واحد في شن الحروب على بلدان وقبائل الجزيرة، وتوغلت قواتهم في مناطق من العراق وسوريا واليمن، وكان هذا العنف الزائد الوسيلة الرئيسية لهؤلاء الحكام وقواتهم وأعوانهم في الهيمنة على مناطق واسعة، وكان أشدهم فتكاً الحاكم الثالث سعود بن

---

[60] Robert Baer, 2004. **Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude**. New York: Crown Publishers, p. 102.

عبد العزيز، الذي قاد العديد من الغزوات أثناء حكم والده عبد العزيز، وترأس بنفسه الغزوات في عهده، ووصف ابن بشر رعب الناس منه: "فإذا سمعوا بمغزاه...هرب كل منهم وترك أخاه وأباه وماله وما حواه"،[61] وهي شهادة من وهابي مخلص على خلو قلب هذا الحاكم الوهابي من الرحمة، وأكد بوركهارت بأن الرعب من اسم سعود بن عبد العزيز كان كافياً ليخضع الناس له، ومن وسائل الإرهاب لهذا الحاكم ما فعله في الرقيعة بالأحساء، إذ تنفيذاً لأمره أطلق مقاتلوه بنادقهم عند الفجر" فارتجت الأرض واظلمت السماء واسقط كثير من الحوامل في الأحساء،"[62] كما ادعى بوركهارت بأن الوهابيين كانوا يجبرون نساء القبيلة أو البلدة التي تتعرض لغزوهم على التعري، للكشف عما قد تخفيه النساء من مصاغ أو مال،[63] وحتى مستشار آل سعود المخلص المصري حافظ وهبة أقرّ بأن " شدة [سعود] المتناهية صرفت القلوب عنه وجعلت الناس ينتهزون الفرص للانقضاض عليه."[64] بعد استشعار العثمانيين المتأخر لخطر آل سعود والوهابيين على دين الإسلام وبلاد المسلمين أمروا واليهم محمد علي في مصر بالقضاء عليهم.

استعمل الحكام السعوديون الأوائل وحليفهم الوهابي ومن بعده ذريتهم كافة أساليب العنف لبلوغ مآربهم، فشملت الاغتيالات والإعدامات والغزو والقتل والمذابح والأسر والحصار والتجويع والاستيلاء على البلدات ومصادرة البيوت والمزارع وفرض الإتاوات وتدمير المباني والمزارع والبساتين، ولاحظ فاسيلييف بأن القتال والغزوات والنهب والتوسع الجغرافي كانت مقومات الحكم السعودي الوهابي وغالباً ما كانت غزواتهم تؤدي إلى مجاعات،[65] كما أن قبائل نجدية هاجرت إلى العراق

---

[61] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 344.

[62] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها،** مصدر سبق ذكره، ص 63; ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 216.

[63] John Lewis Burckhardt, 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys.** London: Henry Colburn and Richard Bentley, pp. 175-179.

[64] حافظ وهبة، 1956. **جزيرة العرب في القرن العشرين.** الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الآفاق العربية، ص 218.

[65] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 113.

هرباً من العنف الوهابي، ومن دون الغنائم والأسلاب والإتاوات لما حكم آل سعود. وكانت غزواتهم مفاجئة وأكثروا من استعمال الكمائن الليلية، كما أخذوا رهائن من أفراد العائلات الحاكمة والمتنفذة في الجزيرة لردعهم عن التمرّد،[66] واقتفى الحكام اللاحقون من آل سعود سيرة أسلافهم، وهي نفس الوسائل التي تستعملها الجماعات الإرهابية المعاصرة.

الاغتيال والإعدام

اغتيال معارض لا ينهي هذه المعارضة فقط بل يدخل الرهبة في نفوس معارضين فعليين ومحتملين فيرتدعون، لذلك كانت الاغتيالات إحدى وسائل الحكم السعودي الوهابي، وسقط ضحيتها عدد من المعارضين الكبار، وفشلت بعض محاولات الاغتيال، لكنها ظلت ماثلة في ذاكرة الناس، وتداولوا أخبارها، ودونوا تفاصيلها، ومن المحتمل وجود عمليات ومحاولات اغتيال أخرى غير موثقة لأن معظم مؤرخي تلك الحقبة الزمنية وهابيون موالون لحكام الدرعية.

أُغتيل عثمان بن معمر، حاكم بلدة العيينة النجدية في 1750م، أي بعد سنوات قلائل من إبرام الحلف الوهابي السعودي، وعثمان بن معمر هو السبّاق لتوفير المأوى لمحمد بن عبد الوهاب، بعد تعرضه للطرد من عدة بلدان نجدية، وتبنى دعوته، وزوجه من قريبته، لكنه اضطر لإبعاده مكرهاً بأمر من حاكم الأحساء،[67]، الذي توعد عثمان بحرمان بلدته من بعض أرزاقها، وهناك من أشاع بأن عثمان بن معمر أمر جنوده الذين اصطحبوا محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية بقتله في الطريق، وثبتها ابن بشر في أول مخطوطة من تاريخه، لكنها تراجع عن ذلك بعد التأكد من عدم

---

[66] Bowen, The History of Saudi Arabia, p. 72;

تاريخ حمد بن حمد بن لعبون، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن البسّام. خزانة التواريخ النجدية ص 165.

[67] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 115.

صحتها.[68] بعد رحيل ابن عبد الوهاب بزمن قصير زاره عثمان لإقناعه بالعودة إلى العيينة، لكن محمد بن سعود رفض السماح له بذلك. تحالف عثمان بن معمر مع حاكم الدرعية، وصاهره بتزويج ابنته من عبد العزيز ابن محمد، فولدت له سعود الذي سيحكم بعد أبيه، ويستولي على معظم الجزيرة، كما شارك في غزواتهم، لكن كل ذلك لم يشفع لعثمان بن معمر أقوى حكام نجد لدى محمد بن عبد الوهاب، فحكم عليه بالخيانة واضمار الغدر، وصمم على التخلص منه بقتله، وتعاهد مع منفذي العملية. وصف ابن غنام مقتله باقتضاب: "فلما انقضت صلاة الجمعة قتلوه في مصلاه بالمسجد."[69]

لم تقدم مصادر الوهابيين أدلة كافية ومقنعة على خيانة الضحية ابن معمر أو حتى تخليه عن العقيدة الوهابية، واكتفوا بالادعاء بأن نفراً من أعوان ابن عبد الوهاب تحققوا من ذلك، واقتراف الاغتيال في المسجد انتهاك لحرمته، والمساجد بيوت الله، ومن دخلها يكون آمناً، ويستدل من هذه الشبهات على احتمال كون الاغتيال جريمة سياسية لا حداً شرعياً، يهدف إلى الإطاحة بأحد أقوى حكام نجد، وتمهيد الطريق أمام حكام الدرعية وابن عبد الوهاب لتحقيق مخططهم بالتسلّط على نجد وما سواها، وتعمدوا أن تكون طريقة الاغتيال صادمة ورهيبة لتكون رسالة دموية إلى جميع حكام الجزيرة بأن سيوف وخناجر الوهابية غير بعيدة عن رقابهم لو لم يذعنوا لهم.

بعد اغتيال حاكم العيينة بأربعة أعوام اغتيل فيها معارض آخر، وهو سليمان بن خويطر، وكانت جناية ابن خويطر التي لا تغتفر في حكم ابن عبد الوهاب تعاونه مع شقيقه سليمان بن عبد الوهاب القاضي في حريملاء، الذي استدعاه وسلّمه رسالة إلى سكان بلدة العيينة، تضمنت نواقض لعقيدة شقيقه محمد، وطلب منه قراءتها على من يثق به من سكان البلدة، ويبدو بأن ذلك الكتاب أقنع عدداً منهم بالعزوف عن العقيدة الوهابية، كما أكد ابن غنام،[70] فلما علم ابن عبد الوهاب بذلك أمر بقتل

---

[68]عثمان بن عبد الله بن بشر، **مخطوط عنوان المجد في تاريخ نجد 1210-1290هـ.** الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ص 50.

[69] حسين بن غنام، **تاريخ نجد،** مصدر سبق ذكره، ص 103.

[70] المصدر السابق، ص 108.

سليمان بن خويطر، فنفذ أعوانه الأمر. اختار ابن عبد الوهاب وحليفه السعودي سفك دماء هذا الرسول، الذي ما كان عليه سوى البلاغ، مما يدل على اعتراف ضمني بقوة منطق المعارضة، وخشيتهما من اقتناع الناس بها، ولعل عدد الذين اقتنعوا بحجج سليمان بن عبد الوهاب كان كبيراً حتى تقدم القوات السعودية على غزو البلدة واحتلالها والاستيلاء على ممتلكاتها في العام التالي، وامتدت يد الخراب إلى مدينة العيينة العامرة، ولم تخلف منها سوى الأطلال، وكانت مهجورة عندما مر بها الرحالة بالغريف في 1862م، وحتى 1912م لم تُعمر من جديد، كما شهد بذلك الضابط البريطاني ليتشمن، ويبدو بأن عبد العزيز بن سعود وأبناؤه تعمدوا ابقاء الأطلال حتى يومنا الحاضر لإنذار من تسوّل له نفسه معارضتهم، وسمحوا بتكوين تجمع بشري صغير بالقرب من الأطلال. استهدف انتقام الوهابية مدينة المغدور عثمان بن معمر، لكنهم أشاعوا بأن نضوب ماءها بين ليلة وضحاها وبالتالي هجرة أهلها وخرابها كان بسبب رفضهم دعوة محمد بن عبد الوهاب،[71] وهكذا نسبوا له معجزة أو كرامة تبرهن على صواب دعوته.

في 1796م كانت قد انقضت أربعة عقود من السنين على ظهور وتمدد الحكم السعودي الوهابي عندما ادركت السلطات العثمانية خطره على مناطق سيطرتها ورعاياها، وبالرغم من ذلك لم ترسل جيشاً سلطانياً لقمع السعوديين، بل بادر والي بغداد سليمان باشا لتكليف رئيس قبائل المنتفق ثويني بالمهمة، الذي توجه على رأس جيش من القبائل والقوات الحكومية لقتال السعوديين، ولكن المهمة فشلت من دون قتال، عندما أغتال المسترق طعيس القائد ثويني بحربة، ويدعي المؤرخون الوهابيون بأنه أقدم على ذلك طوعاً ومن دون تكليف من أحد، لكن من ناحية أخرى ليس للمسترقين إرادة حرة، وعادة ما ينفذون أوامر أسيادهم، وسواء اقترف فعلته بأمر أو بمشيئته فهي بتأثير العقيدة الوهابية التي تقرّ الاغتيال غيلة وغدراً.

---

[71] Muhammad Asad, 2004.**The Road to Mecca**. New Delhi: Islamic Book Service, p. 232.

إبادة جماعية في القطيف

شهد عام 1786م واحدة من أفظع مجازر آل سعود والوهابيين في الفترة الأولى من الحكم السعودي الوهابي، اقترفها سعود بن عبد العزيز بن محمد وقواته في مدن القطيف. كان الهدف من تلك الغزوة كما في الغزوات الأخرى "تطهير بلدانها من الأصنام والأوثان،"[72] فالقطيف هي الأخرى في حكم الوهابيين دار كفر وشرك وحرب، كما أن أمين الريحاني، الأمريكي المسيحي، أيدهم في الحكم على أهالي المنطقة بعبادة القبور، وزاد على ذلك بفرية لا زالت متداولة بين الوهابيين حتى اليوم وهي أن إباحات القرامطة ما زال لها تأثير في شيعة المنطقة،[73] ويُتهم القرامطة بأنهم كانوا يبيحون إشاعة النساء.

ابتدأ السعوديون الوهابيون ببلدة سيهات، وبعد فرض طوق من الحصار الخانق عليها تسلّقوا سورها، وأمعنوا قتلاً بسكانها، ووصف ابن غنام ذلك الحدث المروع: " قتلوا من وجدوا فيها - وكانوا نحو ألف وخمسمائة قتيل - واستولوا على جميع ما فيها من الأموال التي لا تعدّ ولا توصف،" وأضاف بأن سكان بلدات القطيف تملكهم "الذعر" بعد معرفة مصير سكان سيهات، فاستسلمت الواحدة تلو الأخرى ما عدا بلدة الفرضة، فبعد احتلال الوهابيين القديح واستلاب أموالها، استحلوا العوامية وعنك، أما بلدة الفرضة فلم تستجب لـ "دعوة أهلها إلى الإسلام وأبوا إلا كفوراً" حسب تعبير ابن غنام، فحاصرتها القوة الوهابية، حتى استسلمت صلحاً وقبلت بشروط الوهابي بإزالة ما اعتبرها الوهابيين "أوثاناً"، ودفع إتاوة قدرها ثلاثة ألاف زر أو خمسمائة ليرة ذهبية وفقاً للمسّلم.[74]

الأحساء ضحية البطش المتكرر

لم يكد يمر وقت طويل على إبرام التحالف السعودي الوهابي حتى شنّ أتباع حاكم الدرعية وحليفه الغزوات على مناطق وقبائل الجزيرة، وحان دور الأحسائيين في

---

[72] المصدر السابق، ص 179.

[73] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها.** ص 25.

[74] محمد سعيد المسلم، **ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي.** بيروت: دار مكتبة الحياة، ص 178.

1762م ليذوقوا وبال التسلّط الدموي، ففي ذلك العام توجه عبد العزيز بن محمد على رأس قوة من أتباعه إلى الأحساء، وفي المطير قتل حوالي سبعين رجلاً واستولى على أموال جمة.[75] ولم تكن تلك آخر غزوة للوهابيين للأحساء، فقد تلتها غزوات أفضت إلى احتلال تلك المنطقة الاستراتيجية الغنية بمواردها المائية والزراعية قبل اكتشاف واستخراج النفط منها.

تقع قرية الفضول في شرق منطقة الأحساء، وسكانها مثل بقية أهالي الأحساء مزارعون، وغالبيتهم مسالمون وغير متمرسين على القتال، استهدفها الجيش الوهابي بقيادة سعود بن عبد العزيز بغارة، وسدوا عليهم سبل الفرّار، فاضطروا لدخول بيوتهم ، فاقتحم الوهابيون البيوت وقتلوا من فيها، وعددهم ثلاثمائة رجل، ووصف ابن غنام مقتلهم: "قتلوهم قتل النِّعم"، والنعم هي الغنم والماعز والبقر والإبل. [76]

عندما نفذ صبر الإحسائيين على تعسف السعوديين الوهابيين انتفضوا في 1793م على حاكم الدرعية ورسل الوهابية بين ظهرانيهم، ففي الهفوف اقدم سكانها الساخطون على الحكم السعودي الوهابي على قتل ثلاثين من مندوبي الوهابيين من بينهم الوالي ومأمور بيت المال، وسحبوهم في الأسواق، ومثلوا بجثثهم.

وفي 1795م توجه سعود بن عبد العزيز إلى الأحساء، وسكانها كما وصفهم ابن لعبون "تحت الطاعة"، أي لم يخرجوا على الحكم السعودي الوهابي، وبرّر المؤرخ تلك الحملة بذريعة حدوث أمور غير مرضية في نظر الوهابيين، فكانت حملة وقائية لمنعهم من التفكير بالتمرّد، فأقدم على قتل الكثيرين من السكان، ونفذت الإعدامات من دون محاكمة، إذ كان سعود يقتل من يشاء، ويستثني من يشاء من القتل، واستمر على ذلك لشهور كما وصف ابن بشر:[77]

> فأقام في ذلك المنزل مدة أشهر، يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال ويهدم

[75] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. مصدر سبق ذكره، ص 90.

[76] حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، مصدر سبق ذكره، ص 172.

[77] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، مصدر سبق ذكره، ص 216.

> المحال... وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم... وأكثر فيهم سعود القتل.

ونجا من الإعدام الذين جددوا الولاء للحاكم السعودي والعقيدة الوهابية، وافتدوا أنفسهم بالمال، واستبقاء هؤلاء السكان الذين يعتبرهم الوهابيون أما شيعة مشركين وكفار، ويحلّلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، أو متمردين دليل على أن اخضاع مناطق الجزيرة وسكانها والاستفادة من مواردها هدف مساو في الأهمية، أو لعله أهم، لنشر العقيدة الوهابية، التي هي أيضاً وسيلة من وسائل سيطرة حكام الدرعية، والإعدامات الجماعية التي نفذها وأشرف عليها سعود بنفسه عقابية للمتمردين ورادعة لمن قد يفكر بذلك من المُستحيين. وحتى اليوم يستعمل الحكام السعوديون وبتبريرات شرعية من مفتيهم الوهابيين الإعدامات أداة فعالة لمعاقبة المعارضين والرافضين لحكمهم.

نكبة شيوخ مطير

أعاد الملك السعودي عبد العزيز بن سعود رواية مقتل شيوخ بني مطير مراراً على مسامع مستشاره المصري حافظ وهبة، كما ذكر ذلك في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين، ومن المعتاد أن يتذكر المرء الأفعال الحسنة لأجداده ويشيد بهم، ولعلّه سبب ذلك التكرار، لذا فمن المستبعد أن يكون الملك مستقبحاً فعل الحاكم السعودي الثالث في الفترة السعودية الوهابية الأولى، وخلاصة الحكاية المرعبة أن شيوخ قبيلة مرّة وفدوا على الحاكم السعودي سعود بن عبد العزيز للتشفع بأقاربهم من الشيوخ المحبوسين في سجنه، ومن عادة العرب قبول الشفاعة إكراماً لمن يطلبها، لكن الحاكم السعودي رفض ذلك الاسترحام، لأنه كما برر حافظ وهبة "أنس منهم روح الاعتزاز"، أي ربما أنهم لم يتذللوا لسعود، ونكاية بهم أمر بقطع رؤوس

المحبوسين، ثم دعا المستشفعين للطعام، فوجدوا رؤوس أقاربهم على السِّماط، وأمرهم سعود بتناول الطعام.[78]

الانتقام الرهيب من سكان الرياض

الرياض هدف استراتيجي للأطماع السعودية الوهابية، حرصوا على احتلالها في الفترات الثلاث لحكمهم، واتخذوها عاصمة لهم. في الفترة الأولى استغرق احتلالها سبعاً وعشرين عاماً من القتال، وانتهى بمجزرة رهيبة، راح ضحيتها أعداد كبيرة من رجال ونساء وأطفال الرياض. منذ أول هجوم على الرياض في 1746م تكررت محاولات الوهابيين لاحتلالها على الرغم من مقتل إثنين من أبناء الحاكم محمد بن سعود، وفي عام 1773م حاصر الحاكم السعودي عبد العزيز بن محمد والقوات الوهابية المدينة، واختار لذلك توقيتاً ممقوتاً، إذ باغتهم صبيحة العيد، وعادة ما يكون المسلمون منشغلين بالتحضير لهذه المناسبة الدينية السعيدة، وتمكن من اقتحام بعض بروج الحراسة وهدمها، وبعد مقاومة شديدة أدرك حاكمها دنو الهزيمة النهائية، فقرر مغادرة المدينة، وكعادة الوهابيين في ادعاء العون الرباني لقواتهم عزا ابن لعبون هروب حاكم الرياض إلى "أن الله ألقى الرعب في قلبه"، وتبعه الرجال والنساء والأطفال من سكانها، خوفاً من القتل بأيدي الوهابيين، وتوجهوا نحو منطقة الخرج التي تبعد حوالي مائة كيلومتر، وطاردهم الوهابيون ليوقعوا فيهم المزيد من القتلى واغتنام الأسلاب، وتفاقمت معاناة المدنيين من نساء وأطفال نتيجة قيظ الصحراء، فتوفي الكثير منهم جوعاً وعطشاً، ويعرف سكان نجد جيداً مخاطر الصحراء المميتة في موسم الصيف، وبالتالي فلم يقدموا على هذه المجازفة واحتمال الموت جوعاً وعطشاُ إلا لأنها أقل وطأة من الاستسلام لقوات آل سعود ومحمد عبد الوهاب، وحتى ابن لعبون أقر بأنهم هربوا "خوفاً من بطش عبد العزيز "، فهم كانوا كالمستجير من النار بالرمضاء، وظل هروب حاكم الرياض دهام منها مضرباً لمثل كل

---

[78] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مصدر سبق ذكره ، ص 220.

من يقترف عملاً أحمقاً، والأجدر أن يكون شاهداً على قسوة السعوديين الوهابيين، أما الحاكم السعودي الوهابي فمكث في المدينة للاستيلاء على ما فيها من مال وسلاح ومزارع وبيوت، وأُحصي قتلى سكان الرياض بألف وثلاثمائة والسعوديين الوهابيين بألف وسبعمائة في تلك المعارك التي انتهت باحتلال المدينة.[79]

مذابح في القصيم

تمكن الوهابيون من احتلال حصن قريب من مدينة بريدة القصيمية في 1775م، وأرهبوا سكانها لإخضاعهم، فشنوا عليهم غارات يومية، ووصف ابن غنام حالة الرعب التي سادت سكانها: "حتى صار أهل البلدة لا تنام لهم عين من الخوف ولا تخرج لهم سائمة للمرعى"،[80] وبعد فشل حاكم بريدة راشد الدريبي في الحصول على نجدة من خارجها اضطر للاستسلام لخلاص أهلها من القتل والحصار، وغادر المدينة، فدخلها الوهابيون وانتقموا من سكانها بإعدام خمسين رجلاً من جماعة الدريبي، واستولوا على كافة أموالها، وعينوا والياً منهم عليها.

طفح كيل أهالي بعض بلدات القصيم من تعسف الوهابية، فاتفق سكان بلدات الخبراء والجناح والشماس على التخلص من الموالين لآل سعود، واستمدوا تأييد رئيس الأحساء والقطيف سعدون بن عريعر، فلما بلغهم بقواته، قتل أهالي الخبراء رجل الدين الوهابي منصور أبا الخيل وأحد أقاربه، وقتل سكان الشماس الوالي علي بن حوشان، وقتل سكان الجناح أحد الوهابيين.[81] وهذا مثال على نقمة النجديين على آل سعود والوهابيين لما اقترفوه بحقهم من القتل والتنكيل حتى خاطروا بإغضابهم واستجلاب انتقامهم.

---

[79] **تاريخ ابن عيسى،** خزانة التواريخ النجدية، ص 78.

[80] حسين بن غنام، **تاريخ نجد،** مصدر سبق ذكره، ص 143.

[81] عبد الله محمد البسّام، 2000. **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق.** الكويت: شركة المختلف للنشر والتوزيع، ص 224.

اقتصاص اليمنيين من الوهابيين

مُني الوهابيون بهزيمة كبرى في 1781م، إذ انتقم أهل نجران منهم بعد تعرض جماعة منهم لهجوم مباغت من قبل قوة وهابية، نتج عنها مقتل وأسر عدد منهم، فاشتكى الناجون لرئيسها الحسن بن هبة الله، الذي جمع قوة من سكانها وقبائل يمنية أخرى،[82] وتوجهت القوة اليمنية نحو نجد، فتهيأ حاكم الدرعية عبد العزيز للقتال، واستنفر قواته وكل من "بلغ سن الاحتلام"، مما يدل على تخوف الوهابيين من قتال اليمنيين، لذلك جندوا حتى الأطفال، لكن الوهابيين ورغم كثرتهم انهزموا قرب قرية حائر، وتكبدوا أربعمائة قتيل وأسر ثلاثمائة، ويعزو ابن غنام تلك الهزيمة النكراء التي حلت بقومه لا إلى ضعفهم وقوة اليمنيين بل إلى زهوهم بكثرة عددهم واعجابهم بقوتهم مما "يوجب عقاب الله...فكانت تطهيراً وتمحيصاً للمؤمنين".[83]

مباغتة سكان اليمامة

من عادة سكان نجد الخروج إلى البراري بعد سقوط المطر للنزهة في الأرض المخضرة، ففي 1783 م كان عدد من سكان اليمامة يقضون أوقاتاً ممتعة في باديتهم عندما فاجأتهم قوة من الوهابية بقيادة ابن حاكم الدرعية سعود، ولم يكن المتنزهون متهيئين للقتال، فلاذوا بالفرار أمام الوهابيين، الذين طاردوهم وقتلوا منهم ثمانين رجلاً، ومن المرجح أن يكون من بين المتنزهين ذلك اليوم نساء وأطفال، شهدوا تلك المذبحة المروعة التي راح ضحيتها أعزتهم غدراً.

---

[82] Wynbrandt, 2004. **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 122.

[83] حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، مصدر سبق ذكره، ص 124.

مقتلة بني خالد (1787م)

ابتدأ الوهابيون القتال، فقد كانوا يترصدون عودة أفراد من قبيلة بني خالد إلى ديرتهم، فسارع القبليون للتصدي للوهابيين، ظناً منهم بأنهم أعراب غزاة قلّة، ففاجأهم الوهابيون بكامل قوتهم، ولا بد أنهم استبسلوا في الدفاع عن قبيلتهم، ولم يهزموا إلا بعد مقتل ستمائة من صفوفهم، وفقاً لابن غنام،[84] وقدر مصدر اخر عدد القتلى بأكثر من ألف رجل وحتى ألفين،[85] ولم يكتف الوهابيون بهذا الرقم الكبير من القتلى، فمضوا يطاردون الفارين ويمعنون فتكاً بهم، وكعادتهم استولوا على ما خلفوه من خيل وإبل.

الخليجيون يذوقون بأس الوهابية

حلفاء اليوم من دول الخليج كانوا في نهاية القرن الثامن عشر أهدافاً مشروعة لأطماع حاكم الدرعية وبدعوى تطهيرهم من الشرك ونشر مذهب الوهابية، وطالت غزواتهم الكويت والبحرين وقطر وعمان والتجمعات السكانية الساحلية.

تعرضت الكويت لثلاث غزوات سعودية كبرى نسبياً في 1790م و1798م و1808م، كما هاجموا عمان، مما عجل بدخول البريطانيين المستعمرين مياه الخليج بدعوى محاربة القرصنة، فتحالف بعض حكام المنطقة معهم خوفاً من الوهابيين. وفي البحرين ساعد آل سعود وقواتهم آل خليفة على اغتصاب البحرين وقتل ألفين من سكانها وتوطيد حكم آل خليفة في الجزيرة. وبحلول عام 1810م كانت مشيخات الخليج في الكويت والبحرين وغيرها تدفع الإتاوات السنوية المفروضة لحاكم الدرعية، وعندما احتج آل خليفة على مصادرة أموالهم سجنهم سعود بن عبد العزيز، واستعان هذا الحاكم السعودي بأحد القراصنة وهو رحمة بن جابر الجلهمي

---

[84] المصدر السابق، ص 181.

[85] المصدر السابق.

في قتال حكام البحرين.[86] بعد اطلاق سراح آل خليفة نشبت معركة بحرية بين الوهابيين وجمع من أنصار آل خليفة وأعوانهم من آل الصباح الكويتيين في 1811م، وتراوحت تقديرات عدد قتلى أهالي البحرين والكويت ما بين ألف وألف وأربعمائة.[87]

البطش بالحجازيين في الخرمة

كان جيش الأشراف في 1797م بقيادة الشريف غالب مخيماً في الخرمة بالحجاز عندما باغتته القوة السعودية الوهابية، فهرب جنود الأشراف، وطاردهم الوهابيون للإمعان في قتل المزيد منهم وغنم أمتعتهم، وتراوحت تقديرات أعداد القتلى من الحجازيين ما بين ألف ومائتين وعشرين وألفين وأربعمائة، وفي كل غزوة ناجحة للوهابيين عدوا ذلك نصراً من الله، وفي واقعة الخرمة أيضاً كان سبب هزيمة الحجازيين كما أرّخها ابن غنام "إلقاء الله الرعب في قلوب جنود الشريف."[88]

مجزرة في كربلاء

صادف هجوم القوة الوهابية بقيادة سعود ابن الحاكم عبد العزيز مناسبة دينية لدى السكان الشيعة، فكان الكثيرون منهم في مدينة النجف لزيارة مرقد الإمام علي بن أبي طالب، كما سهّل عملية اقتحام المدينة تهالك سورها واهمال السلطات العثمانية ترميمه، وشكّك بعض المؤلفين من تواطء القائد العثماني لقوة حماية المدينة، الذي عمد إلى سحب قواته ونقلها إلى منطقة بعيدة، وتلكأ في نجدتها حتى

---

[86] عبد الله بن محمد البسّام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق.** مصدر سبق ذكره، ص 264.

Bowen, **The History of Saudi Arabia**, p. 73.

[87] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره ص 320.

[88] حسين بن غنام، **تاريخ نجد،** مصدر سبق ذكره، ص 203.

انسحاب الوهابيين. اقترفت القوة الوهابية بقيادة سعود بن الحاكم عبد العزيز مذبحة ذهب ضحيتها الألاف من سكانها وقدرت بعض المصادر عددهم بنحو خمسة ألاف،[89] ونقلت شريفة زهور بأنهم قتلوا كافة سكان المدينة وحتى النساء الحوامل وكان من بين القتلى أطفال.[90] وذكر جون فلبي مستشار عبد العزيز بن سعود أن الوهابيين قتلوا جميع السكان بدون رحمة في طرق ومساكن المدينة،[91] ونقل فاسيلييف بأن جنود الوهابية كانوا يبقرون بطون الحوامل ويتركون الأجنة على جثث أمهاتهم المضرّجة بالدم،[92] ووصف أمين الريحاني، المتعاطف مع آل سعود والوهابية، ما حدث في أسواق المدينة بأنها "مذبحة هائلة،"[93]

سُمع جنود سعود وهم يألبون بعضهم البعض بالنداء: " اقتلوا! اخنقوا الكفار المشركين!"[94] فاستجابوا بذبح المزيد، ووجد بين القتلى علماء دين وأدباء وطلبة علوم دينية وسدنة المرقد الحسيني.[95]

انتهك السعوديون الوهابيون حرمة مرقد الإمام الحسين بن علي، ودمروا القبة المشيدة فوقه، وانتهبوا محتوياته من النفائس والأموال وكميات من الذهب والفضة والسيوف المرصعة بالجواهر، وأقدموا على تخريب شباك وصندوق المرقد، واستعصى عليهم قلع صفائح الذهب على قبة المرقد. أشار وينبراندت إلى أن الهدف الحقيقي لهذه الغارة هو الاستحواذ على الثروة الضخمة في مرقد سبط الرسول،

---

[89] John Lewis Burckhardt, 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys.** London: Henry Colburn and Richard Bentley, p. 187.

[90] Sherifa Zuhur, 2011. **Saudi Arabia**. Santa Barbara, California: ABC- CLIO, p. 40.

[91] Philby, **Sa'udi Arabia**, p. 93.

[92] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 97.

[93] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها**، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[94] Ali Bey,1816.**Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey, Between the Years 1803 and 1807**, Vol. 2, Philadelphia: John Conrad, p.152.

[95] محمد حسن مصطفى الكليدار، 1969. **مدينة الحسين**. كربلاء: مطبعة اهل البيت ، ص 1270-1278.

ولاحظ باوين بأن الأموال التي نهبت من كربلاء مولت حملات السعوديين في العراق وسوريا.[96]

تفاخر سعود بن عبد العزيز بغزوته لكربلاء وما اقترفته قواته من ذبح لسكانها وتدنيس حرمة قبر حفيد الرسول ونهب النفائس الثمينة في مرقده، ووصف سكانها بالكفرة عبدة الأوثان، فكتب إلى من وصفه بوزير بغداد:[97]

> إنا أخذنا كربلاء، وذبحنا أهلها، اخذنا أموالها، فالحمد لله رب العالمين، ولا نتعذر من ذلك، ونقول [وللكافرين أمثالها].

تضمنت رسالته أيضاً تكذيباً لادعاء الوزير العثماني بأن قواته تعقبت الغزاة السعوديين الوهابيين بإمرة سعود، وأشهد الناس بأنه أي سعود وأتباعه نزلوا بعد الغارة الدموية على كربلاء في قصر الأخيضر القريبة منها، ومكثوا فيها إحدى عشرة ليلة، باعوا فيها المنهوبات بالحراج، وأضاف:[98]

> ونحن ننتظركم في تلك المدة أنكم تظهرون علينا، ونكر عليكم، ونستأصل عسكركم، ونتغلب على بلدانكم، فلما يأسنا منكم، وفرغ المسلمون من بيع ما أفاء الله عليهم، رحلنا بالعز والسلامة...ثم بعد ذلك مشينا ونزلنا على بلدك البصرة، وأقمنا بها عشرة أيام، وذبحنا ودمرنا ما بلغك علمه.

كان برهان سعود بن عبد العزيز على مشروعية مذبحة كربلاء منطقاً معكوساً وفاسداً، ودالاً على قلة فهمه لتعاليم الدين، إذ روي عنه قوله: "لو لم نكن على الحق لما انتصرنا"[99]، فلا يجوز لمسلم الاقدام على فعل ما إلا إذا كان متيقناً بأنه على حق من قبل إتيانه، كما أن النصر ليس دليلاً على كونه على الحق، والرسول الأعظم

---

[96] Bowen, **The History of Saudi Arabia**, p. 73.

[97] **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا. الجزء 9، ص 284.

[98] المصدر السابق، ص 284-285.

[99] **خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود**، مصدر سبق ذكره، ص 94.

والمسلمون هزموا في موقعة أحد وهم على الحق، أما ابن سند فقد اعتبر الغزوة "استدراجاً" و"أنه على الباغي ستدور الدوائر وأن من قال لا إله إلا الله فقد حقن دمه وماله، ولكن الهوى إذا استفحل أعمى البصائر".[100]

أدى ذلك الحدث المروع إلى إدراك العثمانيين خطر الوهابيين على أمن واستقرار امبراطوريتهم، وألّب مشاعر الناس عليهم، ومهّد لحملة الوالي العثماني في مصر محمد علي الكبير التي انتهت بالقضاء على فترة الحكم الأولى للسعوديين الوهابيين، أما النتيجة الأقرب زمناً من ذلك فهي اغتيال الحاكم السعودي الثاني عبد العزيز بن محمد على يد رجل من العراق، اختلفت المصادر حول هويته ومذهبه لكنها اتفقت حول الربط بين اغتياله السعودي ومذبحة كربلاء.[101]

حاول السعوديون الوهابيين غزو مدينة النجف في 1806م لتكرار أحداث كربلاء من قتل ونهب لمرقد الإمام علي بن أبي طالب، لكنهم انكفأوا نتيجة مقاومة السكان وصلابة سور المدينة، فأغاروا على بلدات وقرى غير محصنة وتفتقر للحماية في طريق عودتهم.

غزوات في العراق

كان الهدف الرئيسي لغزوات السعوديين الوهابيين في العراق النهب والقتل، وكان نصيب المدن والقرى الجنوبية الشيعية الأكبر من الضحايا والخسائر المادية والخراب، لكن بعض المدن والقرى التي يقطنها مسلمون سُنّة لم تسلم هي الأخرى من غزواتهم، وفي رسالة سعود بن عبد العزيز بن محمد إلى الوزير العثماني في بغداد تذكير وتفاخر ببعض هذه الغزوات المدمرة:[102]

---

[100] المصدر السابق.

[101] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 135.

[102] **الدرر السنية في الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا**. الجزء 9، مصدر سبق ذكره، ص 285.

نحرناك في رأس الهندية، فلم نجدك، وقدمنا إلى المشهد [النجف]...رجعنا ونزلنا الهندية، وقعدت جموع المسلمين حتى وصلت خان ذبلة، وكل من لقوه وضعوا عليه السيف، ومن خان ذبلة إلى البصرة، أقمنا بها قريباً من عشرين ليلة، نأخذ ونقتل من رعاياك الحاضر والبادي، والأثر يدل على المؤثر; انظر ديارك الفلاحين والبوادي، من بغداد إلى البصرة، كم دمرت من الديار، ولم يبق فيها أثر – ولله الحمد والمنة- كل جميع هذه الجهة.

في 1803م باغتت قوة من الوهابيين مدينة الزبير وقتلت العديد من سكانها وهدمت قبري الصحابي طلحة بن عبيد الله وعالم الدين الحسن البصري، وبعد انحسار المد الوهابي أعيد بناء القبرين. وفي عام 1807م بلغت غاراتهم مدن عانة وهيت على نهر الفرات لغرض النهب. وفي العام التالي لم يكتفوا بالغزو بل سعوا إلى توطيد سلطتهم في الجنوب العراقي، فقاموا بالهجوم على البصرة وزحفوا إلى مدينة الهندية الواقعة ما بين الحلة وكربلاء، وعينوا حاكماً تابعاً لهم، لكن سرعان ما تصدت لهم القوات العثمانية وقتلت الكثيرين منهم وفرّ الباقون.[103]

مذبحة الطائف الأولى

شهد العقد الأول من القرن التاسع عشر الميلادي نكبات الوهابيين لمدن الحجاز، وكانت أفدحها من حيث الفظائع والقتل وانتهاك الحرمات في الطائف. ويذكر كومنز أن الوهابيين السعوديين استباحوا مدينة الطائف في الحجاز في

[103] ألويس موسيل، 2003. **آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية**. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ص 82.

1803م، واقترفوا مجزرة كبرى راح ضحيتها عدد كبير من سكانها، وقيل بأنهم لم يستثنوا من ذلك الأطفال والعجزة، واسترقوا نساءها وأطفالها.[104]

سقطت المدينة بأيدي الوهابيين غدراً، وانتهاكاً لعهدهم مع حاكم مكة الشريف غالب، وطارت أنباؤها المفجعة إلى مصر، فدون الجبرتي بعض تفاصيلها. دام القتال ثلاثة أيام قبل هزيمة سكان المدينة، فاقتحمها الجند الوهابيون، وقتلوا الرجال، ولم يسلم منهم حتى الرضّع، الذين قيل بأنهم ذبحوا على صدور أمهاتهم،[105] وفتكوا بمن عثروا عليه في المساجد والمنازل وطاردوا الهاربين إلى خارج المدينة، وغدروا بالمدافعين الذين استأمنوهم على حياتهم، ونقل محمد عوض الخطيب بأنهم أخرجوا جماعة من السكان ومعهم النساء إلى واد قريب وتركوهم عراة،[106] ونهبوا كل ما وجدوه من مال ومتاع، ونقبوا في البيوت بحثاً عن الأموال المخبئة. ووصف البسّام المشهد في الطائف بعد دخول الوهابيين: "قتلوا الناس قتلاً عاماً واستوعبوا بالقتل الأمير والمأمور والشريف والوضيع ونهبوا البلد، فصارت الأموال في مخيمهم كأمثال الجبال،"[107] وعمدوا إلى الكتب فرموها في الطرق، غير مبالين إن كانت مصاحف أو كتب أحاديث الصحاح للبخاري ومسلم والفقه واللغة، فداست عليها الأقدام ومزّقتها.[108]

---

[104] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 31; John Lewis Burckhardt, 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys**, p. 191.; Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p.133.

[105] محمد الأمين الحسيني العاملي، 1928م.**كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب**. دمشق: مطبعة ابن زيدون، ص 18 وأحمد بن زيني دحلان، 2011م. **خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام**. إسطنبول: مكتبة الحقيقة ، ص 70.

[106] محمد عوض الخطيب، **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث**. قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ص 178 و233.

[107] عبد الله محمد البسّام، 2000م. **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**. مصدر سبق ذكره، ص 248.

[108] **خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام**، مصدر سبق ذكره، ص 81.

حصار مكة المكرمة

نصّ القرآن الكريم والحديث الشريف على حرمة القتال في مكة المكرّمة، قال تعالى:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ [العنكبوت: من الآية67]، وفي آية أخرى: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) [النمل: 91]، وفي الحديث النبوي عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلَّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلَّ لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة«،[109] لكن السعوديين الوهابيين خالفوا هذه النهي الرباني والنبوي الواضح، وفرضت قواتهم حصاراً خانقاً على مكة المكرمة في 1805م، بهدف احتلالها وقسر سكانها على التمذهب بالوهابية، ولم يسلم قاصدوها لأداء شعائر الله من أذاهم، أما سكانها فقد أجهدهم الحصار وقلة الأقوات، فهجرها الكثيرون من سكانها الذين قصدوا سوريا ومصر وحتى الإستانة، أما الماكثون فاضطروا لبيع حلي نسائهم وأثاث بيوتهم بأبخس الأثمان، ليشتروا بها طعاماً لعوائلهم، وبيعت لحوم الحمير والجيف بأثمان باهظة، ودفع الجوع البعض لأكل الكلاب، وهلك الكثير منهم جوعاً، وشوهدت جثث الأطفال متروكة في الأزقة، ووصف دحلان المشهد المفجع في مدينة المسجد الحرام:[110]

> صار كثير من الناس يأكلون الجلود...والأخريط وهو نوع من النبات، فأثر في وجوه الناس وأرجلهم نفخاً وأوراماً، ثم يموتون بعد ذلك، فترى الناس يموتون، وهم يمشون في الأسواق، وترى كثيراً من الأطفال موتى في كل زقاق، وشرب أناس الدم المسفوح، وأكل آخرون الهرات والكلاب وكل ما يجدون من الحيوانات.

---

[109] رواه البخاري ومسلم.

[110] **خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام**، مصدر سبق ذكره، ص 99.

بعد احتلال المدينة هدم الوهابيون القبب على المساجد والقبور. وبعد ذلك بعام أي في 1806م نهبوا النفائس المهداة للكعبة وقيل بأنهم حطموا الحجر الأسود.[111] وفي ذات السنة منع الوهابيون أهل الشام من أداء فريضة الحج،[112] إذ تصدوا لقافلة الشاميين القاصدة الحج برئاسة والي الشام عبد الله العظم، وقتلوا حراسها ونهبوها، وفي العام التالي حظر الوهابيين الحج على من لا يدين بمذهبهم.[113]

الوهابيون في المدينة المنورة

استسلمت المدينة المنورة لجيش السعوديين الوهابيين في 1805م بعد حصار دام حوالي سنة ونصف، ذاقوا خلالها أنواع العذاب والحرمان، وينقل الجبرتي في عجائب الأثار بأن غالبية سكانها هلكوا بالمجاعة، وفي 1807م تجرأ الحاكم الوهابي سعود بن عبد العزيز على دخول الحجرة النبوية واستولى على محتوياتها من هدايا ثمينة، وأكد بوركهارت بأنهم نهبوا النفائس المحفوظة في مرقد الرسول الأعظم، ووزعها سعود على قواته بعد تخميسها، خلافاً لادعاء الوهابيين بأنه باعها ووزع أثمانها على فقراء المدينة، ومن غير المرجح أن يقدم أحد على شرائها عارفاً بمصدرها، أما عثمان بن سند فقد أفاد بأن سعود بن عبد العزيز استولى على ذخائر الحجرة النبوية ومنها حجر ألماس يعرف بالكوكب الدري، استرجعه إبراهيم بن محمد علي بعد هزيمة الوهابيين، وبيعت المنهوبات من المجوهرات والذهب في الهند بأمر سعود.[114] وذهب نولده إلى ما هو أفظع من مجرد نهب محتويات المرقد الشريف إذ روى بأن

---

[111] موسيل، مصدر سبق ذكره، ص 78-79.

[112] **تاريخ ابن عيسى،** خزانة التواريخ النجدية، ص 170.

[113] أمين الريحاني، 1928. **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها،** مصدر سبق ذكره، ص 59 وابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد،** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 135.

John Lewis Burckhardt, 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys.** London: Henry Colburn and Richard Bentley, p. 198.

[114] **خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود،** مصدر سبق ذكره، ص 94.

سعود أمر بفتح القبر وإخراج رفات النبي الأعظم ومن ثم إعادتها إلى داخل المرقد،[115] والمؤكد اشتراط القائد المصري طوسون ابن محمد على حاكم الدرعية عبد الله بن سعود إعادة ما سلب من الحجرة النبوية في اتفاق صلح مؤقت بينهما.

سيوف الوهابية تصل بصرى وحوران وحلب

بلغت أطماع الوهابيين بصرى، التي تقع حالياً في سوريا، ففي 1807م قصد سعود بن عبد العزيز الشام، وكانت بصرى إحدى البلدات المستهدفة بالغزو، وأقدم الوهابيون على حرق حقولها.[116] تكررت غارات الوهابيين على بلاد الشام في 1810م، وبلغت قوات وهابية بتعداد ستة ألاف مقاتل منطقة حوران، وكان مصير سكان 35 قرية من قراها القتل وبيوتهم الهدم وحرق محاصيل الذرة في مزارعهم،[117] ولم ينج من بأسهم حتى كبار السن والأطفال غير المحاربين، كما روي بأنهم سبوا نساءً. وروعت غزوات الوهابيين مدن وقرى سوريا حتى حلب وجوارها، والهدف منها اجبار السكان على اعتناق الوهابية والغنائم وفرض الإتاوات.[118] وأُجبرت القبائل البدوية في سوريا على دفع الزكاة للحاكم السعودي الوهابي وكذلك القرى ما بين مدينتي معان في الأردن حالياً وحلب.[119] روى فتح الله الصايغ الحلبي بعض تفاصيل إحدى هذه الغزوات الدموية:[120]

---

[115] أدوارد نولده، 1997. **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر**. ترجمة عوض البادي. دار بلاد العرب للنشر، ص 68.

[116] **تاريخ ابن عيسى،** مصدر سبق ذكره، ص 171.

[117] Burckhardt, 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys**, pp. 209-210.

[118] Wynbrandt, 2004. **A Brief History of Saudi Arabia**, p.137.

[119] موسيل، **آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية،** مصدر سبق ذكره، ص 81.

[120] **رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية،** مصدر سبق ذكره، ص 181.

أتى خبر أن الغزو الوهابي ضرب تدمر ولم يستطع أن يدخلها لأن من المعلوم أن لها باباً يغلقونه فتصبح في مناعة عظيمة...ولكنهم وجدوا بعض الأنفار خارجها فقتلوها وأخذوا جانباً من جمالهم، وذهبوا إلى أرك [آراك]، فكبسوها عند وجه الصبح وقتلوا جميع الرجال من كل جنس ذكر، ولم يبقوا إلا على النساء فقط، وأحرقوا البيوت وأخذوا طروشهم...ولم يبق أحد له الجرأة ليدخل منها أو يخرج ليلاً أو نهاراً وهم يحرسون دائر الضيعة تحت الخوف والرعب.

مذابح في عُمان واليمن

أخذ هوس الغزو بالحاكم السعودي وأتباعه الوهابيين وما يدرّه من منهوبات سريعة وزكاة وإتاوات إلى عمان في أقصى الجنوب الشرقي لجزيرة العرب، وذكر ابن بشر بأن نبأ قدوم القوة الوهابية كان كافياً لفرار السكان المذعورين، ودارت معركة بين الغزاة والعمانيين المدافعين سقط فيها قتلى من الطرفين، ويبدو بأن نتائجها غير الحاسمة لم ترضْ الحاكم السعودي، فعاودوا الكرة بقيادة مطلق المطيري وقوة أكبر و"نزلوا أهل بلد مطرح المعروف على الساحل وأخذوه عنوة وقتلوا من أهله قتلى كثيرة، وغنموا منه أموالاً عظيمة".[121] وبالرغم من التضحيات البشرية الجسيمة لم تهدأ مقاومة أهالي عمان ومسقط للغزو السعودي الوهابي، فتغلبوا على قوة أرسلها سعود بن عبد العزيز وقتلوا منها مئتين، فعاد مطلق المطيري بقوة أكبر وتغلب على المقاومين العمانيين في عام 1810م.

أشار ابن لعبون في تاريخه إلى غارة سعودية وهابية على بلدة اللحية، وهي على الأغلب بلدة في اليمن بالقرب من ميناء الحديدة، أفضت إلى مقتل ما يقارب الألف من سكانها وأحرقوا البلدة قبل الانسحاب منها.[122]

---

[121] **ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد.** الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص 317.
[122] **تاريخ ابن لعبون**، مصدر سبق ذكره، ص 236.

تدمير المزارع: قطع الأرزاق والأعناق

صرم النخيل وحرق المزروعات قطع للأرزاق لا يقل فداحة عن قطع الأعناق في مناطق صحراوية تندر فيها المياه والأراضي الصالحة للزراعة وتتكرّر فيها المجاعات، وقد تكون نتائجها أسوء لأنها تؤثر سلباً على حياة جميع السكان من رجال مقاتلين ونساء وأطفال، لذا يتمثل العرب بالقول قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق، وقد حفلت تواريخ الوهابية على ذكر هذه الأعمال التخريبية، وفيما يلي بعض الأمثلة عليها.

شهد العام 1748م غزوتين لبلدة ثرمدا النجدية، وليس واضحاً سبب تكرار الغزو، ويبدو بأن الغزوة الأولى لم تحقق أهدافها، والسبب على الأغلب عدم تجاوبهم مع الدعوة، واختار حاكمها وسكانها عدم التصدي للقوة الوهابية، فلم يخرج أحد منهم لقتالهم، وبالرغم من ذلك انتقم الوهابيون منهم بتدمير مزارعهم.[123]

استهدفت قوة من الوهابيين بلدة ثادق بغزوة في 1753م، بهدف اخضاعها، فاختار حاكمها وسكانها المقاومة، وسقط عدد منهم دفاعاً عن بلدتهم، ويبدو بأن الوهابيين يأسوا من احتلالها فانتقموا من سكانها بقطع نخلات بساتينهم. وعاقبهم الحاكم السعودي الوهابي عبد العزيز بن محمد بقطع نخيلهم أيضاً في 1761م. استعمل الوهابيون نفس الطريقة في اخضاع بلدة الحائر لسلطتهم (1764م)، إذ اختار سكانها المكوث في دورهم وعدم مقاومة القوة الوهابية، التي بادرت إلى قطع النخيل، فتخوف سكانها على مصدر رزقهم ومعاشهم، وبايعوا الحاكم السعودي عبد العزيز بن محمد.

امتنع سكان بلدة الدلم في الخرج عن الخضوع لحاكم نجد، فأغار عليهم سعود بن عبد العزيز في 1781م، ونشب بينهم قتال عنيف، واضطر سكانها للاحتماء داخل أسوار بلدتهم، فحاصرهم الوهابيون أياماً ثم انتقموا منهم بقطع حوالي ألفي نخلة.

[123] حسين بن غنام، **تاريخ نجد**، مصدر سبق ذكره، ص 102.

تكررت الغارات السعودية الوهابية على مدن وقرى العراق التي أهمل العثمانيون حراستها، وعاثوا فيها قتلاً ونهباً وتدميراً للمحاصيل وحرقاً للبيوت والمزارع.

احتلت قوة سعودية بقيادة الحاكم عبد العزيز بن محمد بن سعود حريملاء في 1751م، ويتضح من تاريخ ابن غنام بأن عدداً من سكانها قتلوا، لأنه ذكر بأن "عبد العزيز أعطى بقية الناس الأمان "ولأنها أخذت عنوة، وهي بالتالي دار كفر في تصنيف ابن عبد الوهاب اعتبرها "فيئاً من الله"، وبأن دورها وبساتينها "غنيمة".[124] ويوجد فرق فقهي جوهري بين الفيء والغنيمة، فالفيء هو ما يستولي عليه المسلمون من أموال الكفار المحاربين من دون قتال، أي بتعبير الفقهاء " مال مشرك لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب"، وعادة ما يتركه أعداء المسلمين ويلوذون بالفرار هلعاً، وبالتالي فليس من الشرع أن تكون أموال سكان حريملاء فيئاً وغنيمة في نفس الوقت، كما أن إعطاء حاكم الدرعية الأمان لسكانها لا يتفق مع مصادرة دورهم وبساتينها، فمن دونها لا أمان لهم من الجوع والتشرد.

لا يستثني أتباع السعودي الوهابي الداخلين طوعاً في مذهبهم والخضوع لهم من دفع الإتاوات، ففي 1753م عاهد سكان بلدة المحمل ابن سعود والوهابي على اتباع مذهبهما أو كما عبر عنه ابن غنام طلبوا "الدخول في الإسلام"، فقبلا منهم بشرط مجحف وهو التنازل عن نصف زرعهم وريع ثمارهم، من دون اكتراث لنتائجه الوخيمة على حياة السكان. تدل غزوة حلاحل ونتيجتها على أن الإتاوة في هذه الحالة على الأقل أهم من نشر العقيدة، فبعد انسلاخ رئيسها المدعو سويد عن الوهابية غزاها عبد العزيز بن محمد، لكنه رضي منه بتسوية وهي خمسة خيول فأخذها وانصرف.[125]

كان عبد العزيز وابن عبد الوهاب غير راضين تماماً عن اخلاص وطاعة أهالي مدينة حرمة، وبتحريض من رئيسها عثمان من عبد الله سيرّ عبد العزيز بن محمد حملة تأديبية عليها عام 1771م. حاصرت القوة الوهابية المدينة ليلاً، وعند الفجر أطلقوا نيران بنادقهم "فارتجت البلد بأهلها واسقطت بعض الحوامل"، استفسر السكان

---

[124] المصدر السابق، ص 108-109.

[125] المصدر السابق، ص 132.

المذعورين من قائد الجند الوهابي، فأجابهم بأن مطلبهم جلب رهائن من علية القوم لضمان ولاء سكانها، فرضخ السكان لطلبهم وسلموهم الرهائن. تجددت محنة حرمة في 1779م، فبعد حصار دام شهوراً وتخلله قطع نخيل البلدة يأس أهاليها من الخلاص فطلبوا الصلح، ووافقوا على شرط القائد الوهابي سعود بتمليكه أموالهم، وعندما أبلغ والده حاكم الدرعية بذلك كان جوابه: " أن أهل هذه القرية قد تكرر منهم نقض العهود وهي محذور كلها فاهدمها ودمرها"، فهدم سور البلدة وبعض البيوت وأجلى بعض سكانها الذين قصدوا المجمعة والزبير،[126] وطال الجلاء من شكّ الحاكم الوهابي سعود في ولائه، كما فعل أيضاً في المدينة المنورة بعد استيلائه عليها.[127]

في بعض الحالات تعددت ويلات غزوات الوهابيين، فقد لا يكتفون بالتقتيل بل يرفقون ذلك بالنهب والسلب وتدمير مصالح السكان من بيوت وزرع، ففي ميناء العقير بالأحساء انتهب الوهابيون الأموال ثم أحرقوا البيوت في عام 1787م. وبعد استيلاء الوهابيين على مصادر رزق أناس فسيكون مصير الكثيرين منهم الهلاك، ففي 1781م نكب الوهابيون قبيلة الظفير إذ نهبوا جميع مواشيها وقدرت بـ 15000 من الغنم والماعز و500 جمل و15 من الخيل.

الغزو من أجل الثراء والرفاهية

يدعي الوهابيون بأن الهدف الوحيد لغزوات آل سعود الدموية التي باركها ابن عبد الوهاب وسلالته هو نشر دعوة التوحيد ومحو مظاهر الشرك والكفر، لكن نمط حياة سعود بن عبد العزيز يبرهن بأن لتلك الغزوات هدف آخر، بالإضافة إلى مدّ سيطرة آل سعود على مناطق الجزيرة وما جاورها، إذ نقل فاسيلييف عن مصادر أخرى اعتياد سعود وعائلته على حياة رفاهية وترف وبذخ خلافاً لما يدعو له الإسلام من

[126] عبد الله محمد البسّام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، مصدر سبق ذكره، ص 220.

[127] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مصدر سبق ذكره، ص 222.

بساطة عيش، فتوسع في بناء قصره، لتكون لزوجاته غرفاً مستقلة، وزين قصره بالمجوهرات من الذهب واللؤلؤ والأقمشة الفخمة، وقيل أن عباءته كلفت 600000 قرشاً،[128] واقتطع من واردات الأحساء الثلث للصرف على قصره وعائلته وحاشيته. وبلغ عدد الجاريات في قصره المئات، ومن بينهن ست محظيات شركسيات اشتراهن من البلاد العثمانية، وقيل بأنه دفع 3000 ريال أو أكثر ثمناً لكل واحدة، ومحظيات أثيوبيات أهدين له أو سبايا، وتراوحت تقديرات عدد عبيده بين 600 وألف، وامتلك من الجياد الأصيلة 2500، وولده عبد الله 300، واشتكى بعض العرب من ولع سعود باقتناء الجياد الأصيلة، فكلما أعجبه حصان اختلق ذريعة للاستيلاء عليه من صاحبه.[129] لم يكن كل هذا الترف كافياً لأبناء سعود بن عبد العزيز الثلاثة تركي وناصر وسعد. طلبوا منه زيادة أعطيتهم فرفض، " وكان يعطيهم عطاءً جزيلاً". غضب الأبناء ورحلوا إلى عمان مع جمع من رجالهم، ثم عادوا بعد حين فلم يغفر سعود لهم ذلك.[130]

بالسيف قامت وانتهت

بلغت القوات المصرية التي أرسلها واليها محمد علي الدرعية، عاصمة السعوديين الوهابيين، ودمرتها، واستسلم حاكمها عبد الله بن سعود، فأرسلوه إلى إسطنبول مع عدد من أحفاد محمد بن عبد الوهاب، ونفذ بهم العثمانيون حكم الإعدام، وهكذا انتهت الفترة الأولى من حكم آل سعود والوهابية.

عزا حافظ وهبة، مستشار الملك عبد العزيز بن سعود، نهاية حكم آل سعود في تلك الفترة لاعتماد القوة القاهرة والاخفاق في استمالة النفوس ومحدودية تأثيرات

[128] لويس دو كورانسي، **الوهابيون: تاريخ ما أهمله التاريخ**. ترجمة مجموعة من الباحثين، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ص 35.

[129] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 119.

[130] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، ص 317.

العقيدة الوهابية،[131] وخلاص أهالي نجد والحجاز والجزيرة من رهق الحكم السعودي لم يكن بدون ثمن، إذ نتج عن القتال بين السعوديين والمصريين سفكاً للدماء وخراباً للبلدات، وأنحى علماء الدين في القصيم بالمسؤولية عما أصابهم من القوات المصرية على محمد بن عبد الوهاب وذريته الذين حرضوا الحكام السعوديين على استعمال القسوة المفرطة واستعداء الناس.[132]

أدت الصراعات الدموية التي أذكاها السعوديون الوهابيون إلى اغتنام المستعمرين الفرصة للتغلغل في الجزيرة العربية، واستطاع البريطانيون بسط نفوذهم على مشيخات الخليج، مقابل حمايتهم من الأخطار الخارجية، المتمثلة في الحكام السعوديين بالدرجة الأولى، وشجعهم على ذلك مهادنة آل سعود للبريطانيين، ففي 1810م أرسل الحاكم سعود بن عبد العزيز خطاباً إلى حكومة الهند البريطانية التي تولت إدارة مشاريع بريطانيا الاستعمارية في الجزيرة والخليج وبلاد فارس، أبلغها فيه بأنه يعادي من يسمّون أنفسهم مسلمين ولا يلتزمون بكتاب الله وتعاليم نبيه، وطمأنهم بأنه لا يكن عداءاً لهم، وسيمنع أتباعه من التعرض لقواتهم وسفنهم، وكانت فرع شركة شرق الهند الشرقية في البصرة، وهي الشركة التي مهدت لاستعمار الهند وشرق أسيا، ترسل الهدايا إليه .[133]

---

[131] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مصدر سبق ذكره، ص 225.

[132] المصدر السابق، ص 226.

[133] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 108.

الفصل الثالث: فترة الحكم السعودي الثانية: عودة العنف المتطرف

قضت القوات المصرية على الحكم السعودي في مرحلته الأولى، لكنها في الوقت نفسه سهّلت بقصد أو بدون قصد احياء الحكم السعودي في فترته الثانية التي امتدت لأكثر من نصف قرن من 1838م إلى 1891م، فبعد فترة من اضطراب الحكم في نجد عين المصريون أحد أفراد الأسرة السعودية المأسورين بعد سقوط الدرعية وهو خالد بن سعود حاكماً،[134] لكنه فقد الحامي الرئيسي لسلطته بعد انسحاب القوة المصرية في 1840م، وسارع عبد الله بن ثنيان لجمع تأييد قبائل ورجال الدين من أحفاد محمد بن عبد الوهاب الذين رفضوا الاعتراف بشرعية حكم خالد بن سعود لاعتماده على الإسناد المصري، وفي 1841م احتل ابن ثنيان الرياض، لكن الوهابيين سرعان ما انقلبوا عليه وانضموا لمناصري فيصل بن تركي، الذي أفلت من المنفى في مصر بطريقة غامضة كما وصفها كومينز، [135] وأفلح في انتزاع الحكم من ابن ثنيان وسجنه واستلام الحكم في 1843م، ودام حكمه إثنى وعشرين عاماً، وبعد هلاكه تنافس ولداه عبد الله وسعود على السلطة، واغتنم آل الرشيد حكام حائل المعينين أصلاً من قبل آل سعود الفرصة المؤاتية لإزاحة آل سعود من نجد، واضطروهم للهرب واللجوء لدى شيوخ الكويت.

ما أن عاد آل سعود للحكم حتى عاد معهم العنف الوحشي بصوره المختلفة، فهم تعلموا من أسلافهم استعماله لإحكام قبضاتهم على السلطة، وشجعهم أحفاد ابن عبد الوهاب بفتاويهم ونصائحهم على ممارسة ذلك، لذا كانت الفترة الثانية من حكمهم امتداداً للفترة الأولى.

---

[134] لزلي مكلوغلن، 1995. **ابن سعود مؤسس مملكة.** ترجمة د . محمد شيا، الطبعة الأولى. ص 16.

[135] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 49.

التكفير

التكفير هو بمثابة حكم بالقتل أو الإعدام على من وصمه الوهابيون بالكفر، وكان التكفير ولا يزال ذريعة الحكام السعوديين في التخلص من خصومهم، ومبرراً لغزو البلدات والقبائل غير الخاضعة لسلطتهم، وقتل سكانها، ونهب ممتلكاتها، وضمها لسيطرتهم، لذا فهم كانوا بحاجة لفتاوى التكفير من آل الشيخ، ورثة محمد بن عبد الوهاب، والحفاظ على العهد بين العائلتين.

صدرت فتاوى التكفير ونفي الكفر حسب مصلحة الحكام السعوديين، فعلى سبيل المثال كفّر السعوديون الوهابيون العثمانيين لأنهم وقفوا ضد أطماعهم في التسلّط على الجزيرة وجوارها، وبقيت العلاقة بين الطرفين تحكمها المصالح، فتارة يختلفان وينشب بينهما القتال وتارة أخرى تجمعهما المصالح، وظهر ذلك جلياً في الفترة الثانية للحكم السعودي، فعلى الرغم من قضاء العثمانيين بواسطة القوات المصرية على الدولة الأولى واعدام آخر حكامها وبعض حلفائهم الوهابيين وحبس ونفي آخرين لم يتردد الحكام في الفترة الثانية من طلب عون العثمانيين عندما استدعت مصالحهم ذلك، وبالذات في النزاعات بين أفراد أسرة آل سعود على الرئاسة، والمثال على ذلك محمد بن مشاري بن معمر، ابن أخت الحاكم الثاني في الفترة الأولى عبد العزيز بن محمد بن سعود، وهو أول من استعاد السيطرة على الدرعية والرياض بعد نهاية الفترة الأولى للحكم السعودي، لكنه اضطر للتخلي عن السلطة لمشاري بن سعود بن عبد العزيز، وندم على ذلك بعد حين فترجى مساعدة العثمانيين للتخلص من مشاري بن سعود، أما الحاكم فيصل بن تركي فكان حريصاً على نيل رضا العثمانيين وكذلك المصريين، كما لجأ ابنه عبد الله بن فيصل إلى العثمانيين في العراق بعد أن أزاحه أخوه سعود عن الحكم.

عبد الله بن عبد الرحمن آل الشيخ، حفيد الوهابي المؤسس، ورجل دين بارز في الفترتين الثانية والثالثة للحكم السعودي، سكن حائل ضيفاً لدى آل الرشيد الموالين للعثمانيين باختياره، وكان راضياً عن تدينهم بالمذهب الوهابي، كما شهد على ذلك

غيره، لكنه انقلب عليهم بعد تجدد طموح آل سعود لحكم الجزيرة، واتهمهم بالشرك.

آل سعود والمستعمرون

في الوقت الذي كان السعوديون الوهابيون يرمون مسلمين بالشرك والكفر سعوا إلى علاقات وثيقة بالمستعمرين البريطانيين، فقد راسل تركي بن عبد الله البريطانيين عارضاً عليهم الاتفاق على معاهدة وكان الرد البريطاني ودياً لكن من دون التزام.[136] اختبرت العلاقة بين الطرفين في البحرين في 1845م إذ هاجم السعوديون الوهابيون البحرين طمعاً بفرض إتاوة، وعندما عاودوا الكرة في 1850م تصدت لهم البحرية البريطانية، كما قصفت القطيف بعد رفض حاكمها الكفّ عن محاولات احتلال البحرين، وفي 1861م أجبرت بريطانيا حاكم البحرين على توقيع معاهدة تجعل من البحرين محمية بريطانية، ووضعت حداً لأطماع السعوديين بالجزيرة.[137]

توجهت أطماع آل سعود التوسعية في 1865م نحو عمان ومسقط، ودأب السعوديون على مطالبة العمانيين بدفع إتاوة سنوية، ولإرغام العمانيين على الإذعان لشروطهم أرسل عبد الله بن تركي قوة لمهاجمة المنطقة، نجم عنها مقتل عدد من حاملي الجنسية البريطانية من الهنود، فانتقم البريطانيون بقصف سفنهم لعدد من البلدات والحصون الساحلية التابعة للسعوديين، فأبدى السعوديون استعدادهم للتعويض عن الخسائر التي أحدثوها وتعهدوا بعدم تكرار فعلتهم،[138] ثم عاد آل سعود لعادتهم في فرض الإتاوة وكان فيصل يفرض على سلطان مسقط إتاوة سنوية

[136] James Wynbrandt, 2004. **A Brief History of Saudi Arabia**. New York: Facts On File Inc, p. 152.
[137] Wynbrandt, p. 158.
[138] Wynbrandt, p. 162.

قدرها ستة آلف ريال وعلى ساحل عمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي 12 ألف ريال.[139]

شهدت الفترة نمواً واضحاً في علاقات آل سعود مع البريطانيين، ففي صراع الأخوين سعود وعبد الله على الحكم، انحاز البريطانيون إلى صف سعود ضد عبد الله المسنود بالعثمانيين، وقدمت له مساعدة مكنّته من طرد العثمانيين من الأحساء، وهكذا كانت الأطماع التوسعية والصراعات السعودية ورقة رابحة لتغلغل المستعمرين البريطانيين في الجزيرة والمنطقة العربية بحجة ضمان أمن الطريق البحري لمستعمراتها في الهند والشرق.

الإعدامات

بعد استعادة محمد بن مشاري بن معمر الدرعية والرياض قبض على الحاكم مشاري بن سعود الكبير وأرسله إلى أتباعه، وهرب تركي بن عبد الله من الرياض خوفاً على حياته، لكنه نجح في جمع قوة كافية زحف على رأسها إلى الرياض والدرعية وأسر محمد بن مشاري وابنه مشاري، وطالبهما بالإفراج عن مشاري بن سعود الكبير، لكن الأخير توفي في حبس العثمانيين أو أثناء نقله إلى مصر،[140] فانتقم تركي بن عبد الله من قريبيه محمد بن مشاري وابنه وأعدمهما، ولا يستبعد أن يكون ذلك للتخلص منهما كمنافسين محتملين.[141]

في 1834م أتى الدور على تركي بن عبد الله للاغتيال على يد أحد أقاربه طمعاً بالحكم، فأثناء خروجه من المسجد بعد أداء صلاة الجمعة اغتيل بأمر من ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن، المعين من قبله حاكماً على بلدة منفوحة، ولم تدم سيطرة

---

[139] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مصدر سبق ذكره، ص 232.

[140] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 48.

[141] **تاريخ ابن عيسى**، خزانة التواريخ النجدية، ص 120.

مشاري على الرياض طويلاً، إذ حاصره فيصل بن تركي داخل قلعة الرياض، وبمساعدة من قوات آل الرشيد، دحر قوات قاتل أبيه، وأعدمه.

دشن الحاكم السعودي الوهابي فيصل بن تركي فترة حكمه باعتقال وحبس عبد الله بن ثنيان الحاكم السابق، وأثار هلاك ابن ثنيان في السجن بعد شهرين من القبض عليه الشكوك حول ظروف وفاته، ورجحت المصادر اعدامه بأمر من فيصل بن تركي.[142]

وصف وينبراندت عبد الله بن ثنيان الذي استولى على الحكم من خالد بن سعود المعين من قبل المصريين بالقسوة المفرطة، وبكثرة الإعدامات في السنوات القليلة من عهده،[143] أما ابن عيسى فقد كتب عنه في تاريخه بأنه " كان سفاكاً للدماء."[144]

مذبحة أهالي بريدة

تولى عبد العزيز بن محمد آل أبو عليان إمارة مدينة بريدة في عهد الحاكم السعودي تركي بن عبد الله، وكان على رأسها عندما حدثت معركة اليتيِّمة في 1849م بين مقاتلي مدينته وجيش الحاكم فيصل بن تركي، توجد روايتان مختلفتان للأحداث التي سبقت المعركة. الأولى للمؤرخ الوهابي ابن بشر والثانية لمحمد بن ناصر العبودي مؤلف كتاب معجم أسر بريدة. رأى ابن بشر بأن السبب الجذري للمعركة طموح أهالي بريدة برئاسة عبد العزيز آل أبو عليان للاستقلال عن حكم آل سعود، لذلك كان فيصل بن تركي حذراً منهم، وبعد أن نمى إليه استعداد أهل القصيم لقتاله، استنفر قواته، ثم أرسل لرئيس القصيم يدعوه للاذعان والطاعة، فتعهد له بالقبول بشروطه وطاعته ودفع الزكاة والمشاركة في غزواته، فقبل فيصل بن تركي، ثم بعد حين استرعى اهتمام الحاكم السعودي وجود جماعة من "العصاة" فجهز قوة بقيادة

---

[142] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 49.

[143] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 155.

[144] **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سبق ذكره، ص 125.

ابنه عبد الله لغزوهم، ونتج عن ذلك مقتل عدد منهم واغتنام متاعهم ومواشيهم، وأثناء رجوعه صادف جماعة من نفس القبيلة فأغار عليهم، واضطرهم إلى الفرار واللجوء إلى أهالي عنيزة، وتبين لعبد الله بن فيصل وجود قوة كبيرة من أهالي القصيم، وفي مكان يعرف باليتيِّمة فصمّم على مقاتلتها، ووصف ابن بشر مشاهد المعركة الرهيبة كما يلي:[145]

> كرّ عليهم المسلمون كرة واحدة، فغابت عنهم الشمس قبل وقت غيوبها، وأظلم بحالك الغبار شمالها وجنوبها، فوطأهم المسلمون كأنهم لا يرون ولا يسمعون... حتى ولوا منهزمين، وعلى جباههم هاربين، وذهل الوالد منهم عن ولده، والمنهزم أشفق على السلامة ورمى ما بيده، واستمر الضرب والطعن في أقفيتهم بعد أن كان في صدورهم، وانتقل القتل من نحورهم إلى ظهورهم، فلم تر إلا رؤوساً مقطوعة وأسلاباً منزوعة، وأشلاء مطروحة فلم ترجع عنهم خيل المسلمين ورجالهم وأبطالهم حتى قتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وفتكوا فيهم فتكاً شنيعا، فكان الواحد من المسلمين يقتل العشرين.

كما حرص ابن بشر على وصف الحزن الشديد الذي خيم على أهالي بريدة بعد وصول خبر هزيمة ومقتل رجالها.

نقل العبودي عن والده عن عمه تفاصيل عن المعركة تناقض بعضها رواية ابن بشر، إذ تناهى إلى علم أهالي بريدة بأن عبد الله بن فيصل بن تركي هاجم أتباع بريدة من قبيلة عنزة واستولى على إبلهم، وفيها إبل لأهالي بريدة، وأنه قادم لقتالهم، وكما هو متوقع نهض أهالي المدينة للدفاع عن أنفسهم:[146]

> نفر الناس لقتاله بشكل غير معتاد، وبسرعة عظيمة حتى إن القصاب أخذ معه الفأس الذي كان يقطع به اللحم، والنجار أخذ القدوم الذي ينحت به الخشب، والخراز أخذ السكين التي يستعملها في تقطيع

---

[145] ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 263-264.

[146] محمد بن ناصر العبودي، 2010. **معجم أسر بريدة**، الجزء الأول، الرياض: دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ص 248.

الجلد، ونفروا لملاقاته من أجل صدّه عن دخول بريدة، ومن أجل افتكاك الإبل التي أخذها من عنزة. هذا إلى جانب المسلحين بالبنادق والرماح.

شدّد العبودي على مخالفة عبد الله بن فيصل لنهي والده عن التعرض لأتباع بريدة ومقاتليها، كما دحض ادعاء ابن بشر بأن القوة التي قاتلها ابن الحاكم السعودي كانت جيشاً جراراً من أهالي القصيم بلغ تعداده ألف وخمسمائة، لأن عبد العزيز آل أبو عليان كان أميراً على بريدة وليست له سلطة على مدينة عنزة وسكانها، ورجح العبودي بأن ابن بشر لفق هذه التفاصيل تبريراً لأفعال عبد الله بن فيصل، كما استهجن مديح ابن بشر لابن الحاكم الذي خالف أمر أبيه، واعتدى على أهالي بريدة ووصفه لجنوده بالمسلمين وكأن أهالي بريدة ليسوا على دين الإسلام.[147]

أحلى خيارات المستهدفين بالعنف السعودي الوهابي الدموي مرّ، فأما الدفاع عن النفس أو الاستسلام أو الفرار، وإذا كان الدفاع مستعصياً والاستسلام يضع الفرد تحت نقمة السعوديين وخلو قلوبهم من الرحمة يكون الفرار أقل الخيارات مرارة، وكان هذا اختيار أمير مدينة بريدة عبد العزيز محمد آل أبو عليان وأولاده الثلاثة في 1861م، لكن الحاكم السعودي عبد الله بن فيصل لم يكتف بالاستيلاء على المدينة، وبعث وراءهم قوة طاردتهم وقتلت أمير بريدة وأولاده، وتولى أتباع السعودي في المدينة هدم منازل القتلى، إمعاناً في الانتقام منهم ومن عوائلهم، وليضمن عدم ظهور أي معارضة لسلطته من هذه العائلة في الحاضر والمستقبل.[148]

---

147 المصدر السابق، ص 252-253.

148 **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سبق ذكره، ص 167-168.

تغريق المدافعين

اشتدت العداوة بين عبد الله بن فيصل وقبيلة العجمان، ففي 1860م هاجم العجمان وكبدهم 700 قتيل واستولى على الكثير من أموالهم،[149] وفي السنة التالية دارت معركة بين جيش الحاكم السعودي عبد الله بن فيصل ومقاتلين من قبائل العجمان والمنتفق قرب بلدة الجهرة الواقعة ضمن الكويت حالياً، انتصرت فيها القوة السعودية، وأضطر المنهزمون للتراجع صوب مياه الخليج، فحاصرهم السعوديون الوهابيون، حتى أدركهم المّد، فغرق منهم ألف ومائة مقاتل.[150] السعوديون الوهابيون في هذه المعركة معتدون، إذ قطعوا مسافة كبيرة من معقلهم في الرياض ليهاجموا القبائل في الجهرة، وفي كل الحالات تنهى أخلاق الحرب الإسلامية عن تغريق الأعداء، ويفتى رجال دين منهم الوهابيون بحرمة قتل حيوان الفأر بالتغريق. سعود بن فيصل هو الآخر ارتكب وأنصاره "الفظائع" بقبيلة العجمان وهم أصهاره، كما أفاد حافظ وهبة، مما أدى إلى نفور الناس عنه.[151]

مئات القتلى في عنيزة

يعمل سكان مدينة عنيزة في القصيم بالزراعة والتجارة، ولعل التجارة وسفرات تجارها إلى البلاد المجاورة وحتى الهند جعلتهم أكثر انفتاحاً وأقل تشدداً، وليس لحكامها مطامع في أراضي غيرهم، ولا يثيرون نزاعات مع جيرانهم، لكنهم كما يتبين من تاريخهم حريصون على استقلالهم، ويقاومون السّاعين للسيطرة على مقدراتهم ونهب خيراتهم، وتحالفوا في سبيل ذلك مع أشراف الحجاز تارة ومع آل الرشيد تارة أخرى، لذلك واجه حكام الرياض السعوديون صعوبة بالغة في اخضاعهم، وكانوا في

---

[149] مقبل بن عبد العزيز الذكير النجدي، **سوابق العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، خزانة التواريخ النجدية، ص 328.

[150] المصدر السابق، ص 166.

[151] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**. مصدر سبق ذكره، ص 234.

معظم فترة الحكم الثانية لآل سعود خارج سيطرتهم، وصدوا حملات السعوديون على مدينتهم مرّات.

روى الرحالة البريطاني شارلز دوتي ظروف طرد سكان عنيزة لأميرها جلوي المعين من أخيه فيصل الحاكم السعودي في الرياض، ونقلاً عما وصفهم بأصدقائه في البلدة كان جلوي فاسداً مستغلاً لمنصبه، يتفنّن في فرض الإتاوات وابتزاز السكان، فيطلب من أحدهم تموراً ومن اخر علفاً لخيوله من دون دفع أثمانها، ويسميها بإيالات سنوية أو غيرها، فاجتمع وجهاء البلدة سراً في 1854م، واتفقوا على طرد جلوي واختيار أمير من بينهم، وعبر سكان البلدة عن سخطهم على الحكام السعوديين والوهابية بوصف كل شخص سيء السمعة بالوهابي.[152]

أغارت قوة سعودية بقيادة محمد بن الحاكم السعودي فيصل على المدينة في 1862م، ودارت جولات قتال بينها وبين المدافعين عنها، أسفرت عن مقتل 400 من أهالي عنيزة، وعمد الوهابيون إلى حصار المدينة، وأمدهم الحاكم السعودي بقوة إضافية مجهزة بالمدافع بقياده ابنه عبد الله، وأمطروها بنيران المدافع، ورموها "رمياً هائلاً"[153] وقطعوا نخيل البساتين، فاضطر أهالي المدينة لطلب الصلح، وسميت بمعركة "كون المطر"، لأن هطول المطر أبطل عمل فتيل بنادق مقاتلي عنيزة.

النخيل أعداء آل سعود !

لا يكتفي آل سعود الوهابيون بقتل أعدائهم ومن يرفض الخضوع لحكمهم بل يعمدون أيضاً إلى التضييق عليهم وحرمانهم من مصادر رزقهم، وأحياناً يقرنون قطع الأعناق بقطع الأرزاق، فعلى سبيل المثال كان الحاكم تركي بن عبد الله يفرض ضريبة على أتباعه عرفت بضريبة الجهادية لتمويل غزواته، ويبدو بأن ولاته على البلدات

---

[152] Charles Montagu Doughty, 1921.**Travels in Arabia Deserta,** vol. 2. London: Philip Lee Warner Ltd. and Jonathan Cape, p. 425-328.

[153] **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سبق ذكره، ص 173-174.

والمناطق التابعة له أجحفوا في تحصيلها، واستوفوا منهم أكثر مما فرضه سيدهم.[154] في هذه الفترة من الحكم السعودي الوهابي أيضاً استمر عداؤهم للنخيل، أحد المصادر الرئيسية لحياة سكان المنطقة، ففي صراع الأخوين عبد الله وسعود بن فيصل، أفرغ فيصل غضبه على سكان وادي الدواسر لمساعدتهم أخيه، فهدم البيوت وقطع النخيل واستولى على الأموال والسلاح.[155]

آل سعود والأتراك ودماء الأحسائيين

كان الصراع على السلطة في نجد السمة الرئيسية للوضع فيها أثناء فترة الحكم الثاني لآل سعود والوهابيين، وأدى ذلك إلى هلاك أعداد كبيرة من البشر وخراب مزارع وبساتين وتعطل التجارة، كما استنفرت قوى خارجية للتدخل لبسط سيطرتها ونفوذها و وتسبب دخول هذه الأطراف في الصراع إلى المزيد من سفك الدماء والخراب في المنطقة، فعلى سبيل المثال بادر عبد الرحمن آل سعود، والد الملك عبد العزيز، بعد اطلاق سراحه من سجنه في العراق إلى الاستيلاء على الأحساء، ثم هاجم الهفوف وقتل معظم أفراد الحامية التركية فيها، فأرسل والي بغداد قوة كبيرة مؤلفة من جنود نظاميين وقبائل المنتفق وفرقة من أتباع آل الصباح من الكويت بقيادة ناصر آل سعدون والي البصرة لاستعادة السيطرة على الأحساء، فهرب عبد الرحمن آل سعود تاركاً سكان المدينة لنقمة العثمانيين والقبليين الذين أمعنوا القتل والتنكيل بهم لعدة أيام حتى استفظعها بعض الضباط الأتراك، وطلبوا من آل سعدون إيقافها فلم يستجب لهم، وهكذا تسببت مغامرة عبد الرحمن آل سعود بسفك دماء الأحسائيين.

---

[154] محمد عبد الله السلمان، 1999. **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية: 1238-1309هـ / 1823-1891م**، ص 313.

[155] البسّام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**. مصدر سبق ذكره، ص 346.

الجوع الوحشي

كان انحباس المطر كارثة متكررة في حياة النجديين، فيموت كثيرون نتيجة المجاعة، ويضطر آخرون للهجرة إلى مناطق داخل وخارج الجزيرة، ولم يكن 1871م من أعوام القحط والمجاعة في نجد، لكنه شهد فصلاً جديداً من الصراع بين الأخوين عبد الله وسعود ولدي فيصل على السلطة، عاد سعود بن فيصل ليستولي على الرياض، وفي نفس العام وعلى مقربة من الرياض، وبالتحديد ما بين الفيضة أو السر وبلدة عنيزة وقع حدث رهيب، إذ أقدم سبعة رجال من قرية السحمة الواقعة في الربع الخالي على القبض على رجل من الفيضة فقتلوه وشووه ثم أكلوه، ووصف ابن عيسى في تاريخه الحدث كما يلي: " أقبل بن شويمان من الفيضة يريد بلد عنيزة فصادفه شلاش بن العميشا من السحمة من قحطان ومعه ستة رجال من قحطان بين المذنب والمربع فشووه وأكلوه".[156] لم يبين المؤرخ ابن عيسى أو غيره تفاصيل إضافية عن هذا الحدث المروع، وأكل لحوم البشر غير معروف بين العرب حتى قبل الإسلام، وهو خطيئة كبرى مضاعفة في التعاليم الدينية، إذ تشتمل على قتل النفس المحرمة وتناول لحم البشر. في الإسلام يتحمل الحكام المسؤولية عن أحوال رعيتهم، وأولها حماية أرواحهم وتوفير مقومات عيشهم، وهم يشتركون في المسؤولية عن هذه الخطيئة الكبرى، لما أحدثوه من خراب وتعطيل للمصالح نتيجة غزواتهم المتكررة والصراع على السلطة، كما أن الحدث وقع بعد أكثر من قرن على نشوء الوهابية، ولم ينفك أتباعها من الادعاء بنجاحها في تصحيح عقائد النجديين وغيرهم وتهذيب سلوكهم، لكن من الواضح بأن هذه التأثيرات لم تسر على هؤلاء السبعة القتلة آكلي لحوم البشر.

---

[156] **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سبق ذكره، ص 210.

نهاية الدولة السعودية الثانية

نجح آل سعود في استقطاب ولاء بدو نجد وغيرهم، فتمكنوا من العودة إلى السلطة واتخاذ الرياض عاصمة لهم، ولكن ذلك كان متقطعاً، نتيجة تجدد الحملات المصرية والعثمانية والخلافات بين أفراد عائلة آل سعود وظهور منافس قوي من حائل وهم آل الرشيد، وقد برهن تناوب حكام من آل سعود على السلطة حقيقة زئبقية الولاءات القبلية، فعلى سبيل المثال في اليوم الذي قدمت وفود من بلدتي سدير والمحمل لمبايعة الحاكم مشاري أقسموا على ولائهم له في الصباح، لكنه قتل بأمر تركي بن عبد الله الذي استلم الحكم من بعده، فبايعته وفود البلدتين.[157] ووصف الريحاني سكان نجد في تلك الحقبة: "انتشرت [بينهم] الرّدات، ففسدت أخلاق الناس، وتلاشت فيهم القوى المعنوية والروحية"،[158] وهي شهادة على انكفاء النجديين عن العقيدة الوهابية وتنكرهم لها، ولم يكن ذلك خافياً على الحكام السعوديين، فعندما اقتربت القوات المصرية من الرياض في 1830م أيقن فيصل بن تركي بأن المكوث فيها تحت الحصار مخاطرة غير مأمونة العواقب بسبب خلافه مع أهلها لذلك آثر الهروب منها.

في الفترة الثانية من الحكم السعودي ابتعد آل سعود عن التطرف الوهابي الذي تبنوه سابقاً بحماس، واعتمدوا سياسة براغماتية مصلحية، ففي علاقاتهم بالقوى الإقليمية والدولية لم يجاهروا بالحكم على العثمانيين والحكومة المصرية بالشرك والافتاء بوجوب قتالهم، وسعوا إلى التقرب من البريطانيين والتحالف معهم، كما أن شيوخ الوهابية في تلك الفترة مارسوا درجة من الانتهازية في مبايعتهم لكل فرد من آل سعود أوصلته القوة إلى احتلال الرياض، وحتى الذين خرجوا على أخ أو قريب لهم، والخروج على الحاكم محرم في شرعهم، وشيخهم عبد الله بن عبد اللطيف لجأ إلى آل الرشيد في حائل بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، معترفاً لهم بصحة عقيدتهم في المقياس الوهابي المتطرف، لكن بعد عودة الروح للأطماع السعودية بالتسلّط

[157] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها**، مصدر سبق ذكره، ص 77.

[158] المصدر السابق.

على الجزيرة اتهم آل الرشيد بالهرطقة لأنهم يوالون الدولة العثمانية. شارك الوهابيون بعد ذلك في مختلف أشكال العنف الذي اختاره آل سعود لتنفيذ خطتهم، فأصدر رجال دينهم الفتاوى الحاثّة على ما أسموه الجهاد خلف آل سعود، ، وأجازوا غزواتهم ومذابحهم، وأصدروا أحكام الإعدام بمنافسيهم ومعارضيهم.

الفصل الرابع: مملكة التكفير والسيف

من أقوال عبد العزيز بن سعود:

"لقد فرضت مملكتي بسيفي، وبجهودي، فليضع ابنائي من بعدي جهودهم أيضاً."[159]

"لا تنسوا، أن ما من رجل منكم إلا وذبحنا أباه أو أخاه أو ابن عمه، وما ملكناكم إلا بالسيف."[160]

"ضربته على الساق الأولى فسقط، ثم ضربته على العنق، فهوى الرأس إلى جانب واحد ونفر شلال من الدم، والثالثة كانت في القلب، رأيت القلب شق نصفين... لقد كانت لحظة لا توصف، فقبلت السيف."[161]

"هل منكم أحد إلا القلة لم تلعب في رقاب آبائه وأجداده سيوفي وسيوف آبائي وأجدادي من قبل؟"[162]

عاد آل سعود إلى الحكم لفترة ثالثة، ووسعوا سيطرتهم، وأسسوا نظاماً ملكياً مطلقاً، وهم لا يزالون يحكمون سيطرتهم على معظم مناطق الجزيرة العربية، وكان العنف المتطرف وسيلتهم الرئيسية لتحقيق ذلك، وحتى اليوم لم يتخلوا عنه، وباستعمال كافة أشكاله، ولم يكتفوا بالعنف داخل مملكتهم بل صدروه إلى خارجها، فكانت الوهابية الوعاء الفكري الذي تسللوا داخله إلى معظم الدول العربية والإسلامية، ولم تسلم سوى قلة من دول العالم من ويلات تدخلاتهم، وحقق العنف السلفي الوهابي لنفوسهم الموبوءة بالدونية البدوية والتوق إلى الغزو نشوة شاذة، كما غدا سلاحهم الخفي لتخريب كل ما اعتبروه تهديداً لحكمهم من دول ونظم سياسية وطوائف دينية وإثنية. ومر العنف الوهابي المتوحش بمرحلتين: ما قبل إنشاء المملكة وما بعدها، وتميز في كل مرحلة بخصائص مختلفة، ولكنها كلها خدمت

---

[159] Asad, **The Road to Mecca**, p. 178.

[160] أمين الريحاني، 1987. **ملوك العرب**، الجزء 2، بيروت: دار الجيل، ص 572.

[161] Leslie McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 26.

[162] عبد الحميد الخطيب، **الإمام العادل عبد الرحمن الفيصل آل سعود**. الجزء الأول، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1951، ص 176.

أغراض آل سعود وأعوانهم الوهابيين، وساعدتهم في احكام قبضتهم على الجزيرة العربية وما بعدها.

ابن سعود : ما ملكناكم إلا بالسيف

"كان إذا نام فرفيقه سيفه، وأيسر حركة توقظه."[163]

خرج عبد العزيز بن سعود من منفاه في الكويت ليبدأ سلسلة طويلة من الغزوات والمعارك أوصلته إلى السيطرة على معظم مناطق الجزيرة العربية، ليتوج نفسه ملكاً عليها. ساعدته الظروف المحلية والإقليمية والدولية والتحالفات والسياسة البراغماتية في بلوغ غاياته لكن وسيلته الرئيسية كانت العنف المتطرف. اقترف جيشه الوهابي المذابح، حتى عرفوا بالذباحين، وكان مجرد اقترابهم من مدينة كافياً لدفع سكانها إلى الفرار للنجاة بأرواحهم أو الرضوخ لمطالبه، وعندما غدا الذباحون الوهابيون عبئاً عليه تخلص منهم، ليبدأ فصلاً جديداً من العنف، وحتى عندما استقرّ الأمر له أسّس هيئات الأمر بالمعروف والأمر والنهي عن المنكر لمراقبة الناس وإرهابهم. اعترف عبد العزيز باعتماده الإرهاب في أبشع صوره وربما بقصد عندما قال مخاطباً أعوانه لا أعداءه من الإخوان: "لا تنسوا ليس بينكم من لم نذبح له أباً أو أخاً أو عماً، أي بالله، لقد طوعناكم بحد السيف"، واعتمد قادة جنده الترويع المفرط في غزواتهم، فكانوا يختارون الليالي المظلمة لشن هجماتهم ليلقوا في قلوب الأهالي الرعب والذعر، ناهيك عن الذبح والتقتيل بدون تفريق بين مقاتل او أسير أو أعزل، لذلك استحقت مملكته صفة مملكة السيف، وكانت جائزة من يغنم الأكثر من أتباعه جارية حسناء بالإضافة إلى حصته من الأسلاب،[164] وقُدّر عدد ضحايا حملات وغزوات عبد العزيز لبسط سيطرته بـ 400 ألف من سكان الجزيرة وجوارها، وأعدم

---

[163] خير الدين الزركلي، 1988. **الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز**. بيروت: دار العلم للملايين، ص 189.

[164] جون س حبيب، 1998. **الأخوان السعوديون في عقدين 1910-1930**. ترجمة صبري محمد حسن. الرياض: دار المريخ للنشر، ص 139.

حكام المناطق تحت سيطرته حوالي أربعين ألفاً ونفذوا ثلاثمئة وخمسين ألف عملية بتر لأطراف بشرية.[165]

كان عبد العزيز بن سعود الأشد إرهاباً وتخويفاً بين الوهابيين، وبشهادة أمين المالية في مدينة الرياض محمد بن شلهوب عندما خاطب عبد العزيز يوماً: "والله! أخافك أكثر مما أخاف الله"،[166] ويبدو أن عبد العزيز رضي عن هذا الكلام، ولم يأمر بعقاب ابن شلهوب، لأن المسلم هو من لا يخشى إلا الله، وأن يخاف أحداً أكثر منه هو تصريح بالكفر، عند كل فرق المسلمين، وقد قتل ونهب الوهابيون مسلمين على أقل من هذا الكفر الصراح.

التكفير

تأسيساً على عقيدتهم في التوحيد الخالص واعتبار طائفتهم الموحدين الحقيقين أخرج وهابيو القرن العشرين بقيادة عبد العزيز بن عبد الرحمن بقية المسلمين من دائرة التوحيد بحجة مفتعلة أو أخرى، فهم مشركون شركاً أكبر أو أصغر أو أصحاب بدع، وهكذا تسنى لهم تسمية قتالهم بالجهاد وتحليل قتلهم وسلب ممتلكاتهم والتسلّط عليهم وفرض عقائدهم عليهم بالقوة. وبلغ تكفير الوهابيين ذروته عندما ترك عبد العزيز لجيشه المعروف بالإخوان حرية التعامل بالشدة مع القبائل وسكان المراكز الحضرية، واستشهد الريحاني بخطابهم التكفيري في العبارات التالية: "أنت يا بدوي مشرك والمشرك حلال الدم والمال. أنت يا أبا العقال من الكفار- أنا أخو من طاع الله وأنت أخو من طاع الشيطان"،[167] ففي عقيدتهم التكفيرية المتطرفة مخالفتهم في بعض الملبس سبب مشروع للحكم بالتكفير.

---

[165] Hamid Algar, 2002. **Wahabism: A Critical Essay**. New York: Islamic Publications International, p. 42.

[166] هاري سانت جون فلبي، 1421 هـ. **حاج في الجزيرة العربية**. الرياض: مكتبة العبيكان، ص 184.

[167] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها**، مصدر سبق ذكره، ص 246.

أفاد يوسف كمال حنانة في كتابه المسألة الحجازية بأن رجال دين الوهابية وسلطانهم، أي عبد العزيز بن سعود، وجميع رعاياه "يحلّلون قتل المسلم ويبيحون ماله وعرضه، وهم يريدون إزالة جميع آثار قبور آل النبي والقضاء على الأحياء منهم"،[168] والمؤكد أنهم فرضوا عقيدتهم على سكان الحجاز بالقسر، فلم يعد مستطاعاً لأتباع المذاهب السنية الأربعة الصلاة خلف أئمة صلاتهم، ولم يبق سوى إمام الصلاة الوهابي، وفي المدينة أثبتوا حضورهم وهيمنة عقيدتهم بهدم قبور الصالحين، ومن اقترب من قبر الرسول الأعظم للدعاء جلدوه بالعصا،[169] ولم يكن للسكان خيار سوى الطاعة العمياء خوفاً من سيوف وسياط الوهابيين، وحتى عندما أصدروا لهم تعاليم متناقضة، فعلى سبيل المثال قضوا عليهم صلاة التراويح في مكة المكرمة بعشرين ركعة في النصف الأول من شهر رمضان لسنة 1345هـ/ 1927م و12 ركعة في النصف الثاني بأمر من عبد العزيز بن سعود.[170]

تكفّير زعيم الوهابيين عبد العزيز بن سعود انتقائي، فهو يشمل مسلمين مثل الشيعة والصوفية والأتراك وغيرهم لكنه يستثني غير المسلمين، وروى البريطاني جون فيلبي الذي أدناه عبد العزيز واتخذه مستشاراً مقرباً، بأن أحد الوهابيين خالف أمر عبد العزيز بمرافقته لأن فيلبي في عقيدته كافر، ولما سمع عبد العزيز بذلك غضب، فلجأ الوهابي الخائف إلى ابن عم عبد العزيز ابن جلوي، وأفصح له عبد العزيز عن موقفه من فيلبي والبريطانيين قائلاً: " انظر أيها الكلب إلى ما أرتدي والطعام الذي أتناوله.. كلّه من بلاد الإنجليز كيف تجرؤ إذن على الإساءة لهم؟ اذهب أيها الكلب! فلولا شفاعة ابن جلوي لكنت الآن ميتاً"، ففي نظر عبد العزيز كون ملابسه من صنع إنكليز يخرجهم من دائرة الكفر، لكنه وأتباعه يكفّرون المسلم إن تحققت لهم مصلحة في تكفيره.[171]

ليس فيلبي "الكافر" الوحيد الذي قربه عبد العزيز ومنحه مقاماً رفيعاً في بطانته، فقد اصطفى اللبناني الدرزي فؤاد حمزة، الذي لم يخف مذهبه، وأسند إليه مناصب

---

[168] يوسف كمال حنانة، 1926. **المسألة الحجازية**. بغداد: مطبعة العراق، مقدمة.

[169] المصدر السابق، ص 6.

[170] المصدر السابق، ص 40.

[171] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. 58.

هامة، منها وكالة وزارة الخارجية، وموقف السلفية وفرعها الوهابي من طائفة الدروز معروف، إذ يستشهدون بحكم ابن تيمية بكفرهم: "كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون، فلا يباح أكل طعامهم، وتسبى نساؤهم وتؤخذ أموالهم، فإنهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا ويلعنون كما وصفوا، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يُضلوا غيرهم، ويحرم النوم معهم في بيوتهم ورفقتهم والمشي معهم وتشييع جنائزهم إذا علم موتها، ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم لا المقام عليه،"[172] لكن عبد العزيز لم يكترث لحكم الوهابية بتكفير الدروز بما فيهم مستشاره المقرب، لأن كلمته كانت العليا وما على الوهابيين إلا الطاعة العمياء لولي أمرهم.

وضع آل سعود أنفسهم فوق العقيدة الوهابية بل حتى أحكام الإسلام، فأجازوا لأنفسهم ما عاقبوا عليه رعيتهم، فبينما أجحف قضاتهم في أحكامهم على الصغيرة قبل الكبيرة، فجلدوا الناس على التدخين وتأخير الصلاة أو التهاون في الصلاة بالمساجد، لكنهم امتنعوا عن محاسبة آل سعود على تفريطهم بالتعاليم الدينية، فكانت وما تزال القصور الملكية خارج صلاحيات القضاء الوهابي، وكان شرب الخمور متاحاً لأبناء عبد العزيز مثل منصور وناصر.

الإذلال

الإذلال وسيلة من وسائل الإرهاب النظامي، والهدف منه تعويد الناس على طاعة الحاكم السعودي وأعوانه الوهابيين، وتثبيطهم عن مجرد التفكير بمخالفتهم، ولو حتى بأمور ثانوية، واستعمل عبد العزيز بن سعود هذه الطريقة في اخضاع الحجازيين وسكان الأحساء والقطيف، ففي الحجاز أوعز إلى بعض وجهائهم بمبايعته سلطاناً

---

[172] **مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية** - المجلد الثامن والعشرون (العقيدة). رابط المادة : http://iswy.co/e3jq7

على الحجاز، وكانت تلك الخطوة الأولى نحو تنصيب نفسه ملكاً بدلاً من إمام كبقية أسلافه على المناطق الخاضعة له، وأبهظهم بدفع راتب سنوي أشبه ما يكون بالإتاوة يعادل حوالي نصف دخل الحكومة الحجازية،[173] واستبدل الشرطة المحلّيّين بنجديين وهابيين، ساموا الناس الخسف، وسيروا الدوريات في الأسواق، وفتشوا المقاهي، وجلدوا المدخنين، وضربوهم "ضرباً يفضي إلى الهلاك"، وعاملوهم معاملة "الأنعام...أو كما يعامل الفرنسيون مستعمراتهم في أقصى البلاد الأفريقية"،[174] وافتقر الحجازيون، حتى أن البعض من أثريائها السابقين اضطرهم العوز إلى التردد على التّكيّة المصرية في مكة المكرمة للحصول على صحن من الحساء.[175]

أذلّ عبد العزيز حتى أعوانه المخلصين، وكان من بينهم أفراد من عائلة القصيبي، وهم نجديون نزحوا إلى الأحساء واستوطنوا فيها، واشتغلوا في النقل على الجمال، وفي أعراف القبائل الحجازية يصنفون في طبقة " الخضيريين"، أي الذين لا تعرف أصولهم القبلية أو من قبائل خاملة السمعة، وينظر لهم الأصلاء أو " الشيوخ" باستعلاء، ويستنكفون من مصاهرتهم. ساعد آل القصيبي عبد العزيز بن سعود على احتلال الأحساء، فهم كانوا عيونه في المنطقة، وحثوه على احتلالها، وأدلوا الحبال لكي يتسلق جند الوهابية أسوار مدينة الهفوف عاصمة الأحساء، فدخلها وطرد الحامية العثمانية منها، ثم انطلقت قواته بعدها لتكمل احتلال بقية مدن وقرى الأحساء والقطيف، والتي غالبية سكانها من الشيعة. اتخذ عبد العزيز من عائلة القصيبي أعواناً في المنطقة الشرقية من الجزيرة وفي البحرين، وسخرّهم لخدمة أغراضه، ومنهم عبد الله القصيبي الذي كان مكلفاً بتوفير مستلزمات الإقامة والطعام لعبد العزيز وحاشيته كلما حلّ في الهفوف، وفي إحدى الزيارات المفاجئة لم يجد القصيبي سوى علب مربى الخوخ واحتار في تدبير الخبز لتقديمه لعبد العزيز وبطانته، فخشي على نفسه من غضب الطاغية السعودي، وتوارى عن الأنظار، فلما سمع عبد العزيز بذلك أرسل من جلبه للمثول أمامه وعفا عنه.[176] روت سيدة من عائلة

---

[173] حنانة، **المسألة الحجازية**، مصدر سبق ذكره، ص 11.

[174] المصدر السابق، ص 15.

[175] المصدر السابق، ص 67.

[176] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p.7.

القصيبي بأن ضائقة مالية اضطرت جدها لتكليف أبيها بالذهاب إلى عبد العزيز ليطلب منه تسديد مبالغ بذمته للجد. لم يستجب عبد العزيز لاسترحام الجد، فعاد الأب من دون نقود، وبالنتيجة أرغم العوز والدها على العمل في سياقة شاحنات النقل، ولئلا يعرفه الناس فيعيرونه أخفى وجهه بشماغه أثناء قيادته للشاحنة.

القتل الغادر: العيد الدموي

كشف عبد العزيز بن سعود عن الغدر في طباعه وخلق والده عبد الرحمن، فبعد احتلال آل الرشيد للرياض وانتهاء الحكم السعودي فيها عفوا عن عبد الرحمن، وسمحوا له ولعائلته بالمكوث في الرياض. وفي 1889م دعا عبد الرحمن حاكم الرياض سالم بن سبهان وبطانته إلى وليمة على شرفه، وصادف اليوم عيد الأضحى، وكان أعوان عبد الرحمن حاضرين أيضاً وبانتظار إشارة من سيدهم، ليثبوا على المدعويين من آل الرشيد ويذبحونهم، ولم يبق حياً منهم سوى الحاكم نفسه، الذي تمكن من الفرار. لم يتجاوز عمر عبد العزيز بن سعود الذي شهد المجزرة في حينها الخامسة عشر من عمره، ونقل عنه بأنه تعلم منها المبادرة إلى توجيه الضربة الأولى،[177] وقد نهت التعاليم الإسلامية عن الغدر، فهو من صفات المنافقين، وأعظم الغدر هو غدر الحكام، كما ورد في حديث الرسول الأعظم: "ألا ولا أعظم من غدرة أمير عامَّةٍ"، (رواه أبو سعيد الخدري)، فالدعوة إلى الوليمة عهد مسالمة، والغدر في يوم عيد للمسلمين خطيئة مضاعفة.

[177] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. 15.

سادية ابن سعود

عندما يقدم صبي في الحادية عشرة من عمره على قتل إنسان فلا بد أنه كان متهيئاً نفسياً لسفك الدماء، وسيكون من السهل عليه تكرار ذلك مراراً فيما بعد، حتى يصبح قاتلاً محترفاً، وكان هذا الصبي القاتل عبد العزيز بن سعود.[178] يتلذذ الفرد السّادي بسفك دماء وتعذيب ضحاياه، وعادة ما يخفي هذه النزعة الوحشية الشاذّة والمستنكرة، لكن عبد العزيز بن سعود وعلى خلاف البشر الأسوياء كشف عن ساديته، وبيّن تفاصيلها للمؤلف أمين الريحاني، واقتبسها عنه آخرون، ففي سنة 1904م وصف عبد العزيز في خطاب إلى مبارك الصباح بعض تفاصيل هجوم جيشه على حامية حاكم حائل في مدينة عنيزة بالقصيم، فادعى بأنهم قتلوا منهم 370 رجلاً ولم يهلك لهم سوى اثنان، وأسهب بصورة مقزّزة في الطريقة التي قتل فيها أسيراً من آل الرشيد وهو عبيد بن حمود آل الرشيد.[179]

> ضربته على الساق الأولى فسقط، ثم ضربته على العنق، فهوى الرأس إلى جانب واحد ونفر شلال من الدم، والثالثة كانت في القلب، رأيت القلب شق نصفين... لقد كانت لحظة لا توصف، فقّبلت السّيف.

من المرجح أن يكون السيف الذي قبله ابن سعود ملطخاً بدماء ضحيته، والدم عند غالبية فقهاء المسلمين حرام، ومنهم الوهابي محمد بن صالح العثيمين،[180] لكن ذلك لم يمنع ابن سعود من التلذذ بتقبيل سيفه.

الدخالة قيمة أساسية قديمة لدى العرب، وأقرّها الإسلام، وتعني منح الأمان لمن يدخل على آخر طالباً حمايته، ولو كان الدخيل قاتل أبيه أو أخيه، والتزم العرب بها على مر العصور، لكن عبد العزيز بن سعود خالفها، فعندما قدم عليه شيخ قبائل

---

[178] نقل خير الدين الزركلي عن كاتب فرنسي أن عبد العزيز كان في الحادية عشر من عمره عندما قتل إنساناً: الزركلي، **الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز**، مصدر سبق ذكره، ص 21.

[179] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. 29.

[180] محمد بن صالح العثيمين، 2007. **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، الجزء التاسع عشر. الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ص 9.

عتيبة، محمد بن هندي، الذي أعانه في حروبه، ومعه دخيله بتال السهلي، سارع عبد العزيز لتناول سيفه وقطع رأس السهلي، من دون اعتبار لأمان ابن هندي وأمام جمع من شيوخ القبائل، ثم تحول صوب ابن هندي الذي لم يعترض أو يستنكر فعل عبد العزيز ولعله كان خائفاً على حياته،[181] وهو مثال على القسوة المفرطة ونزعة الانتقام وشهوة سفك الدماء لدى ابن سعود.

جنون العظمة

في خطاب لعبد العزيز ألقاه في 1929م كشف عن نظرته الاستعلائية على شعب الجزيرة والعرب بصورة عامة حيث وصفهم بالأطفال الصغار الذين قد يضطر لسفك دمائهم لتأديبهم:[182]

> العرب اليوم هم كالطفل الصغير، يحتاجون إلى عناية شديدة، فمن الواجب على الذي يتولى أمرهم أن ينصحهم ويرشدهم إلى الصواب، وقد عملنا الواجب في هذا الصدد ولكن إذا تمادى البعض في غيهم وظهر أن المصلحة العامة مهددة، اضطرّ ولي الأمر للضرب على الأيدي وسفك الدماء.

وكرر زهوه بنفسه واستعلاءه على العرب واحتقاره لهم واستعماله أسلوب القسر والإكراه معهم في قوله للريحاني: " العرب لا يعرفون إلا مصلحتهم، وغالباً لا يعرفونها فنعلمهم بها ونكرههم عليها، وقد قاسينا كثيراً في سبيلهم، وكانت الخيانة في أقرب الناس منهم إلينا."[183]

---

[181] الرواية مستمدة من مصادر متعددة مناوئة لآل سعود، لكنها أيضاً وردت في مساهمة أحد أعضاء منتدى قبليين سعوديين بعنوان منتديات سبيع العلياء.
http://www.sobe3.com/vb/showthread.php?s=0d324689f58e5723b019e4d6149dc1d6&t=10512

[182] محي الدين القابسي، **المصحف والسيف**. دار الناصر للنشر والتوزيع، ص 55.

[183] الريحاني، **ملوك العرب**، مصدر سبق ذكره، ص 524.

في الأمور الدنيوية كما في الروحانية حرص عبد العزيز على مظاهر العظمة والترف، خلافاً لتعاليم الوهابية التي تؤكد على التقشف ونبذ التبذير، فكان يستحوذ على ثلث عائدات المناطق التي استولى عليها ليصرفها على نفسه وعائلته وبطانته، فشيد قصراً فخماً بمعايير ذلك الزمان والمكان، وارتدى أغلى الملابس، ورافقته حاشية ضخمة أسوة بالأباطرة والخلفاء في الأزمنة الغابرة.[184] وكان يدعو الناس إلى الحضور في أيام من السنة ليوزع عليهم "الشرهات"، وهي مبالغ من المال يقتطعها من عوائد دولته، ليرضى مشاعر العظمة والكبر في نفسه، ويشتري ولاء أتباعه. وبعد اكتشاف واستخراج النفط استأثر بحصة كبرى من عوائده، ولعقود من السنين لم يرشح منها سوى القليل لفائدة السكان، الذين سكن معظمهم في الخيم وبيوت الطين والقش، من دون مياه مسّالة أو كهرباء، وحرموا من الخدمات الصحية إلا ما وفرها المستشفى العربي، الذي افتقر إلى الأدوية والمستلزمات الطبية الأخرى، في الوقت الذي شُيد مستشفيان حديثان في الرياض والطائف لأعضاء عائلة عبد العزيز فقط، كما مدّت شركة أرامكو للملك سكة حديد بطول 670 كيلومتر بين مقريه الشتوي والصيفي، وزودته برئيس طهاة سويسري وبطانيات كهربائية وتكييف هواء، بينما حُرم غالبية سكان الرياض البالغ تعدادهم مئتا أل نسمة من الكهرباء.[185]

تألم الريحاني لمنظر فقراء البدو المتجمعين أمام مدخل مطابخ قصر الملك عبد العزيز فدوّن الوصف التالي:[186]

> كنت أرى كل يوم قبل غروب الشمس ليس في ساحة القصر بل وراءه عند باب المطبخ جمعاً آخر محتشداً هناك، جمعاً كبيراً من فقراء البدو المخيمين خارج المدينة، نساء يحملن أطفالهن، وصبياناً عراة، وبعض الرجال في أطمار ممزقة بالية. جمعاً تأكله القذارة، وتنتشر منه الروائح الكريهة، وكلهم جاؤوا في هذه الساعة وبأيديهم

[184] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p.127.

[185] Fadia Basrawi, 2007**. Arabia's Hidden America**: **A Saudi Woman's Memoirs**. Reading, UK: South Street Press p. 45.

[186] الريحاني، **ملوك العرب**، مصدر سبق ذكره، ص 580.

أوان من الخشب أو النحاس أو الفخار ينتظرون شيئاً من الطبخ، ينتظرون فضلات المائدة العامة. ما رأيت في الفقر مشهداً أشد وبالاً وأبلغ فصاحة في ما يثير التسخط والأحزان مثل هذا المشهد الهائل، إنه لفقر وجوع في قذارة، وقذارة في ذلّ، وذلّ في قناعة.

على غرار الملوك الآخرين في العالم أراد عبد العزيز الاحتفال بالعيد الذهبي لتسنمه العرش في 1950م، وبوشر بالتحضير لذلك، لكن رجال دين الوهابية أقنعوه بالعدول عن ذلك،[187] لأنه مخالف للسنة والعقيدة الوهابية، وربما أدرك بأنه سيكون مصدر إحراج له ولهم بين أتباعه والدول الإسلامية الأخرى.

نقل مكلوغلن عن كاتب ألماني أن عبد العزيز بن سعود أخبره بتلقيه الوحي في واحة جبرين،[188] وفي الإسلام لا يتلقى الوحي غير الأنبياء، أما المؤرخ الوهابي ابن بشر فقد اكتفى بأقل من ذلك بقليل إذ وصف عبد العزيز بأنه الأجدر بأن يكون مهدي زمانه، أي المخلص الذي يقضي على الظلم وينشر العدل في الدنيا.[189]

حرص أتباع آل سعود على تمجيد عبد العزيز وأبنائه، فهو في نظر مفتى الوهابية عبد العزيز بن باز "ظلّ الله في الأرض"، كما حرصوا على إلصاق الخوارق بهم، التي قد ترقى إلى مستوى الكرامات التي لا ينالها إلا أولياء الله الصالحون، والمثال على ذلك رواية سجلها فهد المارك في كتابه من شيم الملك عبد العزيز، فقد صدف أن حاصرتهم النيران هو وأزلامه في مكان يعرف باللصافة، حتى أن الذعر طال رواحلهم، فأمر عبد العزيز جنده بالدعاء إلى الله لينجيهم من النار، ويؤكد الراوي بأن السماء كانت صافية في ذلك اليوم الصيفي عندما رفع القوم أيديهم بالدعاء، لكن سرعان ما ظهرت غيمة، ونزل المطر ليطفأ النيران حتى سالت الأودية.[190]

---

[187] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مصدر سبق ذكره، ص 280.
H.ST. John Philby, 1955. **Sa'udi Arabia**. London: Ernest Benn Limited, pp. 353-354.
[188] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p.43.
[189] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 129.
[190] متعب بن صالح الفرزان، 2009. من شيم الملك عبد العزيز كما رواها الرواة ، **الجزيرة**، 13 أيلول. https://www.al-jazirah.com/2009/20090913/wo2.htm نقلاً عن كتاب فهد المارك.

تناقل أتباع عبد العزيز "كرامة" مزعومة أخرى له في معركة السبلة بين أتباعه والإخوان الوهابيين، الذي تمردوا على سلطته في 1929م، ودارت معركة بينهما عن قرب، وأقسم أتباعه أن رصاص بنادقهم لم يخطئ أهدافه، بينما رصاص الأعداء لم يصب أحداً من جنود عبد العزيز، وعدوا ذلك دليلاً على صواب فعله ونصراً من الغيب.[191] واعتبر عبد الحميد الخطيب الخلاف بين الأمير الهاشمي عبد الله بن الحسين والشريف خالد بن لؤي نائبه في الخربة والتربة "انتقام الله لابن سعود".[192]

بالإضافة إلى كراماته المزعومة اختلق له أتباعه صفات البطولة الأسطورية، فادعوا بأنه قتل رجلاً بقبضة يده، وبأنه قاتل ثلاثة رجال دفعة واحدة، وخلافاً للعقلانية والمنطق أشاعوا بأنه انتزع رجلاً من على سرج حصانه، وقذفه فسقط على صهوة حصان آخر.[193]

تجلى جنون العظمة لدى عبد العزيز في اطلاق اسم عائلته على مملكته في 1932م، فسميت بالمملكة العربية السعودية، وكان وسيبقى السيف شعاراً لها وعلى علمها الوطني، واستنَّ قاعدة أن يكون الحكم لأبنائه من بعده ومن ذريته، فهي مملكتهم، أو كما وصفها أملاك أباءه وأجداده، وبالرغم من كل هذه الشواهد على ولعه بالسلطة والتسلّط كتب الخطيب بأن ابن سعود لا يريد الحكم والسلطان.[194]

التسلّط أولاً ثم النساء

" كنا نؤمن بأن ابن سعود موسى جديد...لكنه استراح إلى ما وصل إليه من حياة الرغد والرخاء، ناسياً شعبه ومستقبل شعبه، واكتشفنا ونحن مرعوبين أنه فرعون"[195]

[191] ناصر محمد الهماش، **أسد الجزيرة.** بدون بيانات النشر.
[192] الخطيب، **الإمام العادل عبد الرحمن الفيصل آل سعود**، مصدر سبق ذكره، ص 32.
[193] هـ. س. أرمسترونج، **عبد العزيز بن سعود: سيد الجزيرة العربية**، ترجمة يوسف نور عوض. بدون بيانات نشر، نسخة إلكترونية، ص 73-74.
الخطيب، **الإمام العادل عبد الرحمن الفيصل آل سعود** ، مصدر سبق ذكره، ص 39.
[195] رأي أحد النجديين بعبد العزيز بن سعود: Asad, **The Road to Mecca**, p. 181

يدعي أتباع آل سعود بأن هدف عبد العزيز بن سعود هو انهاء حالة التشرذم والصراعات في الجزيرة العربية وتوحيد مناطقها وبلداتها وقبائلها، والمؤكد هو أن عبد العزيز لم يكن صنو غاريبالدي ودوره في توحيد إيطاليا، ولا مثيل بسمارك في ألمانيا الموحدة، فلم يطمح أي منهما للاستحواذ على السلطة وتوريثها لأبنائه والتصرف بخيراتها، لكن عبد العزيز بن سعود كان صريحاً وواضحاً عندما برّر استيلاءه على الأحساء والقطيف بأنهما من ممتلكات أجداده، أي الحكام الوهابيين في الفترتين الأولى والثانية من حكم عائلته، كما طالت مطامعه إمارات جنوب الحجاز في نجران وعسير واليمن، وشن حرباً على اليمن واحتل بعض أراضيها بتمويل من شركة ستاندارد أويل الأمريكية ،[196] فهو لم يختلف جذرياً عن الحكام المستعمرين، الذين سعوا إلى تأسيس إمبراطوريات لإشباع نهمهم للسلطة والتسلّط ونهب مقدرات الشعوب، كما حرص على استئصال أي منافسة حقيقية أو محتملة لسلطته من داخل عائلته،[197] لذلك أبعد شقيقه محمد بن سعود وكذلك سعود الكبير من الرياض إلى الحجاز.

انعكست هذه النزعة غير السوية للسلطة والتسلّط على حياة عبد العزيز بن سعود الشخصية، إذ كان مزواجاً بشكل استثنائي، ونقل جون فيلبي عنه بأنه تزوج خمساً وسبعين امرأة وأبدى استعداده للزواج من أخريات لأنه "شاب وقوي"،[198] ونقل نفس المصدر عن فيلبي بأن عبد العزيز أدعى بأنه حتى عام 1930م تزوج مئة وخمس وثلاثين بكراً ومئة من الثيب، لكنه قرر ألا يتزوج أكثر من اثنتين في العام الواحد بعد ذلك،[199] ونقلت بعض المصادر بأن عدد زوجاته أو محظياته مئتان وخمس وثلاثون،[200] وإحدى زوجاته لم يتعد عمرها تسعة أعوام وأخرى أحد عشر عاماً تزوجها بعد وفاة أختها، كما أن اثنتين من زوجاته أرمنيتان (موضي وشهيدة) واثنتين مغربيتان، وهن على الأرجح مسترّقات مخطوفات من بلادهن.

---

[196] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 190.
[197] Wynbrandt, 2004. **A Brief History of Saudi Arabia,** p. 195.
[198] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. xvi.
[199] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. 117.
[200] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p.195.

عُرف عن عبد العزيز تكرار زواجه من نفس المرأة أكثر من مرة، فقد تزوج حصة بنت أحمد السديري، ثم طلقها، فتزوجت من شقيقه محمد، وأنجبت منه، فطلقها هو الآخر ليتزوجها عبد العزيز ثانية، فأنجبت له أبناءه المعروفين بالسيديريين ، ومنهم الملكان فهد وسلمان والأمراء سلطان ونايف وأحمد. وروى ديكسون بأن عبد العزيز تزوج من الجازي الهذلان العجمانية ثلاث مرات، ولإقناع زوجيها لطلاقها لكي يتزوج بها ثانية وثالثة أهداهما عدداً كبيراً من الجمال، وبالإضافة إلى عبد العزيز تزوجت هذه المرأة خمسة رجال، أحدهم أخو عبد العزيز محمد.[201]

لم يكن كسب تأييد القبائل التي تزوج منها سوى هدف ثانوي أو مجرد تبرير غير مقنع، إذ لم تمنع المصاهرة دائماً من الاختلاف والتقاتل، كما أن زواجه في إحدى الحالات لم يدم سوى ليلة واحدة، فبعد ليلة عرسه صارح عبد العزيز فيلبي بأن سيطلقها لأنها لم تعجبه! ونقلت عنه جرترود بيل قوله بفخر بأنه عادة لا يقضي مع زوجة جديدة أكثر من ثلاثة أيام وبعد تطليقها يزوجها من أحد الشيوخ أو أتباعه،[202] وبلغ تهافت عبد العزيز بن سعود على اشباع شهوته لنساء مختلفات واستعراض فحولته إلى زواجه من طفلة تبلغ الحادية عشر من العمر ومن أختين في نفس الوقت، إذ تبيّن له بعد زواج جديد بأنها شقيقة أم أكبر أبنائه فبادر إلى تطليقها، لأن ذلك من أفدح المحرمات في شرع القرآن الكريم، وكونهما شقيقتين والتحريم لم يخف على والديهما وعائلتهما أم أن طاعة عبد العزيز خوفاً أو طمعاً أقوى من خشية الله لدى الوهابيين؟ كما لم تتضح صفة ارتباطه بوالدة ابنه منصور، إذ استبقاها من دون قِران، وتغلبت أحدى زوجاته وهي من قبيلة شمر الموالية سابقاً لآل الرشيد على حاجز الخوف من عبد العزيز فدسّت له السّم، فلم يمت، وروي بأنه طلقها.[203]

من الجلي أن الدعوة الوهابية المتمثلة بسلوك ابن سعود وأتباعه أزرت بمكانة المرأة، وأحطّت بها إلى ما كانت عليه في جاهلية ما قبل الإسلام، وذكر الريحاني بأنه شهد جلد رجل اغتصب فتاة صغيرة خمسين أو ستين جلدة في الرياض إبّان عهد عبد

---

[201] هارولد ديكسون، 1990. **الكويت وجاراتها**، الجزء الأول، صحارى للطباعة والنشر، ص 73.

[202] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. 48.
[203] Mcloughlin, **Ibn Saud**, p. 143.

العزيز،[204] وعقوبة الاغتصاب في الشرع الإسلامي الجلد مائة سوط إن كان المغتصب بكراً والرجم إن كان محصناً، ويقتل إن تم بالخطف أو تحت التهديد بسلاح، فهل جلدوا المغتصب خمسين جلدة أي نصف الحد على الفاعل البكر لأنها صغيرة؟ وكان الأجدر تشديد العقوبة عليه لا تخفيفها. حتى الزمن الحاضر كانت المرأة أو الحريم في ديار آل سعود تذكر مقرونة بعبارة "كرّمك الله"، فهي في مقام واحد مع الكنيف والحيوان والمداس. ولدى سماع أحد العرب المقيمين سعودياً يشبه المرأة بالماعز خاطبه محتداً: إذن والدتك سخلة!

البطش بالمعارضين

استعمل عبد العزيز كل أساليب الحكام المستبدّين في التعامل مع المعارضين أو الذين يتخوف منهم على سلطته، فالذين سعوا لتقويضها أو منافستها تعامل معهم بالقوة والبطش، وكان أخف العقوبات الجلد والسجن، وانتهى مصير قادة الإخوان الذين قاتلوه بالإعدام أو الموت في ظروف مريبة في سجونه، وكذلك الشيعي عبد الحسين الجمعة الذي زعموا وبوشاية بريطانية بأنه كاتب العثمانيين والبريطانيين ليخلصوا الشيعة من جور عبد العزيز، وتوفي ابن أخيه خالد بن محمد بن سعود بظروف "مريبة" في 1933 كما روى وينبرانت بعد اعلان والده ترشيحه لخلافة عبد العزيز بدلاً من سعود بن عبد العزيز،[205] أما أولئك الذين مارسوا هامشاً من الحرية السياسية في الحجاز إبان حكم الأشراف فقد ألغى أحزابهم، وزج بهم في السجون، أو اضطرّهم إلى الهجرة، لكنه في نفس الوقت حاول استمالة البعض بالأموال والمناصب.

---

[204] الريحاني، **ملوك العرب**، مصدر سبق ذكره، ص 557.

[205] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, 195.

الاستعباد

طيلة قرنين من حكم آل سعود راجت أسواق العبيد في جدة والرياض وغيرها، وبيع فيها العبيد من مختلف الأصول العرقيّة، وكانت النسبة الأكبر منهم الأفارقة، كما استرق السعوديون رجالاً ونساءً وأطفالاً من دول عربية وإسلامية أخرى، مثل سوريا والباكستان وإيران، وغالباً ما يقع هؤلاء في قبضة تجار العبيد بالخطف أو البيع، وينقلون إلى الجزيرة ليبيعهم النّخّاسيون السعوديون، وروى أحد الأمراء السعوديين حكاية والدته التي خطفت من إيران، وباعها تجار عبيد إلى حاكم عمان، الذي أهداها إلى عبد العزيز، فتفضل بها على ابنه سعود،[206] وكان عبد العزيز يقدم الجواري ثمناً لولاء وإخلاص أتباعه، كما فعل مع قائد الإخوان فيصل الدويش عندما كان طوع يديه.[207] العبيد هم أيضاً ضحايا الاضطهاد السعودي، وفي نفس الوقت كانوا أداة إرهابية بيد آل سعود، فأحدهم اغتال ثويني عدو آل سعود ،فأنجاهم من الجيش الذي جاء على رأسه بأمر العثمانيين لقتال آل سعود والوهابيين، واتخذ آل سعود منهم حراساً شخصيين وجلادين.

كاد أن يتعكّر صفو العلاقات الدبلوماسية بين عبد العزيز بن سعود والحكومة البريطانية بسبب مسترق، اسمه بخيت، لجأ إلى المفوضية البريطانية في الحجاز، وكان السير أندرو رايان ومنذ 1930م يشغل وظيفة المفوض البريطاني، ويبدو أن العلاقة بينه وبين ابن سعود ساءت منذ اللقاء بينهما بشأن تسليم زعيم الإخوان الوهابيين فيصل الدويش الذي لجأ إلى العراق وتسديد ابن سعود قيمة الأسلاب التي نهبها الدويش من قبائل العراق والكويت، وانزعج ابن سعود من حديث المفوض البريطاني المسهب عن فيصل ملك العراق، فقال بأنه لا يعرف فيصل ولا غيره، فرد عليه المفوض البريطاني إذا كنت لا تعرف الملك فيصل فأنت تعيش في "عالم من الخيال"، فغضب ابن سعود وادعى فيما بعد بأنه قال بعد انتهاء المقابلة: " لولا أني أخشى المشاكل لقطعت رأس الملعون"،[208] ما خشاه ابن سعود هو غضب

[206] سيف الإسلام بن سعود، **قلب من بنقلان**. بيروت: دار الفارابي.

[207] وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مصدر سبق ذكره، ص 299.

[208] وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**. مصدر سبق ذكره، ص 95.

البريطانيين وحرمانه من عطفهم ومساعدتهم، أما استعداده لقطع رأس إنسان بسبب كلمات عدّها مهينة فتفضح ميله للبطش واستكباره.

في عام 1932م استجد سبب آخر لاستياء عبد العزيز من السير روبرت رايان، إذ لجأ مسترق أهدي إلى ابن سعود اسمه بخيت إلى المفوضية البريطانية طالباً حمايتها، وتقضي الاتفاقية بين ابن سعود وبريطانيا تحرير الرقيق الذي يلجأ للمفوضية البريطانية، فادعت حكومة ابن سعود بأن الاتفاقية لا تسري على عبيد الملك السعودي، وبأن المفوض البريطاني أهان ابن سعود وحكومته عندما استقدم بارجة حربية بريطانية ونقل بخيت إليها ليكون بعيداً عن قبضة آل سعود، فبادرت حكومة ابن سعود لتقديم مذكرة احتجاج على تصرف المفوض البريطاني، فجاء الرد عليها من وزير الخارجية جون سيمون[209] الذي نفى عن مفوض حكومته أي سلوك غير دبلوماسي، وأبدى موافقته على قراراته، كما أبلغ السعوديين بأن لو رفضوا المفوض الحالي فلن يعين بديلاً عنه، وأثار رد الوزير البريطاني قلق ابن سعود، فغضب على فؤاد حمزة وكيل خارجيته، وتولى حافظ وهبه ابلاغ الخارجية البريطانية بتراجعها عن موقفها من المفوض وابداء تمسكها القوي بأفضل العلاقات مع الحكومة البريطانية،[210] وهكذا نجا المسترق بخيت من عبودية آل سعود، وتسبب بطريقة غير مباشرة في إذلال مسترقيه بمن فيهم ابن سعود نفسه.

محنة البسّام

كان عبد الله عبد الرحمن البسّام من أكبر تجار القصيم في القرن التاسع عشر. أسّس شبكة تجارية واسعة، امتد نشاطها إلى دول عربية أخرى وحتى الهند، ونسج علاقات متميزة مع حكام القصيم والقوى الفاعلة في شمال نجد وبالأخص أمراء آل

---

[209] كانت زوجة جون سيمون كاثرين ناشطة في الدعوة لتحرير العبيد وألفت كتاباً بعنوان العبودية Slavery.

[210] وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**. مصدر سبق ذكره، ص 95-104.

الرشيد، وصفه الرحالة تشارلز دوتي بالفيلسوف،[211] واستحق البسّام هذا التشبيه لاهتمامه باستتباب السلام في مدينته وتجنيبها ويلات الحروب، كما أنه عفا عن أحد أفراد عائلة آل سليم الذي حاول اغتياله، ولم ينتقم منه كعادة النجديين، لكن حاكم حائل كان له رأي آخر في معاقبة آل سليم .وعلى خلاف سكان بريدة وأمير عنيزة وأتباعه كفّ عبد الله البسّام أذى الوهابيين عن الرحالة المسيحي دوتي، وأحسن معاملته واستضافته، فأطنب دوتي في امتداحه.

نجح البسّام أحياناً في النأي بمدينته عن حروب المتنافسين على السيطرة في الجزيرة ونجد، واستعمل مهاراته التفاوضية في اقناع حكام المدينة باعتماد سياسات التهدئة والاسترضاء، واسعتان به كل من طرفي الصراع الرئيسيين آل سعود وآل الرشيد في التفاوض بينهما، ففي 1879م ابتعثه الحاكم السعودي عبد الله بن فيصل إلى ابن رشيد لإبرام معاهدة صلح بينهما تضمنت تنازل عبد الله بن فيصل عن منطقة القصيم.[212]

وقف البسّام ضد أطماع عبد العزيز في اخضاع مدينته وطموحات ومخططات مبارك الصباح قاتل أخويه في مد سيطرته على شمال الجزيرة، وعندما شنّ مبارك وبمعونة عبد الرحمن آل سعود وأبنه عبد العزيز الحرب على آل الرشيد انحاز لآل الرشيد، وحاقت هزيمة نكراء بجيش آل الصباح وحليفه السعودي في معركة الصريف في 1901م، قُتل فيها عدد من أفراد عائلة الصباح،[213] فنقم مبارك وعبد العزيز عليه.

في 1904م كان عبد العزيز قد استعاد سيطرة عائلته على الرياض، وبدأ بتنفيذ مخططه للاستيلاء على مناطق أخرى في الجزيرة، واختار مدينة عنيزة العصيّة على سيطرته هدفاً لغزوته، مستغلاً تواجد حاكم حائل خارج نجد وتواطؤ بعض المطرودين من المدينة، ففي آذار من تلك السنة هجم عبد العزيز على مدينة عنيزة وحدث قتال بين أهلها والجيش المهاجم، وانهزم الأهالي بسبب خيانة البعض كما

---

211 Doughty, **Travels in Arabia Deserta,** vol. 2, p. 350.

212 موسيل، **آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية** ، مصدر سبق ذكره، ص 117.

213 الريحاني، **تاريخ نجد الحديث،** مصدر سبق ذكره، ص 105-106.

ذكر البسّام،[214] وساعد آل السليم وآل أبي الخيل الحكام السابقون للمدينة عبد العزيز ، وقتل في المعركة أحد أفراد عائلة البسّام، وحرض عبد العزيز آل سليم على استباحة المدينة، فقتلوا جماعة من السكان، ومنهم حمد بن عبد الله الصالح وأخوه يحي الصالح، وفرّ بقية أقاربهم إلى حائل، كما نهب آل سليم بيت عبد الله عبد الرحمن البسّام وعدد من أقاربه.[215] وكان ثمن أمان عبد العزيز لآل البسّام عشرة آلاف ريال سلموها قبل خروجهم للقائه.[216]

روت حفيدة عبد الله البسّام تفاصيل القبض على جدها، فأفادت بأن جدها توارى عن أنظار ابن سعود، وساعدته خادمة في الخروج من بيته متخفياً، إذ خبأته في قفّة كبيرة، ولصغر جسمه وخفة وزنه حملته وهو داخل القفّة، وغادرت البيت، وعند الباب اعترضها أحد الوهابيين من جند عبد العزيز المنهمكين في نهب محتويات البيت، وسألها عما تحتويه القفّة فأجابته بحدة بأنها حصتها من المنهوبات، فتركها لتمضي به نحو أطراف المدينة، لكن محاولة الهرب فشلت وقبض جنود الوهابية عليه، وأحضروه إلى عبد العزيز.

لم يقتل عبد العزيز ابن البسّام ويستولي على بساتينه وأراضيه في القصيم كما فعل مع الشيعي عبد الحسين الجمعة وغيره، لأن للبسام وأبناءه ثروة أكبر بكثير من ممتلكاتهم في عنيزة، كما له صلات تجارية وشخصية على امتداد الجزيرة، والحصول على هذه الثروة أو على جزء منها سيوفر لعبد العزيز رواتب جنده الوهابيين، ولو قتله فسيخسر المال ويستجرّ سخط أصدقاء وشركاء البسّام، ويطلق يد أفراد عائلته في استعمال ثروتهم لاستعداء الأتراك وآل الرشيد ضده، ولا يمكن الجزم بأن هذه الأسباب الداعية إلى الحفاظ على حياة البسّام قد دارت في عقل ابن سعود وهو المعروف بدمويته وانتقامه السريع من أعداءه، وقيل بأن رسالة وصلته من مبارك الصباح "تأمره" بالقبض على عبد الله بن عبد الرحمن البسام وأقاربه، لأنهم

---

[214] **تاريخ عبد الله بن محمد البسّام**، مصدر سبق ذكره، ص 38.

[215] عبد الله بن محمد البسّام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق.** مصدر سبق ذكره، ص 392.

[216] مقبل بن عبد العزيز الذكير النجدي، **سوابق العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، مصدر سبق ذكره، ص 388.

متحالفون مع آل الرشيد،[217] وقد يساعدونه في استرجاع القصيم، فهل كان عبد العزيز تابعاً لمبارك ليأمره؟ وعلى أي حال فقد اغتنم ابن سعود الفرصة لابتزاز البسّام.

في 27 نيسان 1904م أمر عبد العزيز بتسيير عبد الله عبد الرحمن البسّام وولده علي وحمد آل محمد العبد الرحمن البسّام وحمد آل محمد العبد العزيز البسّام ومحمد العبد الله إبراهيم إلى الرياض، فكان الأمان الذي اشتروه بعشرة آلاف ريال خدعة ليسلموا أنفسهم، حتى أنه لم يسمح لهم بوداع عوائلهم وطمأنتها على أحوالهم، وادعى المؤرخ ابن عيسى بأن عبد العزيز خاف عليهم "من تهمة تقع عليهم،"[218] ومن دون تفصيل، وهو تبرير غير مقنع تماماً، لما يعتمل في نفسه من حقد على البسّام وعائلته، فلو قتل آل سليم البسّام بإمكانه التنصل من المسؤولية، لكنه اختار استبقاءه وأقاربه أحياءً وتحت الحراسة في الرياض لغاية في نفسه. والأغرب من هذا التبرير ما أورده عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البسّام في تاريخه، الذي قتل أباه في معركة المطر بين عنيزة وعبد الله بن فيصل بن سعود، إذ روى أن عبد العزيز بن سعود أجلاهم "إلى العارض بغاية الإكرام، وقال: قصدي تبقون هناك إلى نهاية الفتنة مع ابن رشيد... وأقاموا هناك في عز وإكرام"[219] وهو تبرير يتناقض تماماً مع ما بينه عبد العزيز نفسه من أسباب احتجاز البسّام، ويبدو بأن المؤرخ البسّام تخوف من انتقام عبد العزيز فلم يذكر الحقائق كاملة.

نُقل عن علي بن عبد الرحمن البسّام بعض التفاصيل عن سجن والده في الرياض، إذ يؤكد بأنهما سجنا في دار قريبة من قصر عبد العزيز أو حتى داخل القصر، لعله خشية من استمالة البسّام بالمال للحراس ومساعدتهم على الهرب، وكانت إحدى سيدات عائلة عبد العزيز تقوم على خدمتهم، حرصاً من عبد العزيز أيضاً على منعهما

---

[217] المصدر السابق، ص 389.

[218] **تاريخ ابن عيسى** ص 281.

[219] عبد الله بن محمد البسّام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مصدر سبق ذكره،** ص 393.

من التواصل مع غير أفراد عائلته المخلصين له، وكان أعوان عبد العزيز قد استولوا على نظارة عبد الله البسّام وهو كليل البصر فاضطر للاعتماد على عيني ابنه.

لم يمض وقت طويل حتى اتضحت نوايا عبد العزيز من حبس البسّام وابنه وعدد من أقاربه، إذ طالبهم بفدية مقابل اطلاق سراحه، ووقعت المسؤولية في تدبير الفدية على ابنه محمد البسّام، الذي نجا من الأسر لوجوده في الشام، حيث تولى إدارة تجارة والده هناك، وكانت قوافل تجارته تتنقل ما بين العراق والشام ومصر، وله صلات قوية بشخصيات معروفة، من أبرزهم الملك فيصل الأول والرعيل الأول من السّاسة العراقيين في عهده والوالي العثماني في الشام جمال باشا الملقب بالسفّاح وآل الرشيد وجروترد بيل الإنجليزية التي عرفت بصانعة الملوك، وروت حفيدته نقلاً عن والدتها أن الملك فيصل الذي نودي به ملكاً على الشام فشل في توفير التمويل لحكومته ورفض أثرياء الشام اقراضه، فلجأ إلى محمد البسّام، الذي استجاب لطلبه، فوعده الملك بكمية من محصول القمح سداداً للدين، لكن الاحتلال الفرنسي أجبر فيصل على الرحيل ورفض تسليم القمح للبسّام، وزاره يوماً جمال باشا السفّاح، ولم يغضب منه لدى سمع ابنه الصغير ينادي على خروفه بجمال باشا، وتوسط البسّام لدى السفّاح للعفو عن أحد المحكومين بالإعدام، وكان مقرباً من آل الرشيد، ولكرمه مازحه حاكم حائل بأنه يروم الرئاسة في نجد، وكان محمد البسّام يقرض المعسّرين من تجار القصيم، وساعد الإنجليزية جرترود بيل في ترتيب جولتها في نجد وزيارة حائل، وامتدحته في رسائلها ووصفته بأنه ثري ومن أصحاب الملايين، وبعد احتلال فرنسا للشام استولت السلطات الفرنسية على أمواله، فتعسّر حاله، واضطر للسفر إلى العراق ضيفاً على الحكومة الفيصلية، ومُنح الجنسية العراقية، وفاز بمقعد في البرلمان العراقي، ثم توفي ودفن في العراق.

تولى محمد البسّام دفع المبالغ التي طلبها عبد العزيز للحفاظ على حياة ابيه وأخيه وبقية أقاربه، ولا يعرف مجموعها، لكنها على الأغلب باهظة، كما اتصل ببعض حكام الجزيرة للتوسط عند عبد العزيز واقناعه بالإفراج عن السجناء، وروي بأنه أقنع حاكم الحجاز الشريف عون الرفيق بمناشدة عبد العزيز في ذلك مقابل مبلغ كبير من المال، فرفض عبد العزيز وساطتهم، وتذرع بأن مبارك الصباح طلب منه إبقاء

البسّام في الحبس، كما فشل مسعى نقيب البصرة لنفس الغرض، وكان جواب ابن سعود بأن الأمر مرهون بمشيئة أهالي عنيزة.[220] طالب عبد العزيز من البسّام "تعويضاً"، ولم يوضح سبب استحقاقه لهذا التعويض، ولكنه يكشف عن السبب الحقيقي لاحتجاز البسّام، وهو ابتزاز ابنه محمد لدفع فدية كبيرة.

روى الابن المسجون مع أبيه عبد الله البسّام تفاصيل زيارة شيخ قطر قاسم بن ثاني لأبيه في مكان احتجازه، ولم يتعرف أبوه على هوية الزائر لضعف بصره الشديد، كما أن الضيف طلب من الابن كتمان ذلك، وحمل شيخ قطر إبريق ماء، وصار يصب الماء على يدي البسّام، عندها أحسّ البسّام بوجود الغريب سأل ابنه عنه، وسحب يديه بالرغم من إصرار شيخ قطر على اكمال غسل يديه، وكان الشيخ يكنّ معزة خاصة للبسّام، ويجلّ مقامه، وهما من قبيلة واحدة أي بني تميم، وفي نهاية المطاف أفلحت وساطة شيخ قطر في فك حبس الشيخ البسّام وعائلته، ويفتخر القطريون بهذه المأثرة.

في الحادي عشر من حزيران عام 1905م أي بعد حوالي عشرة شهور على احتجاز عبد الله عبد الرحمن البسّام وأقاربه سمح لهم عبد العزيز بمغادرة الرياض وفقاً لبيانات تاريخ ابن عيسى، فتوجهوا إلى قطر بضيافة شيخها، ومن ثم أبحروا إلى البحرين ومنها إلى البصرة، وتوفي احد الرهائن وهو حمد آل محمد العبد العزيز البسّام في البصرة بعد حوالي السنة، ومن المحتمل أن يكون احتجازه في سجن عبد العزيز قد أدى إلى تدهور صحته. اختار عبد الله عبد الرحمن الاستقرار في مكة المكرمة بعد ابعاده عن مدينته عنيزة وحبسه في سجن عبد العزيز، وتوفي بعد الافراج عنه بعامين في 17 تشرين الثاني 1907م، ولم يستقر المقام لأبناء البسّام في جدة إذ توجهوا إلى البصرة بعد عام واحد فقط من وفاة والدهم.

---

[220] مقبل بن عبد العزيز الذكير النجدي، **سوابق العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، مصدر سبق ذكره، ص 419.

نكبة الاحتلال السعودي للأحساء والقطيف

عندما احتل عبد العزيز بن سعود الأحساء والقطيف في 1913م كان منصور الجمعة، الزعيم والباشا القطيفي، مدفوناً في مقبرة النجف في العراق، لكن ما أهمله من جهد قيادي في حياته مهّد الطريق للمحتل، وأمكّنه من اخضاع بقية مناطق الجزيرة. شركاء الجمعة في ضياع الأحساء والقطيف نخبة من سكان المنطقة، ضمت كبار مالكي بساتين النخيل والتجار ومعظم رجال الدين. لم يجتمع هؤلاء لتسهيل مهمة المحتل، وبالتأكيد لم يتمنوا لأنفسهم وأتباعهم الخضوع مرة أخرى لحاكم وهابي، يصنفهم روافض مشركين.

كان الأحساء والقطيف سنجقاً عثمانياً، يديره متصرف مرتبط هرمياً بوالي البصرة، يساعده عدد من الموظفين الإداريين، وترابط فيه قوة صغيرة من جنود الجيش العثماني، لم يتجاوز عديدهم أربعمائة جندي في 1913م.[221] لم تختلف أحوال المنطقة عن باقي مستعمرات العثمانيين العربية، بل لعلها كانت من الأسوأ، إذ تجلت فيها كل مظاهر الاستغلال الاستعماري والتفسخ الإمبراطوري. نخر الفساد جهازها الإداري، واستغلّ الحكام المحليون والقضاة مناصبهم لجمع الثروات، وتفشّت الرشوة بين الموظفين، وتقاعست القوات العسكرية عن حفظ الأمن وحماية السكان، فلا خدمات صحية أو تعليمية أو إنمائية تستحق الذكر.

كان من الممكن أن تكون الأحساء والقطيف الأكثر ازدهاراً وقوة ومنعة في الجزيرة. معظم سكان المنطقة حضريون، أراضيها خصبة، ومياهها العذبة وفيرة، تتخللها بساتين النخيل والحقول الزراعية، حتى أن بستاناً واحداً في القطيف احتوى على مليون ونصف مليون نخلة، وكان فائض محاصيلها مؤونة لسكان نجد، وموانئها منافذ الجزيرة للتجارة مع العالم، وموقعها الجغرافي استراتيجي، لذلك كانت محط أطماع جاراتها من العرب والمستعمرين، وكان لزعمائها ونخبها اسهامات متواضعة

---

[221] حمزة جعفر الحسن، 1999. **الشيعة في المملكة العربية السعودية**، الجزء الأول. بيروت: دار الساقي، ص 199.

في تطويرها، إذ أولوا اهتمامهم تثمير ممتلكاتهم وتجارتهم وتكديس ثرواتهم، وتصدّقوا بالقليل على فقرائهم، وسلموا الحقوق الشرعية لرجال الدين الذين كعادتهم نقلوها إلى مراجعهم البعيدين.

في مستهل القرن العشرين تزاحمت ثلاث قوى استعمارية على السيطرة في وسط وشرق الجزيرة العربية، العثمانيون والبريطانيون والسعوديون، كان الاستعمار العثماني في مرحلة أفول، وبعد أقل من عشرين عاماً سيزول، بينما هيمنت السفن الحربية البريطانية على مياه وموانئ الخليج، ووطدوا نفوذهم في الساحل الغربي للخليج، فأبرموا معاهدات حماية مع شيوخ البحرين (1880م) والكويت (1899م)، وبسطوا سيطرتهم على ساحل عمان (1892م)، ووقفوا بوجه محاولات العثمانيين فرض سيطرة كاملة على مشيخة قطر، كما حموها من أطماع آل خليفة، وفي وسط الجزيرة سيحتل عبد العزيز بن سعود الرياض في 1902م لتكون قاعدة لتحقيق أطماعه الاستعمارية.

لا تنم قرارات وأفعال النخبة الأحسائية والقطيفية عن وعي لما دار حولهم من أحداث وتطورات، ولا تعكس قلقاً مما قد يخبئه لهم الصراع الدائر في الجزيرة والخليج من تحديات وأخطار جسام، فهم كما يبدو وضعوا كل ثقتهم بحكامهم العثمانيين وقدرتهم على حمايتهم من الأخطار والأطماع المحدقة بهم، ولم يكن العثمانيون جديرين بهذه الثقة معظم الأحيان، إذ أرهقوا السكان بالضرائب الباهظة، وفشلوا في ترويض قبائل البدو المجاورة، وخفضوا الرواتب أو الصرّر المقررة لزعمائهم اتقاءً لشرورهم، فازدادت شراسة غزواتهم، ولم تردع الحاميات العثمانية الصغيرة قبائل العجمان وآل مرة والهواجر وغيرهم ، وجرأهم تقاعسها وتخاذلها على تكرار وتوسيع هجماتهم. طالت أعمال البدو العدائية كل مظاهر الحياة في المنطقة، وفقد السكان الشعور بالأمن حتى في بيوتهم وأماكن عملهم، واضطروا إلى هجر بساتينهم البعيدة عن الأماكن المأهولة، وقدر زويمر أن ما زاد على نصف بساتينها في تلك الحقبة الزمنية غير مستثمرة، وقد هجرت تلك "الجنة" فلا يوجد من يفلحها

إلا في مناطق قريبة من التجمعات السكنية،[222] كما لم تسلم قوافلهم التجارية من النهب والسلب، حتى أن أحد أشقياء البدو والمدعو ابن رزين عمد إلى خطف أبناء التجار والأثرياء ومطالبة عوائلهم بفدية مقابل اطلاق سرحهم، ودفع انعدام الأمن والضرائب الكثيرين للهجرة إلى البحرين والعراق وإيران.

تبدو مبررات تمسك أهالي الأحساء والقطيف بالحكم العثماني واهية إن لم تكن شبه معدومة. وليس خافياً كره سلاطين وولاة العثمانيين لطائفتهم المذهبية، وأوضح الأدلة على ذلك مذبحة مدينة كربلاء في 1843م التي لم تضاهيها في وحشيتها سوى مجزرة الوهابيين في المدينة ذاتها في بداية القرن التاسع عشر، وهم تركوا المدينة دون سور أو حماية، ولم تتحرك النجدة العثمانية إلا بعد مغادرة الغزاة السعوديين للمدينة محملين بكنوز من الغنائم، وفي 1875م ارتكب الجنود العثمانيون مجزرة رهيبة في الأحساء، وحتى القائد العثماني طالب النقيب الذي أرسله العثمانيون لنجدة سكان الأحساء والقطيف من غارات البدو خرّب قصور زعيمهم منصور الجمعة، وسجن أخاه عبد الحسين، وأستولى على شطر من أموالهم وغلة بساتينهم.[223]

كانت واقعة (الشرية) في 1908م نتيجة حتمية للجفاء والقطيعة بين البدو وسكان المنطقة، أوقد شرارتها خلاف تافه بين بائع للماء وبدوي من العجمان، تفاقم إلى معركة بين قبائل البدو والسكان، أدت إلى مقتل العديد، واتلاف المزارع والبساتين والمساكن. وكعادتها أخفقت القوة العثمانية المكلّفة بحماية المنطقة في وقف القتال واعتداءات البدو.[224]

أخلص زعماء الأحساء والقطيف الشيعة الولاء للدولة العثمانية، فرفضوا ابرام معاهدة حماية مع الحكومة البريطانية أسوة ببقية مشايخ الخليج، رفضوها مرتين

---

[222] S.M. Zwemer, 1900. **Arabia The Cradle of Islam**. New York: Fleming H. Revell Company, p. 113.

[223] محمد سعيد المسلم، **ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي**. بيروت: دار مكتبة الحياة، ص 191.

[224] المصدر السابق، ص 192.

في 1899م و1905م، فكافأت الحكومة العثمانية منصور الجمعة بلقب باشا،[225] وفي المرة الثالثة في 1907م عرض برسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج على منصور الجمعة مساعدته في بناء كيان سياسي من دون معاهدة فرده خائباً،[226] وفي 1908م كان العرض البريطاني الأخير، حملته سفينة حربية إلى رأس تنورة وزعماء المنطقة، واقتراح بالمساعدة في التصدي لهجمات القبائل البدوية، فردوا عليها بالرفض المطلق، كما دفعت الحمية الدينية بعض السكان لإنزال العلم البريطاني من على أرض مينائهم وتمزيقه،[227] وتلك كانت نهاية الاهتمام البريطاني بمصير المنطقة وسكانها، فعندما استنجد بهم عبد الحسين الجمعة أخ منصور وغيره بعد الاحتلال السعودي لم يستجيبوا لهم.

في العقد الأول من القرن العشرين تدهورت أحوال المنطقة، فقد استبد الوهن بالدولة العثمانية، وتكررت هزائمها، وترسّخ تواجد الاستعمار البريطاني في المنطقة، وعاد الخطر السعودي الوهابي، واشتدت هجمات البدو. اختارت مشايخ الخليج الاحتماء بالاستعمار البريطاني، ويحمد زعماء الأحساء والقطيف على رفضهم الخضوع للاحتلال، سواءً كان تمسكاً بالدين أم ولاءً للعثمانيين، وحتى رفضهم العرض البريطاني بمساعدتهم لتكوين كيان سياسي يستبطن درجة من القبول بنفوذهم، لكن من المفجع أن ذلك المقترح المشبوه لم يدفعهم للتفكير بالحاجة الملحة لكيان مستقل أو شبه مستقل، فبينما كان للكويت والبحرين وقطر كيانات سياسية-إدارية بدائية بإمرة محلية تفردت منطقة الأحساء والقطيف بكونها تدار من قبل موظفين عثمانيين، وقد أبدت الإدارة العثمانية رغبتها في تعيين منصور الجمعة والياً عليها، فقد كان جلّ اهتمامها الولاء الشكلي للدولة وجباية الضرائب، لكن منصور الجمعة رفض، فأهدر فرصة ذهبية لبناء كيان سياسي-إداري، واكتساب مقومات القوة والمنعة الكافية لحماية منطقته من القبائل البدوية وردع أو حتى صد الغزو السعودي الوهابي المنتظر من خلال ترميم الأسوار البالية للمدن والقرى وبناء تحصينات

---

[225] الحسن، **الشيعة في المملكة العربية السعودية** ، مصدر سبق ذكره، ص 318.

[226] المصدر السابق، ص 320.

[227] المسلّم، **ساحل الذهب الأسود**، مصدر سبق ذكره، ص 193.

وتسليح السكان بأحدث الأسلحة وتدريبهم على استعمالها، وترتيب علاقات المنطقة مع جوارها بما يعزز مكانتها والاعتراف بشرعية إدارتها.

كان الاستحواذ على الأحساء والقطيف حاجة مصيرية بالنسبة لعبد العزيز بن سعود، إذ توفر وارداً كبيراً من الأموال والمؤن، ومن دونهما لن يتمكن من استكمال سيطرته على بقية مناطق الجزيرة، ولولاهما لربما تقوضت سلطته حتى في وسط نجد نتيجة افلاسه الوشيك، ودفنت أحلامه بتكوين دولة سعودية ثالثة، وتلك حقيقة لم تخف على زعماء ورجال دين الأحساء والقطيف.

انتظر ابن سعود حتى بدت ملامح انهيار الدولة العثمانية في 1913م لينفذ مطامعه. قبيل توجههم إلى الأحساء اجتمع عبد العزيز مع رؤساء القبائل وحفزهم على القتال قائلاً: " الآن أنا وياكم ما نبغ التمرة في العارض [أي نجد] وعسكر الترك يستغلون الأحساء، هذه الليلة أنا وياكم عليهم، وأنتم أيها البدو لكم البر، ونحن لنا القصور"، ويتضح من كلامه حاجته وأتباعه الملحة والمصيرية لخيرات الأحساء والقطيف.[228]وكان قد تهيأ للعملية بشراء ثلاثة ألاف بندقية من البريطانيين والاتصال بنجديين هاجروا إلى المنطقة لمساعدته ومنهم آل القصيبي.[229]

نجحت قوة صغيرة من أتباعه باحتلال الهفوف عاصمة الأحساء ، وبعد أيام استسلمت القطيف، وكان لزعماء ورجال الدين فيهما دوراً مثبطاً، إذ لم يبدوا مقاومة تستحق الذكر، كما أنهم طلبوا من الحامية العثمانية، والتي كان تعدادها يفوق القوة الوهابية الاستسلام، وحرروا لقائدها كتاباً بذلك يخليه من المسؤولية.[230]

استقبل وجهاء ورجال دين المنطقة عبد العزيز بالودّ والترحاب، وعاهدوه على الولاء المطلق، متمنين عليه السماح لهم بإقامة طقوسهم المذهبية، وكان للشيخين الشيعيين موسى بو خمسين في الأحساء وعلي بن حسن علي الخنيزي في القطيف

---

[228] وليد بن شوية، /https://www.marefa.org.

[229] Joseph Kostiner, 1993. **The Making of Saudi Arabia, 1916-1936**. New York: Oxford University Press, p. 124.

230 أُبي بن عبد المحسن الخنيزي، ما بين الملك المؤسس وزعيم القطيف، موقع الحدث، 20 سبتمبر 2020م، https://www.alhadath.net/2020/09/20/ #

وثلّة من الوجهاء دوراً كبيراً في حض الأهالي على الامتناع عن مقاومة الوهابيين، فكافأ ابن سعود الخنيزي بتعيينه قاضياً عاماً في المنطقة، وثبت آخرين مثل علي بن أخوان ويوسف بن سويلم في وظائفهم السابقة تحت الإدارة العثمانية،[231] فيما سارعت قلة منهم للهجرة خوفاً على حياتهم. لم يمض وقت طويل قبل أن ينكث عبد العزيز بوعوده لهم، فتحجج بضغوط الإخوان ليرسل الوهابيين المتشددين أي المطاوعة لإجبار السكان على التخلي عن عقائدهم وشعائرهم. اختار زعماء الأحساء والقطيف الاستسلام فدفعوا ثمناً باهظاً، وتحمل العرب والمسلمون معهم النتائج الكارثية لذلك أيضاً.

بعد فوات الأوان أدرك عبد الحسين جمعة، عمدة عائلته بعد وفاة أخيه الزعيم منصور، الخطر السعودي، فاتصل بالأتراك طالباً منهم إرسال قواتهم لطرد عبد العزيز من منطقته، والظاهر أن مراسلاته وقعت بأيدي المخابرات البريطانية، التي أوصلتها لعبد العزيز، فأمر بقتل عبد الحسين جمعة ومصادرة ثروته وأملاك عائلته،[232] وقيل بأنه أُعدم بطريقة وحشية، وطورد أبناؤه المتواجدون في العراق.

كلّف عبد العزيز بن سعود أشد أقاربه غلظة وقسوة عبد الله بن جلوي بالإمارة عليهم، وسعى إلى تغيير ديمغرافية المنطقة لجعل سكانها الأصليين أقلية، وفرض عليهم الضرائب الباهظة، فنفذ صبر الأهالي وحملوا السلاح لقتال الوهابيين، بقيادة محمد بن ناصر النمر -جد الشيخ نمر النمر الذي أُعدم في عهد الملك الحالي سلمان بن عبد العزيز -[233] لكن رجل الدين والقاضي الخنيزي وأمثاله سارعوا لوأد الثورة باعتبارها قتالاً محرماً لمسلمين ووخيمة العواقب ووجوب طاعة عبد العزيز.

---

[231] المصدر السابق.

[232] المسلم، **ساحل الذهب الأسود، مصدر سبق ذكره،** ص 197.

[233] Toby Matthiesen, Sectarianism comes back to bite Saudi Arabia. **The Washington Post**, November 18.
https://www.washingtonpost.com/news/monkey-cage/wp/2014/11/18/sectarianism-comes-back-to-bite-saudi-arabia/

منذ احتلال عبد العزيز ابن سعود للمنطقة كانت حصة سكانها من الاضطهاد الأكبر ومن عوائد النفط المكتشف في منطقتهم الأقل. بعد 70 عاماً من الاحتلال زرت المنطقة في رحلة عمل، فاشتكى لي مدراء بلدياتها من حرمان السكان من أبسط الخدمات حتى أنهم مضطرون لشرب مياه الآبار الملوثة، وشاهدت بعيني بيوتهم الطينية، وتجرأ البعض على التنديد بأنواع الحرمان والتميز في المعاملة، وفي بداية هذا القرن حرص شاب من الأحساء على اخفاء مذهبه عن زملائه في العمل بمؤسسة حكومية في الرياض، وصارحني بأنه يشعر بالضعة والدونية لاضطراره لذلك.

مئة عام من الاضطهاد

لم تنته محنة شيعة الإحساء والقطيف بالاستسلام ومقتل الزعيم القطيفي عبد الحسين جمعة ومصادرة أمواله وممتلكاته بل كانت بداية ما يزيد على قرن حتى اليوم من القتل والاضطهاد والحرمان لهذه الطائفة، التي من بساتينها وزراعتها ثم من نفطها تموّل عبد العزيز وأبناؤه وحافظوا على عروشهم، ومن الوسائل الرئيسية لتلك الإبادة الجماعية الممنهجة الإهمال الصحي والخدمي للسكان، فمنذ الأربعينات بدأت شركة أرامكو الأميركية التي حازت على رخصة استخراج وبيع النفط بإنشاء مرافق النفط والبنية التحتية اللازمة، مما تطلب تشغيل أعداد كبيرة من العمال اليدويين من أهالي المنطقة، وقد تبين لإدارة الشركة تفشي أمراض مختلفة بين السكان، مثل الملاريا والتراخوما والجدري، فبادرت إلى تكليف فريق لمكافحة الملاريا بسبب انتشارها الواسع، ومنذ بدأ عملها لم يتحمّس الطرف الحكومي لعملها، بل أنهم عمدوا إلى عرقلة نشاطها، ووثق جونز تفشي وباء الملاريا في 1947م وسعي شركة أرامكو لوقف انتشاره. اضطرت أرامكو بدوافع اقتصادية لا إنسانية للاستعانة بخبير مكافحة الملاريا ريتشارد داجي الأستاذ في جامعة مينيسوتا الأمريكية، وصرح الخبير الأمريكي لمجلة عالم أرامكو التي تصدر باللغة الانجليزية بأن مستشفى أرامكو لم يتسع لاستقبال كافة المرضى من موظفيه المصابين بالمرض، وفي ذروة انتشاره بلغت نسبة الحالات بين الأطفال في الأحساء والقطيف ما بين 70 إلى 98%، ولم

ينج منهم سوى الذين اكتسبوا مناعة ضد المرض، وكانت نسبة الوفيات بالملاريا أعلى من أي مرض في المنطقة.[234]

أثناء قيام الأستاذ داجي بمسح لحالات الملاريا في قرية صفوى الشيعية في أواخر الأربعينات نمى إليه وجود حالات من المصابين بالجدري بعد عودتهم من زيارة المراقد الدينية في العراق، وعبر عن دهشته لعزوف أهل المنطقة من طلب المساعدة من الحكومة السعودية، وخوفاً من انتشار المرض أرسلت شركة أرامكو فريقاً لتقصي المرض، وسعى الأستاذ داجي لإطلاق برنامج توعية بالوقاية من المرض بين السكان، وتضمن البرنامج عرض فيلم علمي، لكنه واجه عقبات، إذ أبلغته إدارة العلاقات الحكومية في الشركة بضرورة حصوله على رخصة من إمارة المنطقة وحاكمها عبد الله بن جلوي، وربما لعلمها بموقف ابن جلوي حاولت إدارة العلاقات الحكومية ثنيه عن المضي بذلك، وفي البدء رفض ابن جلوي عرض الفيلم التثقيفي عن الجدري، لأن ذلك كما ادعى يتعارض مع إرادة الله الذي شاء إصابتهم بالمرض، ولو لم يرد ذلك لوقاهم منه،[235] ويتبين من موقف ابن جلوي مدى حقده على أهالي المنطقة من الشيعة ورغبته في إبادتهم بالمرض، واستمر إهمال تنمية المنطقة وتقديم الخدمات الأساسية لسكانها حتى التسعينيات حيث كان البعض منهم يقطن مساكن غير صحية ويستجرّون المياه من الآبار الملوثة.

بالإضافة إلى حرمان الشيعة من فوائد النفط المستخرج من منطقتهم تعرضوا للتمييز في التوظيف، فحظر عليهم الانتساب إلى القوات المسلحة والشرطة، ولم تتح لشبابهم فرصاً كافية للتوظف في الإدارات الحكومية، ولم يستوزر أحد منهم أو يعين في وظيفة حكومية قيادية، وتعرضوا للمعاملة السيئة والتشكيك في عقيدتهم، واتهموا بالكفر والشرك وحظر عليهم ممارسة شعائرهم الدينية، ونقلوا عن حاكم المنطقة ابن جلوي قوله بأنه إن أراد الشيعة لطم صدورهم في مراسم عاشوراء

---

[234] Toby Craig Jones. 2010. **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia.** Cambridge: Harvard University Press, pp. 97-100.

[235] Jones, **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia**, pp. 98-99.

فسنتولى نحن لطمهم، كما نشر آل سعود والوهابيون الجهال تهماً سخيفة وباطلة تطعن في شرف وأعراض الشيعة، فأشاعوا بأن لهم ذيولاً يخفونها تحت ثيابهم، وأنهم يجتمعون في ليلة عاشوراء في حسينياتهم، ويطفؤون الأنوار ليمارسوا حفلات جنس ماجنة، والمواليد من إباحات تلك الليلة يُنشؤون ليكونوا مراجعهم الدينيين،[236] وهي فرية وضيعة أشار لها الريحاني[237] وسمعتها من سعودي في عاصمتهم الرياض.

ابن جلوي المرعب

اقترنت صورة الحكم السعودي في أذهان شيعة الأحساء والقطيف بعبد الله بن جلوي، حاكم المنطقة وابن عم عبد العزيز، واشتهر الرجل بقسوته المفرطة، حتى أن الأمهات تخوف به أطفالها،[238] وهو الذي شارك في هجوم عبد العزيز على الرياض وقتل حاكمها عجلان وشق بطنه واستخرج كليتيه، ولا يضاهيه في إرهاب الناس سوى إرهاب سيده عبد العزيز، الذي خوّله مطلق الحرية في اضطهاد سكان المنطقة، وعرف بتفننه في تنفيذ أحكام القصاص، التي خالفت أحكام الشريعة، فعلى سبيل المثال عاقب أحد سكان الهفوف من الشيعة بالجلد حتى الموت لأنه سبّ عبد العزيز بن سعود علناً، وأمر بربط يدي وقدمي لص ورميه في أجمة شجيرات شوكية ليموت ببطء تحت الشمس، وبعد وفاته تركت جثته في مكان عام إرهاباً للسكان.[239] كان أشبه بالجلاد أو رئيس الجلادين لدى ابن سعود، فقد كان يرسل له المقرر إعدامهم ليقتلهم، ومن الذين قتلهم زعيم قبيلة عجمان.

نقلت بصراوي صورة عن إرهاب ابن جلوي، حاكم المنطقة الشرقية حيث يسكن الشيعة، ففي أثناء جولة على دراجتها الهوائية بالقرب من السور المحيط بمجمع أرامكو حيث سكنت هي وعائلتها شاهدت منظراً أرعبها، ففي أعلى عمود السور رأت يداً مقطوعة وبجانبها قدماً مدلاة من حبل، وتراءى لها بأن اليد المفتوحة تستعطف

---

[236] Lacey, **Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Terrorists, Modernists and the Struggle for Saudi Arabia**, p 43.

[237] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها.** ص 25.

[238] الريحاني، **ملوك العرب**. مصدر سبق ذكره، ص 560.

[239] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 96.

رحمة لم تنلها، وأضافت بأن من المستحيل أن تجد يداً مبتورة لأحد أفراد عائلة آل سعود أو أمريكي أو أي من المنافقين الوصوليين الذين سرقوا مليارات الدولارات من خزائن الدولة والتي هي من استحقاق أولئك المقطوعة أطرافهم.[240]

نكبة آل مهنا

آل مهنا هم امراء أو حكام مدينة بريدة في القصيم، تحالفوا مع عبد العزيز بن سعود، وحاربوا في خندق واحد معه ضد آل الرشيد في معركة الصريف في 1901م بقيادة الكويتي مبارك، وكان صالح المهنا حاكم بريدة في 1906م عندما قرر عبد العزيز بن سعود التخلص منه، وزعم بأن السبب هو اتصال المهنا بالسلطات العثمانية، والظاهر أن تخوف المهنا من أطماع السعودي الذي انقلب عليه دفعته لذلك، وعبد العزيز نفسه كان يتملق للعثمانيين ويتظاهر بأنه تابع مخلص لدولتهم، لذا فليس من مبرّر حقيقي لغدر عبد العزيز بحليفه المهنا، والمؤكد هو أن تخوف المهنا من عبد العزيز كان في محله. في ثاني أيام ربيع الثاني من تلك السنة حل عبد العزيز ضيفاً على صالح المهنا وأخوانه في قصر الإمارة ببريدة، وكان عبد العزيز قد مهّد لدخول أعوانه بحجة جمع زكاة القبائل، بينما كانت خطته المبيّتة القبض على صالح المهنا وأخوانه مهنا وعبد العزيز وعبد الرحمن بعد اغلاق أبواب القصر، والذين نقلوا بعدها إلى السجن في الرياض، ولم ينج من أخوان صالح سوى سليمان الذي لجأ للجنود الأتراك، ومكث صالح الحسن المهنا برهة في السجن، وتمكن من الهرب مع أخيه مهنا من خلال ثقب في جدار السجن، لكن جنود آل سعود لحقوا بهما وقتلوهما خارج الرياض.[241]

لم تنتهي محنة آل المهنا بمقتل زعيمهم صالح وأخيه مهنا، ففي 1908م عزم عبد العزيز على التخلص من حاكم بريدة محمد عبد الله المهنا وبقية عائلة المهنا واحكام

---

[240] Basrawi, **Arabia’s Hidden America**: **A Saudi Woman’s Memoirs,** p. 37.
[241] Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 220.
الريحاني، **تاريخ نجد الحديث،** مصدر سبق ذكره، ص 154-158.

سيطرته على المدينة، وكان لعبد العزيز أعوان داخل المدينة، اتفقوا معه على موعد للتسلّل إلى داخلها، وفي الليلة المحددة فتحوا لجماعته أحد أبواب المدينة، وبعد مقتل أبناء عم أمير بريدة وحصار بيته استسلم هو وعائلته، فأبعدهم عبد العزيز عن مدينتهم، وتوفي محمد المهنا في المنفى بالعراق، أما عبد العزيز المهنا فغرّب إلى حائل، وفي العام التالي قتل هو وستة من أبناء إبراهيم عبد الله المهنا بأمر من عبد العزيز بن سعود.[242]

كانت تهمة الاتصال بالعثمانيين كافية لإصدار حكماً بالإعدام من قبل عبد العزيز بن سعود، فبالإضافة إلى عبد الحسين الجمعة وآل مهنا قُتل رجل الدين عبد الله بن عمر لمعارضته "ولي أمر المسلمين" أي عبد العزيز وخروجه عن طاعته وإعلانه الولاء للعثمانيين.[243]

إبادة عائلة الهزانة

حكمت عائلة الهزانة مدينة ليلى، وهي المدينة الرئيسية في منطقة الأفلاج، التي تبعد بضع مئات الكيلومترات من الرياض، ويتطابق اسم المدينة مع اسم محبوبة الشاعر قيس بن الملوح ليلى العامرية، وهما من سكنة المنطقة قديماً، وكما حال مناطق نجد والجزيرة صارت هدفاً لمطامع عبد العزيز التوسعية، لكنه اصطدم برفضهم الاستسلام والخضوع لحكمه، والهزانة من أقارب آل سعود، وفي 1909م حاصرهم عبد العزيز في قلعتهم لشهرين، فأبوا الاستسلام، فأنذرهم بأنه حفر نفقاً تحت الحصن ووضع فيه متفجرات، ولو لم يخرجوا وتغادر عوائلهم فسيفجّر الحصن، فاستسلموا خوفاً على عوائلهم، لكنها كانت مجرد هدنة لم تدم طويلاً. غزاهم عبد العزيز في 1910م، فقاومه أهالي المدينة لكنهم هزموا، وقبض عبد العزيز على رجال عائلة الهزانة البالغ عددهم تسعة عشر، وقرر اعدامهم، وأرجأ تنفيذ حكمه

[242] **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سبق ذكره، ص 295.
[243] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 73.

بهم حتى تجمهر أهالي المدينة، واستقدام سكان المناطق المجاورة وقبائل البدو، ليشهدوا حفلة الإعدام الدموية، وما أن اكتمل الجمع حتى بدا تنفيذ قطع الرؤوس بأفراد عائلة الهزاني، فتساقطت رؤوس ثمانية عشر منهم،[244] أما الأخير فقد أخلى عبد العزيز سبيله لا شفقة به بل ليروي ما فعله عبد العزيز بأهل بيته بهدف إرهاب الناس وحملهم على الخضوع للحاكم الوهابي.[245]

هكذا ردّ آل سعود جميل آل الصباح

انتهت الفترة الثانية من الحكم السعودي الوهابي بانتصار آل الرشيد، واضطر آل سعود وعلى رأسهم عبد الرحمن ابن سعود وابنه عبد العزيز إلى الفرار إلى الصحراء، ثم أذن لهم شيخ الكويت مبارك الصباح بالإقامة في بلاده، وأكرمهم وأمدّهم بالمال، وساعدهم على الاستيلاء على الرياض مرة أخرى، واتخذه عبد العزيز مرشداً في السياسة والعلاقات، تعلم من مبارك الماكيافلية والبراغماتية في السياسة، وقلّده في تظاهره بالخضوع للدولة العثمانية والتحالف سراً مع الاستعمار البريطاني،[246] لكن ما ان استقر عبد العزيز في نجد، وبدأ محاولاته لتوسعة سيطرته، حتى طمحت أنظاره إلى الكويت، وكان مبارك الذي وضع مشيخته تحت الحماية البريطانية قد هلك، وحلّ محله سالم الصباح الذي لم يحظ برضا البريطانيين كسلفه، فأمر عبد العزيز جنوده الوهابيين من قبيلة المطير بالهجوم على الكويت في 1919م، وكعادتهم قتل الوهابيين جمعاً من أهالي الكويت ونهبوهم، وعرفت بمعركة (الحمض)، وبعد حوالي العام عادوا للهجوم فيما عرف بواقعة (الجهراء)،[247] والتي أوشك الوهابيون فيها على أسر شيخ الكويتيين سالم الصباح لولا وصول قوة من

---

[244] **تاريخ ابن عيسى**، مصدر سبق ذكره، ص 298. أمين الريحاني، **تاريخ نجد الحديث**، مصدر سبق ذكره، ص 176-177. أرمسترونج، **عبد العزيز بن سعود: سيد الجزيرة العربية**، مصدر سبق ذكره، ص 97-98.

[245] Kechichian, 2001. **Succession in Saudi Arabia**, p. 247.

[246] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 166.

[247] Habib, **Ibn Saud's Warriors of Islam**, p. 108.

قبيلتي شمر والعجمان، وخسر الكويتيون حوالي 200 قتيل، وبعد وفاة الشيخ سالم واستلام جابر الصباح الموالي للبريطانيين المشيخة اصطلح مع ابن سعود، وتوقفت حملات الوهابيين على الكويت، ويبدو بأن اليد الخفية للبريطانيين كانت المحرك الرئيسي وراء الهجومين والمصالحة.[248]

مذبحة حجاج اليمن في التنومة

لم تقتصر معاناة القادمين للحج أو العمرة براً على مشقّة السفر فقد تعرضت قوافلهم لهجمات القبائل البدوية العربية على الطريق، فيقتل البعض منهم وتنهب أموالهم ومتاعهم، واشترطت بعض القبائل دفع مبالغ مالية سنوية للامتناع عن مهاجمة قوافل الحجاج أو لتوفير الحماية لها أثناء مرورها في ديارها ومناطق انتشارها، وبعد هيمنة آل سعود على طرق القوافل تولوا مهمة الحماية، وحتى اليوم يتباهون بذلك، لكنها حماية بثمن أيضاً ولم تكن مضمونة دائماً.

مرّ أكثر من قرن على تلك الهجمة الغادرة، لكنها ظلت عالقة بأذهان اليمنيين، ولعلها أحد أسباب نفور اليمنيين من آل سعود والوهابية، تكمن زمناً لتستفيق عندما يجحف آل سعود باليمن وأهله، ففي سنة 1921 توجه قرابة ألف من اليمنيين القاصدين الحجاز لأداء فريضة الحج، وروي بأنهم كانوا غير مسلحين إلا بضعة حراس، وأثناء مسيرهم تصادف وجود قوة من الجند الوهابية في المنطقة، التي أعطت اليمنيين الأمان ورافقتهم حتى بلوغ وادي تنومة، وكان الوهابيون يعتلون المرتفعات فيما سار اليمنيون في الوادي، عندها هجم الوهابيون المسلحون على اليمنيين العزّل، وعجز اليمنيون عن الصمود فقتل جمعهم سوى اثنان، عادوا ليقصوا على اليمنيين جريمة الوهابيين، وبعد انتشار أخبار المجزرة حاول الوهابيون

---

[248] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث**، مصدر سبق ذكره، ص 254-258.

تبريرها بالادعاء بأن القوة الوهابية اشتبهت بأن اليمنيين قوة من سكان الحجاز المعادين لآل سعود، لكن ذلك لم ينطلي على كثيرين.[249]

لم يغفر أهل اليمن لعبد العزيز والوهابيين جرائمهم واحتلالهم لأراضي يمنية، وعزموا على الانتقام منه، ففي أيار 1935م هاجم ثلاثة يمنيون بالخناجر عبد العزيز أثناء طوافه حول الكعبة، وتمكنوا من الاقتراب منه قبل اعتراضهم من قبل الحرس، وتبين من التحقيقات انتماء اليمنيين الثلاثة لجيش اليمن.[250]

لم تكن تلك آخر مجزرة يتعرض لها اليمنيون على أيدي آل سعود والوهابية، في 2016م شنَّ السعوديون الوهابيون وحلفاؤهم حرباً مدمرة على أهل اليمن الرافضين للوصاية السعودية الوهابية، تؤكد مضيهم على ذلك النهج العدواني الذي أسسه أسلافهم قبل قرنين ونصف من الزمن.

مأساة تربة وخرمة

في عام 1919م أرسلت حكومة الأشراف الحجازية قوة كبيرة لاستعادة السيطرة على مدينتي تربة وخرمة الواقعتين ضمن الأراضي الحجازية، فجهز عبد العزيز بن سعود جيشاً من الإخوان الوهابيين لقتالهم. أباح الوهابيون لأنفسهم كل أشكال العنف الدموي في غزواتهم وحروبهم مع المسلمين، فهم لم يتورعوا عن قتل المدنيين بدعوى الكفر والشرك، ولم يستثنوا النساء والأطفال أحياناً، وخرّبوا مصادر أرزاقهم من مزارع وبساتين وتجارة، وانتهبوا أموالهم ومتاعهم، وهدموا بيوتهم، والتبيّيت هو وسيلة أخرى مفضلة لديهم، لكونها توفر لهم عنصر المفاجأة والمباغتة، وتجنبهم المواجهة في وضح النهار، ففي قتالهم جيش الأشراف، إذ باغتوهم قبل الفجر، وهم نيام، وأمعنوا الذبح فيهم، ونجا قائدهم عبد الله متخفياً. انهزمت القوة الحجازية، وتعرضت لمقتلة كبيرة، وكانت "السيوف تشتغل

[249] الخطيب، **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مصدر سبق ذكره،** ص 199.
[250] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 133.

كالمقاصل"[251] كما وصف الريحاني المتعاطف مع ابن سعود المذبحة الليلية، ولجأ الناجون القلّة إلى حصن في المدينة، فتتبعهم الوهابيون، "وجعلوا خاتمة المذبحة كأولها، وتراكمت الجثث بعضها فوق بعض" و بعد الواقعة بخمس سنين وصف صبي من الأشراف الناجين منها بعض تفاصيل المذبحة التي اقترفها جنود آل سعود للريحاني: "رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء ورأيت القتلى في الحصن متراكمة"، وقُدّر عدد قتلى الجيش الهاشمي بخمسة ألاف،[252] فاستحقت من جون حبيب صفة الهولوكست.[253]

مذبحة أخرى في الطائف

لم تكن أول مذبحة يتعرض لها سكان الطائف على أيدي جنود آل سعود الوهابيين، ولعل سبب استهدافهم الطائف أكثر من مرة، هي كونها المدينة الرئيسية بعد مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وحاذر الوهابيون من استباحة المدينتين المقدستين خوفاً من استثارة نقمة المسلمين، وإن كان بوين قد ادعى بأن قوات الإخوان قتلت ونهبت عدة مئات من سكان مكة المكرمة في 1924م[254]، أما الطائف فليس لها قدسية المدينتين، ولأثرياء الحجاز فيها مساكن، يقضون فيها أشهر الصيف، حركت أطماع الوهابيين بالغنائم الوفيرة.

بعد انسحاب قوات الشريف علي بن الحسين من الطائف في أيلول 1924م اقتحمها الوهابيون المتربّصون، وأحصي عدد القبائل المشاركة في احتلال الطائف بستة عشر قبيلة، أكثرهم من قبيلة عتيبة، وانضم إليهم بعض أتباع أشراف الحجاز، الذين غيروا ولاءاتهم لأسباب مصلحية أو شخصية لا عقائدية، ولم يكتف جنود

---

[251] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث**، مصدر سبق ذكره، ص 230.
[252] الريحاني، **تاريخ نجد الحديث**، مصدر سبق ذكره، ص 238.
[253] Habib, **Ibn Saud's Warriors of Islam**, p. 93-94.
[254] Bowen, **The History of Saudi Arabia**. p. 90.

عبد العزيز بن سعود بقتل المدافعين عن الطائف ونهب الأموال، بل ارتكبوا مذبحة كبرى، لم تفرق بين رجل وامرأة وطفل، دَوّنَ تفاصيلها حجازيون وأجانب،[255] وكان سلوك الوهابيين كما شخّصه وليامز محكوماً بغرائز "بهيمية"[256]، وقدر عدد ضحايا المجزرة بثلاثمائة شخص على الأقل، وكان من بين القتلى قاضي المدينة ورجال دين لجأوا إلى حمى جامع فأُخرجوا وذبحوا،[257] وعمد سلطان بن بجاد قائد الإخوان الوهابيين إلى اخلاء الأحياء من سكان الطائف وأمر بجمعهم في منطقة حدائق شبرا التي شيد فيها أحد أشراف الحجاز قصراً منيفاً، ومن الأمور المستنكرة في تلك الواقعة أن نساء البلدة كن سافرات أمام أعين الغرباء.

وصف حنانة غزوة السعوديين الوهابيين بأمر عبد العزيز بن سعود: "حصدت جنوده بسيافها رقاب سكان الطائف ولم تستثن منهم شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً وأباحت أموالهم زاعمة أنهم من المشركين،"[258] وأضاف مكذباً ادعاءات عبد العزيز بأن الفظائع التي ارتكبها جنده لم تكن بمشيئته وبأنه تألم لها:" قتل قواد الجيش الوهابي في الطائف النساء والشيوخ والأطفال، ومثلوا بأجسادهم، ونهبوا أموالهم وأرسلوا إلى السلطان عبد العزيز بن سعود حصته من الغنائم فقبلها كما يقبل إمام المسلمين أموال الغنائم التي يغتنمها جيشه من الكفار."[259] وكافأ عبد العزيز بن سعود أحد قادة القوة المهاجمة خالد بن لؤي بولاية مكة المكرمة لثلاث سنوات، مما يدل على موافقته ورضاه عما اقترفه هذا المنشق عن الأشراف وجنده في الطائف. وبعد إعلان مرؤوسه حافظ وهبة استعداد سيده لتعويض الضحايا والمتضررين لامه على ذلك، وبرّر تلك الأفعال بالادعاء بأن سكان المدينة من أصول غير عربية أي ما يعرفون بالجاويين والبخاريين والهنود وغيرهم يساندون القوات الهاشمية فلا

255 Habib, **Ibn Sa'ud's Warriors of Islam**, p.114-113.
256 Kenneth Williams. 1933. **Ibn Saúd the Puritan King of Arabia**. London: Jonathan Cape, p. 170.
257 McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 78.
258 حنانة، **المسألة الحجازية**، مصدر سبق ذكره، ص 15.
259 المصدر السابق، ص 36.

مسؤولية على جنده الوهابيين في التعامل معهم على كونهم من الأعداء، وكعادة آل سعود ادعى صفة المسلمين لجنده فقط، واصفاً المدافعين عن المدينة بالأعداء.[260]

دفعت المجازر في الطائف سكان مكة المكرمة إلى مغادرتها "طلباً للنجاة بأرواحهم من القتل الذي كانوا يتوقعونه على يد الوهابيين كما حصل في الطائف" فسارعوا بالفرار إلى جدة، أما الأثرياء منهم فذهبوا إلى أبعد من ذلك فقصدوا مصر وسوريا والسودان وأريتريا وحتى ماليزيا.[261]

غزوات وهابية في شرق الأردن

بعد سقوط حائل بيد ابن سعود في 1921م امتدت أطماع السعوديين الوهابيين إلى شرق الأردن، وتكررت غاراتهم على البلدات والقبائل الأردنية، وحدثت أول غزوة في آب 1922م، وتألفت القوة الوهابية من أربعة ألوية تعدادها 1500 مقاتل، فباغتوا قبيلة صخر في الطنيب، وأمعنوا قتلاً بالمحاريين والعزّل، وهرعت قبائل أخرى وقوات حكومية لنجدة مواطنيهم، ودارت معركة حامية انتهت بهزيمة للوهابيين المعتدين ومقتل قرابة الثلاثمائة منهم، وأسر ثلاثين، وبلغ ضحايا العدوان حوالي الستين، ورفض المعتمد البريطاني سانت جون فلبي، والذي صار بعدها صديقاً ومستشاراً، لابن سعود ، طلب مشاركة القوات البريطانية في صد الهجوم.[262] أما فرديرك بيك وهو قائد القوات العربية الأردنية فأفاد أن غزوة الوهابيين للطنيب في شرق الأردن انتهت بمقتل عدد من سكانها وانسحاب المهاجمين من دون تكبد خسائر، ولم يأت على ذكر تلكؤ القوات البريطانية في تعقب المهاجمين.[263]

---

[260] وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**، مصدر سبق ذكره، ص 246-247.

[261] الخطيب، **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث**، مصدر سبق ذكره، ص 49.

[262] منيب الماضي وسليمان موسى، **تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900-1950**. عمان: مكتبة المحتسب، ص 184-185.

[263] Frederick Gerard Peake, 1934. **A History of Jordan and Its Tribes**, vol. 2. Amman, Jordan:Typewritten manuscript, p. 242.

اعتدت ثلة من الوهابيين في تموز 1932م على عمال سكة الحديد العزل في الزرقاء وقتلوا أربعة منه، وتعقبتهم قوة أردنية فقتلت إثنين وأسرت الباقين وعددهم أحد عشر، وحُكم عليهم بالإعدام.[264]

في عيد الأضحى من عام 1924م أمر عبد العزيز بن سعود حاكم حائل بتجهيز حملة كبرى على الأردن، قوامها ثلاثة إلى أربعة ألف مقاتل، وبعد تجاوز الحدود الأردنية صادفتهم قافلة تموين أردنية من 18 جندياً وأربعين مدنياً فقتلوا الجميع ما عدا جريحين تظاهرا بالموت، ولم تنجو امرأة من القتل، ونهبوا حمولة القافلة، وقضت خطة الوهابيين مهاجمة عدة بلدات وقرى منها أم العمد والزيزاء والقسطل واللبن والطنيب، واحتلت أم العمد، وبلغت مسافة أربعة أميال من عمان، حينئذ واجهتها القوات الأردنية وبمساعدة من الطائرات الحربية والمصفحات البريطانية، وروى المقاتلون الأردنيون بأن رصاصات البريطانيين لم تفرق بين المعتدين والمدافعين، وكان أكثر ضحاياها من الأردنيين، وانهزم الوهابيون بعد تكبدهم 500 قتيل و300 أسير، وأمر الأمير عبد الله بن الحسين بإطلاق سراح الأسرى[265].

أما جون حبيب فذكر في رواية مغايرة أن قوة وهابية من 1500 مقاتل من نجد سيّرت إلى وسط شرق الأردن، وهاجمت البلدات القريبة من العاصمة عمان موقعة خسائر جسيمة في سكانها وممتلكاتها، وشمل القتل المنهجي الرجال والأطفال الذكور، وانتهت الغزوة بتدخل الطائرات البريطانية التي طاردت القوة وأبادتها سوى ثمانية ناجين.[266] واختلفت بعض تفاصيل هذه الرواية عما كتبه كينيث وليامز، فهو يؤكد بأن القوات الوهابية ارتكبت مجازر في الطنيب وبأنهم قتلوا جميع سكانها من الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم خمس وثلاثون، كما قتلوا سكان قرية أخرى

---

https://archive.org/details/McGillLibrary-rbsc_isl_history-trans-jordan-tribes_DS1544B551934_vol1-5254.

[264] الماضي وموسى، **تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900-1950**، مصدر سبق ذكره، ص 236.

[265] المصدر السابق، ص 236-239.

[266] Habib, **Ibn Sa’ud’s Warriors of Islam**, p. 109-110.

قبل رصدهم من قبل البريطانيين ،الذين قتلوا بالطائرات والمصفحات جميع الوهابيين المهاجمين سوى ناج واحد.[267]

نقل جون حبيب عن الكابتن لويس وصفه الجند الوهابي بـ "المتوحشين" وأضاف عنه أيضاً بأنهم "قتلوا جميع الرجال وجميع النساء والأطفال ما بين المويلة (سوريا حالياً) وشرق الأردن."[268]

مذابح الرعاة العراقيين

كان عبد العزيز بن سعود طامعاً في أراضي العراق، وطالب بأن تصل حدود مملكته الشمالية إلى نهر الفرات،[269] لأن تلك المنطقة وفق فهمه البدوي بادية وكل بادية ملك لآل سعود، كما توسل للبريطانيين مدّ حدوده حتى سوريا لتسهيل تجارته. وأفصح مستشاره المصري حافظ وهبة عن هذه الأطماع: " لولا وجود الإنكليز في العراق والأردن لتمكن سلطان نجد من جمع شمل هذه الأقاليم مع الجزيرة العربية."[270] وكان المسؤول البريطاني بيرسي كوكس يطمح لجعل العراق بعد احتلاله تابعاً للإدارة البريطانية الاستعمارية في الهند وتنصيب عبد العزيز بن سعود ملكاً عليه لذلك غضب لدى علمه باتفاقية سايس بيكو.[271] بعد فراغ الإخوان الوهابيين من الاستيلاء على الحجاز طمحت أنظارهم إلى العراق، واختاروه هدفاً مشروعاً لغزواتهم لاعتبارهم سكانه روافض أي شيعة مشركين.

---

[267] Kenneth Williams, 1933. **Ibn Saud: The Puritan King of Arabia**. London: Jonathan Cape, p. 155-156.

[268] Habib, **Ibn Sa'ud's Warriors of Islam,** p. 76.

[269] وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**، مصدر سبق ذكره، ص 118.

[270] المصدر السابق، ص 201.

[271] Heather Lehr Wagner, 2004. **Gertrude Bell: Explorer of the Middle East.** Philadelphia: Chelsea House Publisher, p.

وصف جون كلوب الضابط البريطاني الوهابية بأنها حركة بدائية للعودة إلى الدين لكنها تحولت إلى الجرائم والنهب.[272] في صباح 23 كانون الأول 1924م خرج كلوب في جولة قرب الحدود العراقية مع نجد، ليشاهد سيلاً من الخيالة والراجلين مسرعين وأمامهم قطعان الماشية، وأخبره أحد الفارّين بأن قبيلتين مخيمتين إلى الجنوب من مضارب قبيلته تعرضتا لهجوم من قبل الإخوان وبأن كافة رجال إحداهما أبيدوا عن آخرهم، وكان أحد مرافقي كلوب متيقناً بأن الغزاة من أتباع فيصل الدويش شيخ قبيلة المطير الوهابية، وسرعان ما برز المطاردون على جمالهم وهم يطلقون الرصاص على الرعاة، الذين دفعهم الرعب لخلع عباءاتهم والتخلي عن مواشيهم، وأدرك رصاص الوهابيين البعض منهم فسقطوا صرعى على الرمال، ووصف الضابط البريطاني المنظر المفجع لأطفال مذعورين وحمير شاردة محملة بالقليل الرخيص مما يملكه هؤلاء الرعاة، وللنساء يضمّن أطفالهن الرضّع إلى صدورهن، ويصرخن بالدعاء إلى الله لينجدهن، وكان يقال بأن الإخوان الوهابيين يخطفون الرضع من صدور أمهاتهم، ليتبينوا إن كانوا ذكوراً أم إناثاً، فيعيدون الأناث إلى الأمهات ويقطعون أعناق الرضّع الذكور ثم يرمون جثثهم الدامية إلى الأرض. وهو ما أكده كينيث وليامز، الذي لم يخف اعجابه بابن سعود، بأن الوهابيين قتلوا حتى الأطفال الرضّع، وأضاف بأنه حتى في قاموس الغزاة العاديين يعتبر الوهابيين "وحوشاً".[273] وكانت التقديرات الأولية للضحايا من الرعاة العراقيين: 70 رجلاً و20 امرأة و40 طفلاً. وفي تقرير اخر أبلغ بأن خسائر العراقيين 146 من الرجال و127 امرأة وطفل والألاف من الأغنام.[274]

بعد ثلاثة أيام رافق الضابط كلوب سرياً من ثلاث طائرات تابعة للقوة الجوية البريطانية المرابطة في العراق للاطلاع على موقع الغزوة الوهابية، فشاهدوا جثث القتلى وخيلاً نافقة وحطاماً منتشراً على سطح الصحراء، وتأكد له بأن فيصل الدويش

---

[272] John Bagot Glubb, 1960. **War in the Desert**. London: Hodder ad Stoughton.
المعلومات عن غزوات الوهابيين مستقاة من كتاب جون كلوب.
[273] Williams, **Ibn Saud: The Puritan King of Arabia**, p. 217, 219.

[274] Gary Troeller, 1976.**The Birth of Saudi Arabia: Britain and the Rise of the House of Sa'ud**. New York: Routledge, p. 209.

قاد الغزوة بنفسه. لم تكن تلك الغزوة الوحيدة، فقد تعرضت قبيلة آل زياد لهجوم الإخوان من قبيلة حرب النجدية، وتبين أن المهاجمين أقاموا في موقع الهجوم لأربعة أيام بالقرب من موقع السلمان داخل الأراضي العراقية، وشاهد كلوب من الطائرة العدد الكبير من الغنم والحمير المنهوبة من العراقيين، وكانوا أهدافاً سهلة لولا أن الطائرات البريطانية غير مسلحة. بعدها وصلت أنباء غارة أخرى من نساء مجهدات عند مدينة الشنافية في الجنوب العراقي، واللواتي نجون من هجوم لقبيلة مطير الوهابية، وكانت حصيلة تلك الغزوات المباغتة على الرعاة المسلمين الذين لا يمتلكون خبرات قتالية مقتل عدة مئات منهم ونهب الألاف من مواشيهم بالإضافة إلى الخيم والأطعمة والأثاث والنقود. راقب الكابتن كلوب عند محطة قطار مجاميع من النسوة والأطفال شبه العراة، وهن يبكين ويندبن القتلى من الأباء والأزواج والأخوة. قبل أسبوع كن أمهات وزوجات وأخوات يعشن حياة الرعاة البسيطة والآن غدون يتامى وأرامل، شبه عاريات، إذ نهب الوهابيون ثيابهن ومصاغهن، وكان الشعور السائد بين الناجين السخط على الحكومتين العراقية والبريطانية، اللتين لم تحميا الرعاة من سيوف الوهابيين، مما حدا بأحد الرؤساء الثانويين لقبيلة آل زياد للسفر سراً إلى حائل لمقابلة ابن مساعد أمير حائل المعين من قبل عبد العزيز بن سعود وابن عمه لطلب حمايته، فوافق على أن يتعهدوا بدفع إتاوة إلى جباة آل سعود. أرسلت الحكومة العراقية كتاب شجب واستنكار لابن سعود، فأجابها بأن الغزوات كانت مخالفة لأوامره، لكنه امتنع عن معاقبة الفاعلين الذين كانوا وقتها مقربين منه، ولو كانت مخالفة لأوامره كما ادعى لما حصل العراقيون الذين ارتضوا دفع إتاوة على وعد بالحماية.

أرهبت الغارات الوهابية قبائل الرعاة في الموسم التالي، فصمموا على المكوث بعيداً عن الصحراء القريبة من حدود آل سعود وجنده الوهابيين حتى لو كلّفهم ذلك هلاك مواشيهم، التي ستحرم من الكلأ والماء الوفيرين، فذلك أفضل من قضاء الأيام في رعب دائم من سيوف الذباحين الوهابيين، الذين لا يرحمون حتى الجرحى، خلافاً لشرع الإسلام، فإن شاهدوا جريحاً فحتماً سيحزّون عنقه بالسكين.

كان الهجوم على مخفر بصيه حدثاً مفصلياً في سجل غزوات الوهابيين على العراق. ففي ليلة الخامس على السادس من تشرين الثاني 1927م هاجم حوالي خمسين من قبيلة مطير خيمة العمال المكلفين ببناء المخفر، وقتلوا جميع العمال البالغ عددهم ثلاثة عشر وامرأة وستة من الشرطة عدا شرطياً ظنوه ميتاً، ومثلوا بجثث القتلى[275]. استمرت غارات فيصل الدويش المطيري في العام التالي، وفي شباط هاجم بقوة كبيرة من ألفين وخمسمائة مقاتل عدة قبائل من الرعاة في جريشان التي لا تبعد كثيراً عن معسكر للقوات الجوية البريطانية، فقتل العديد من العراقيين ونهب 1800 رأساً من الغنم وأعداد كبيرة من الجمال والحمير والخيل والخيم، كما أسقطوا إحدى الطائرات البريطانية التي قصفت مقاتليه، وقتل ربانها.

ادعى الضابط كلوب بأن الملك العراقي فيصل الأول كان متعاطفاً مع الوهابيين المنشقين على ابن سعود، فلو انتصروا عليه فربما استرجع الهاشميون حكم الحجاز، أما وزراء حكومته فلم يعيروا القضية الكثير من الاهتمام، لأن الضحايا من قبائل "غير متحضرة" لا يهمهم مصيرها. استجابت القوات البريطانية لطلب كلوب بالقيام بطلعات جوية منتظمة عندما تبدأ القبائل الرعوية بالتحرك نحو المراعي الصحراوية، لكنها فرضت على الطيارين الابتعاد عن الحدود السعودية مسافة عشرين ميلاً، وخمّن كلوب بأن ضغوط المؤيدين لابن سعود في الحكومة البريطانية أدت إلى وضع هذا القيد. لم تكن الغارات الجوية وما ترميه من قنابل كافية لردع المغيرين، بل ذلك يتطلب قوة برية مسلحة، ولو توفرت تلك القوة وأعطيت الأذن قبل فوات الأوان لاستطاعت تأديب الغزاة من العجمان والمطير، الذين أغاروا على الرعاة العراقيين من قبيلة بني مالك الذين كانوا يرعون مواشيهم في أراضي الكويت وتحت حماية حاكم الكويت. عندما أدرك رعاة بني مالك بأنهم مستهدفون بغارة، ويبدو بأن زعيم المغيرين أخطر شيخ الكويت بذلك. هرب بنو مالك إلى جوار مدينة الكويت، معولين على حماية ابن صباح، الذي وعدهم بذلك مقابل إتاوة، وبحلول اذار توجهت قوة من خمسمائة من قبيلة المطير للهجوم على بني مالك المستجيرين بشيخ الكويت، لكنه أخلّ بوعده وأمر بإيصاد أبواب مدينته بوجوه بني مالك، فاضطروا للدفاع عن

[275] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 84-85.

أنفسهم أمام القوة السعودية الوهابية التي تفوقهم بعشرين ضعفاً، فقتل جيع أفراد بني مالك البالغ عددهم سبعة وثلاثون، بعد أن أهلكوا عشرين من الوهابيين. تأكد للضابط كلوب مرة أخرى بأن لا الملك فيصل ولا حكومته أو المسؤولين البريطانيين مكترثون بمآسي الرعاة العراقيين.

بادر جون كلوب الضابط البريطاني المكلف بأمن المنطقة إلى الطلب من رؤسائه التدخل لحماية الرعاة وسيادة العراق، وبعد تلكؤ طال أمده أرسل البريطانيون طائراتهم وقواتهم لدحر الوهابيين المعتدين، مما أثار غضب عبد العزيز بن سعود، الذي برأ أتباعه من الاعتداء وألقى باللائمة على العراقيين، ولم تنته غارات الوهابيين. فقرر البريطانيون مطاردة المعتدين داخل نجد غير مكترثين لاحتجاجات ابن سعود وادعاءاته المغلوطة.[276]

روى كلوب بأن شيخاً من الرعاة مر بجانبهم يوماً، فسألوه عن وجهته فأجابهم بأنه يبغي فيصل الدويش الذي قتل اثنين من أبنائه، يختصر هذا المشهد ما حلّ بالرعاة العراقيين من عذاب على أيدي الوهابيين أتباع ابن سعود. وروى اثنان من الوهابيين لجون حبيب بأنهما شاركا في غزوة على العراق، وتفاخرا بأنهما قتلا حوالي مئة من السكان.[277]

بعد اعلان الإخوان الوهابيين التمرد على ابن سعود قاتلهم وهزمهم، فاضطر فيصل الدويش للجوء إلى الحكومة العراقية والسلطات البريطانية، وبدلاً من تقديمه للمحاكمة بتهمة قتل الألاف من العراقيين وترويع عوائلهم ونهب ممتلكاتهم سلموه إلى ابن سعود.

[276] Habib, **Ibn Sa'ud's Warriors of Islam,** p. 124-127.
[277]Habib, p 67-68.

مجزرة حجاج مصر

من المآثر التي يدعيها آل سعود لأنفسهم حماية الحجيج ورعايته وتوفير أفضل الخدمات لهم، لكنهم وفي أكثر من مرة قتلوا متعمدين أعداداً غير قليلة منهم. اعتادت قافلة حج المصريين على جلب كسوة الكعبة المطرزة معها وبصحبة حرس من المصريين وفرقة موسيقية، وفي موسم حج 1926م عارض السعوديون الوهابيون وجود فرقة موسيقى، لأن الموسيقى في شرعهم محرمة، ورجموها بالحجارة، فأطلق الحرس المصري الرصاص على الوهابيين، وانتهت المجابهة بمقتل حوالي أربعين حاجاً بالقرب من الكعبة، التي حرّم الله القتال وسفك الدماء في حرمها، فقررت حكومة مصر قطع العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الوهابية.[278]

رأس ابن رفادة

أعلن حامد بن رفادة في 1932م رفضه لسلطة عبد العزيز، وبتحريض مزعوم من عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن. تخوف عبد العزيز من امتداد انتفاضة ابن رفادة إلى باقي مناطق الحجاز فأقدم على سجن عدد من وجهاء الحجاز، وأصدر قراراً بمنع إنشاء الأحزاب والأنشطة الحزبية وتضمن النص التحذيري التالي: " فمن أراد العبادة في هذه البلاد ويطلب المعيشة من طريقها المشروع فهو آمن حرام الدّم والمال، ومن أراد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه"،[279] والواضح من هذه العبارة أن رعية آل سعود محلّل لهم العبادة وطلب وسائل العيش أما الأحزاب والسياسة فمحرّمة عليهم، ومن يشتغل بها سيكون محلّل الدم والمال.

---

[278] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 86-87.

[279] محمد بن أحمد العقيلي، 1989، **تاريخ المخلاف السليماني.** مطابع الوليد، ص 945-946.

كتب القنصل العراقي العام في جدة إلى وزارة الخارجية العراقية في 18 تموز 1932م واصفاً إجراءات السلطات السعودية في الحجاز آنذاك بـ "الإرهاب":[280]

> منذ شهر والحكومة هنا قائمة بالإرهاب، فمن نفي وحبس وتوقيف وفرش [أي الضرب بالسياط علناً] وتنفيذ عقوبات الإعدام، وكبس المنازل ليلاً، وتفتيش البريد على جميع الصحف والكتب الخصوصية... ثم مضاعفة عدد الجواسيس حتى أصبح من المتعذر على ثلاثة أشخاص أن يمشوا معاً من دون أن يعرضوا أنفسهم للتعقيب.

كان عبد العزيز على دراية بنية ابن رفادة، وليس من المعروف مصدر هذه المعلومات، لكن المؤكد هو أن البريطانيون كانوا حريصين على الحفاظ على سلطة ابن سعود في الحجاز، لذلك سارعوا لمنع وصول الإمدادات لابن رفادة وقواته، وسيروا دوريات للتأكد من ذلك.

لم يبادر عبد العزيز للاتصال بابن رفادة لثنيه عن الخروج عن طاعته وموالاته، بل فضل اخماد الحركة بالقوة، واستعمل الخداع للإيقاع به، فأوعز إلى أتباعه في (ضبا) لدعوته إلى استلام بلدتهم، فيما أعدت قوة لابن سعود كميناً لهم، وما أن وصل ابن رفادة والثوار البالغ عددهم أربعمائة حتى حاصرته قوات عبد العزيز المسلحة بالمدرعات التي زوده بها البريطانيون، وأبادوهم بضمنهم ابن رفادة واثنين من أبنائه، وبعد قطع رأس ابن رفادة عرضوه في أسواق المدينة، ثم رموه للصبية ليلهوا به قبل تعليقه في السوق.[281]

---

[280] عماد عبد السلام رؤوف، **المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين: السلطة والمتغيرات السياسية والاقتصادية في ضوء تقارير المفوضية العراقية في جدة.** بدون بيانات نشر.

[281] العقيلي، المصدر السابق، 946. Leslie McLoughlin, **Ibn Saud**, p.122

آل سعود يثبتون سلطتهم على الوهابية

كانت المعاهدة بين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب اتفاق منافع متبادلة، يحقق لآل سعود مطامعهم بمدّ سيطرتهم على مناطق وبلدان الجزيرة، وتكون لآل الشيخ أحفاد ابن عبد الوهاب الرئاسة الدينية المتوارثة لنشر وفرض مذهبهم على المسلمين الذين وصموهم بالكفر والشرك والانحراف عن أصول العقيدة الإسلامية، ومنذ البدء لم يكن الطرفان متساويين في القوة والتأثير، إذ رجحت كفة آل سعود، وكانت مشيئتهم العليا، ولم يعارض آل الشيخ وأتباعهم الوهابيون ذلك، بل بذلوا كل جهدهم في مساعدة آل سعود على بلوغ مآربهم، وعندما تقاتل آل سعود على السلطة انحاز آل الشيخ للمتغلب بينهم، ولم يختلف الطرفان حتى بدأ عبد العزيز بن سعود سعيه لتكوين دولة من المناطق والبلدات المستولى عليها وإنشاء علاقات وتحالفات مع قوى عالمية وإقليمية لضمان اعترافها بسلطته ومساعدته على الاحتفاظ بها، مما استدعى كبح جماح التطرف الوهابي واصراره على التمدد بالقوة إلى مناطق خارج الجزيرة وفرض مشيئته وشروطه على عبد العزيز بما يخالف مصالح آل سعود التي يمثلها.

منذ استيلاء عبد العزيز على الرياض وحتى عشرينيات القرن العشرين كانت القوة الوهابية أو الإخوان الذراعين الأيمن والأيسر لعبد العزيز في بسط سيطرته على مناطق واسعة من الجزيرة، وكان الإخوان يقتلون ويرهبون الناس ويحتلون بلداتهم وقراهم فيحصد عبد العزيز مزيداً من الغنائم والأموال والمناطق، ومارس هؤلاء الوهابيون قسوة لم تعرفها القبائل البدوية من قبل، وكانوا يخيرون القبائل بين الانضمام لهم أو القتل، كما تؤكد الوثائق البريطانية، ولم يفرقوا بين مقاتلين وغير مسلحين، وقتلوا الجميع، حتى أنهم كانوا يذبحون الأسرى وأحياناً النساء والأطفال،[282] انطلاقاً من اعتقادهم بأنهم ينفذون واجباً دينياً بتحويل القبائل إلى مذهبهم أو قتلهم، ولكن سلوكهم يشي بأن دافعهم الحقيقي المبطن مواصلة عادتهم المقيتة في الغزو وتحت غطاء ديني، وأخبرني أحد سكان منطقة الجوف في شمال الجزيرة بأنه سمع من سكان

[282] Habib, **Ibn Sa'ud's Warriors of Islam,** p..39

بلدته عن ممارسات القوة الوهابية التي احتلت منطقتهم، فكان الوهابي إذا شاهد رجلاً في الطريق تبدو عليه إمارات اليُسر اتهمه بالشرك والكفر، ثم قتله ونهبه.

اجتمع عبد العزيز مع رجال المذهب الوهابي لمناقشة استمرار هجمات الإخوان على القبائل ومناطق البادية غير الملتزمة بالتعاليم الوهابية تماماً، وتمخض الاجتماع عن تثبيت العقيدة الوهابية التي تضع السلطة السعودية فوق المبدأ الديني، في تأكيدها على أن الحاكم وحده يقرر من هو الكافر والمؤمن ومن لا يلتزم بأمره مخالف للدين.[283]

ظهر على السطح في 1926م خلاف حاد بين آل سعود والقوة الوهابية الممثلة لا بقيادة آل الشيخ وإنما بالقبائل البدوية، التي كان لها الدور الأكبر في انتصارات عبد العزيز وبسط سيطرته على مناطق واسعة في الجزيرة. اجتمع زعماء القبائل المتحفظة على سياسات عبد العزيز في الأرطاوية، وتمخض الاجتماع عن عدد من المآخذ والمطالب، ومن أبرزها مخالفة عبد العزيز لاعتقاد الوهابية بعدم جواز السفر إلى بلاد الكفر، إذ زار هو مصر وابنه فيصل إنجلترا مرتين، وخطأوه لإباحته استعمال مصنوعات الكفار والشيطان مثل السيارات والبرق والهاتف، وسكوته على رعي قبائل أردنية وعراقية في أراضي الوهابيين، وتقاعسه في نشر العقيدة الوهابية ين الشيعة "الملحدين" في العراق وتخييرهم في القطيف والأحساء بين الدخول في الدعوة أو الجلاء.[284]

وافق عبد العزيز على الاجتماع مع زعماء القبائل الوهابية والتباحث في مطالبهم في 1927م، وتشدد أحد زعمائهم ابن بجاد فرفض المشاركة. استجاب عبد العزيز لبعض مطالب الوهابيين مثل تلك الخاصة بشيعة الأحساء والقطيف والقاضية بقسرهم على التخلي عن مذهبهم وتبني العقيدة الوهابية، فأمر بجمع قادة وشيوخ دين الشيعة أمام قاض وهابي ليعلنوا امتناعهم عن ممارسة شعائرهم المذهبية وإغلاق الحسينيات التي يصلّون فيها والتوقف عن زيارة المراقد الدينية في العراق، كما استدعى عبد الله بن جلوي حاكم المنطقة قادة الشيعة ليتبرؤوا من الشرك

---

[283] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 86.
[284] Habib, **Ibn Sa'ud's Warriors of Islam,** p. 122.

و"اعتناق" الإسلام النقي من البدع، أي الوهابية، كما أمر شيوخ الوهابية بهدم مساجد الشيعة وحظر تشييد مساجد جديدة، واجبارهم على الصلاة في مساجد الوهابية وخلف شيوخها.[285]

قبل نهاية 1927م سعى الوهابيون إلى فرض إرادتهم على الواقع، فهاجمت قبيلة المطير الوهابية برئاسة فيصل الدويش مركز شرطة عراقي غير مكتمل التشييد وقتلوا كل من وجدوه فيه ومثلوا بجثثهم، كما هاجموا الأراضي الكويتية حتى وصلوا بالقرب من مدينة الكويت، وتمادى الوهابيون في اعتداءاتهم، فتعرضوا لقافلة تجار جمال من القصيم في 1928م وقتلوا أصحاب القافلة العزّل ونهبوها. وأغارت قبيلة المطير بقيادة عزيز بن فيصل الدويش على قبائل موالية لآل سعود وسلبوها، وأثناء رجوع فريق منهم صادفتهم قوة من قبيلة الشمر الموالية لآل الرشيد، ودارت معركة طاحنة بين المجموعتين، تكبد فيها الوهابيون المطيريون مئات القتلى ومنهم ابن فيصل الدويش ومئات الأسرى، الذين كان مصيرهم الذبح بأمر حاكم حائل.[286]

أدرك عبد العزيز خطر الإخوان الوهابيين على سلطته، إذ أصبحوا كسيف ذي حدين، فبعد أن كانوا أداته لتأسيس دولته غدوا خطراً عليه وعلى تفرده وعائلته بالسلطة بسعيهم الدؤوب لفرض إرادتهم عليه، وبعد أن علمهم التطرف والتشدّد في فهم وتطبيق أحكام الإسلام، أصبح هذا التشدّد عائقاً في تنفيذ سياساته وعلاقاته مع الراعي البريطاني.[287]عندها قرر عبد العزيز التخلص نهائياً من الإخوان الوهابيين بالاستئصال، ودارت معركة السبلة بين الطرفين في 1929م، انتهت بهزيمة الوهابيين المتمردين، ومقتل أعداد كبيرة منهم تجاوزت الثلاثة ألاف، وطاردت قوات عبد العزيز المنهزمين إلى قراهم وهجرهم و" قامت بتدمير هذه الهجر وتخريبها وسبي النساء وقتل الرجال"،[288]حتى أن بعضهم ومنهم قائدهم فيصل الدويش وعائلته لجأوا إلى الكويت، ثم استسلموا للبريطانيين في العراق، الذي يعتبرهم الإخوان كفاراً

---

[285] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 76.

[286] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 110.

[287] Basrawi, **Arabia's Hidden America**: **A Saudi Woman's Memoirs**, p. 40.

[288] محمد أبو الاسعاد، 1996. **السعودية والإخوان المسلمون**. مصر الجديدة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، ص 89.

ومشركين، وقد سلّمهم البريطانيون لعبد العزيز، مع علمهم بأنهم سيتعرضون للقتل أو السجن، وتوفي الدويش في السجن، كما خسرت قبائل الإخوان ممتلكاتهم من الجمال والخيل.

استبدال السيد العثماني بالبريطاني

رزح العرب تحت السيطرة العثمانية البغيضة لقرون، وعلى الرغم من تعسفها وحرمانها العرب لأبسط حقوقهم اكتسبت شرعيتها لدى الكثيرين لكونها مسلمة، لكن طموح بعض حكام الجزيرة وغيرهم للتخلص من الهيمنة العثمانية أدت بهم إلى الوقوع تحت سيطرة الاستعمار البريطاني، فوقع مشايخ دول الساحل معاهدات مع الحكومة البريطانية حولتهم إلى محميات تابعة، وصدّق حكام الحجاز الأشراف الوعود الكاذبة للبريطانيين التي نقلها لهم اللورد كيتشنر وزير الحرب بمساعدتهم في حكم دولة عربية موحدة مقابل تعاونهم في محاربة العثمانيين، في الوقت الذي أبرمت فيه بريطانيا مع فرنسا اتفاقية سايس بيكو، التي قسمت الدول العربية بين الدولتين الاستعماريتين، أما عبد العزيز بن سعود فقد نافق العثمانيين حتى وطد سلطته، وخوفاً من سطوتهم تذلل لهم مبدياً الخضوع لدولتهم التي يعدّها الوهابيون كافرة، وأقرّ على نفسه بالعبودية للسلطان، مستهلاً خطابه الموجه إلى السلطان عبد الحميد في التاسع من أيلول 1904م بعد احتلاله القصيم بالعبارات التالية:[289]

> من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد، إلى أعتاب سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين، خليفة رسول الله السلطان العظيم، السلطان عبد الحميد خان الثاني، أدام الله عرش سلطنته إلى آخر الدوران آمين. أقدم عبودتي وطاعتي ودخالتي إلى الأعتاب السامية المقدسة.

[289] مقبل بن عبد العزيز الذكير النجدي، **سوابق العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، مصدر سبق ذكره، ص 400.

وبعد أفول سلطنة آل عثمان سعى جهده للحصول على حماية بريطانية للمناطق التي استولى عليها في الأحساء والقطيف من العثمانيين، ومساندته في حروبه مع آل الرشيد الموالين للعثمانيين، وتفضيله على حكام الحجاز ليكون هو المتحكم في الجزيرة، وكما تذلل للعثمانيين تصاغر للبريطانيين، وبكى أمام ممثلهم بيرسي كوكس ليستدر عطفه، وكان السبب الرئيسي لمساندة الحكومة البريطانية ابن سعود ضد الهاشميين رفض الشريف حسين حاكم الحجاز القبول بخطة بريطانيا لإنشاء الكيان اليهودي الاستيطاني في فلسطين، والتي بينها في خطابه لمعتمده في مصر: " لأن أضحي بالتاج خير لي من أن يسجل التاريخ تفريطي في شيء من حقوق العرب أو اعترافي بالوطن القومي لليهود في فلسطين."[290] وانتقده المصري حافظ وهبة مستشار عبد العزيز بن سعود لأنه وقف موقفاً تجاه فلسطين "لا يرضي بريطانيا. فعلى من يعتمد؟ إنه كان يعتمد على أخيلة لم تحققها الأيام."[291]

اقتفى عبد العزيز بن سعود خطى بقية مشايخ دول الخليج ووقع معاهدة مع البريطانيين، وضع نفسه تحت حمايتهم مقابل مساندتهم له في صراعه مع الدولة العثمانية وآل الرشيد،[292] ففي 1915م أبرم مع البريطاني بيرسي كوكس معاهدة دارين أو القطيف، والتي اعترفت بريطانيا فيها بعبد العزيز حاكماً للمنطقة الشرقية ونجد، وتعهد عبد العزيز بموجبها الامتناع عن مهاجمة المحميات البريطانية على الساحل الشرقي للجزيرة، وأن تكون علاقاته مع القوى الأجنبية بموافقة بريطانيا المسبقة، وبالمقابل حصل على مبلغ 20 ألف جنيه وألف بندقية ومخصصات شهرية بقيمة خمسة ألاف جنيه، كما وعده كوكس بمنع الأشراف من التعرض لمناطق سيطرة عبد العزيز، وضغط على شيخ الكويت وقبيلة العجمان لوقف هجماتهم على قوات عبد العزيز، والتي كادت أن تأتي على سلطته. مستفيداً من الدعم والتمويل البريطاني، وتعبيراً عن امتثاله لمشيئة بريطانيا تعهد عبد العزيز بإيقاف عمليات التهريب بين حائل والكويت، وسارع لقتال آل الرشيد الموالين للعثمانيين، وفي موقعة جراب بين الطرفين حلت الهزيمة بقوة عبد العزيز، وقتل منهم حوالي 500 أبرزهم رئيس عنيزة

---

[290] الخطيب، **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث**، مصدر سبق ذكره، ص 107.
[291] وهبة، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**، مصدر سبق ذكره، ص 55.
[292] Commins, **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**, p. 72.

صالح الزامل والبريطاني شكسبير المندوب السياسي في الكويت، الذي شارك في المعركة، وكان شكسبير من أشد المتحمسين لمساعدة ابن سعود.[293]

أنقذت الأموال البريطانية عبد العزيز من الإفلاس وانفضاض القبائل من حوله، فبعد احتلاله للأحساء والقطيف وطرد القوة العثمانية منها حاول العثمانيون استعادة السيطرة عليها بحراً، لكن القوات البريطانية منعتهم من ذلك. وفي نفس العام أوفدت الحكومة البريطانية هاري سانت جون فلبي ليكون مستشاراً ومرشداً لعبد العزيز، وهو والد كيم فيلبي جاسوس الروس في المخابرات البريطانية، وثابر فيلبي على شق صفوف الموالين لحاكم حائل،[294] كما أبلغ البريطاني هوجارث المسؤول الكبير في الدائرة العربية الشريف حسين بالامتناع عن مهاجمة مناطق الحاكم السعودي الوهابي لأنه متحالف مع الحكومة البريطانية بموجب معاهدة مبرمة بين الطرفين.[295]

في مؤتمر العقير الذي انعقد لرسم الحدود بين العراق والكويت والمناطق تحت سيطرة عبد العزيز بن سعود في 1922م. رضخ عبد العزيز بن سعود لمشيئة البريطانيين وممثلهم بيرسي كوكس حاكم قوات الاحتلال في العراق، وباءت محاولات ابن سعود في اقناع البريطاني بمطالبه، وبعد نفاذ صبر كوكس وبّخ ابن سعود، "كما يوبخ معلم أحد طلابه"، مفصحاً له عن حقيقة أن الأمر بيده لا بيد عبد العزيز، فأذعن ابن سعود باكياً، وواصفاً كوكس بأنه بمقام أبيه، والأب في المفهوم القبلي السيد المطلق ويطلق على شيخ القبيلة أيضاً، فلا تجوز مخالفته، وترك له أمر تعيين الحدود، وخاطبه كوكس بـ "الصديق"، وواساه بمنحه ثلثي أراضي الكويت، في الوقت الذي كانت الكويت أشد المخلصين للتاج البريطاني.[296]

وقع عبد العزيز مع البريطانيين في 1927م معاهدة جديدة عرفت بمعاهدة جدة حلت محل اتفاق القطيف، وبموجبها اعترفت بريطانيا باستقلال حكم عبد العزيز،

---

[293] Zuhur, **Saudi Arabia**, p. 45; Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 176.
[294] Kostiner, **The Making of Saudi Arabia, 1916-1936**, p.15.
[295] Kostiner, p. 9.
[296] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 68.

وتعهد عبد العزيز باحترام الاتفاقيات والمساعدة في القضاء على تجارة العبيد.[297] وعندما أعلن الصهاينة انشاء دولتهم في فلسطين المحتلة امتنع عبد العزيز عن إرسال قواته لقتال الصهاينة، فقد كان حريصاً كما أكد بوين على ضمان استمرار حكمه ورضا الحكومة الأمريكية.[298]

ساعدت الحكومة البريطانية ابن سعود في القضاء على تمرد الإخوان الوهابيين، الذي كاد أن يقوض حكمه، وكان من أسباب نقمة الإخوان عليه علاقته الوثيقة مع البريطانيين، ومعارضته لغزوهم مناطق خارج الحدود المتفق عليها مع البريطانيين، وأسهمت الطائرات البريطانية الحربية في حسم المعركة لصالح عبد العزيز، فعلى سبيل المثال أغارت قوة وهابية قوامها 1500 مسلح على شرق الأردن في 1920م حتى وصلت بالقرب من عمان، وهاجمت قبيلة صقر، وقصفها الطيران البريطاني، فلم ينجوا منهم سوى ثمانية.

نقل القنصل العراقي العام في جدة اعتقاد أهالي البلاد الواقعة تحت سيطرة عبد العزيز بن سعود بأن " الحكومة السعودية تنصر ابن السعود في كل المواقف، وهم يتذمرون من هذه المؤازرة المستمرة، وكأنهم يجهلون أو يتجاهلون أن صداقة [الحكومة البريطانية] مع آل مرخان [أي العائلة السعودية] ليست بحديثة العهد، فهي ترجع إلى تاريخ الحرب العامة، وإذا تعمقنا أكثر من ذلك فنستطيع القول أن عطف بعض رجالها على هذا الآل يتعدى الحرب العامة ويتصل بحركات الوهابية الأولى."[299]

بينما كانت الدول العربية ترزح تحت الانتداب الاستعماري البريطاني والفرنسي بسطت الحكومة البريطانية حمايتها على حكم آل سعود من دون احتلال أو انتداب، ومنحته امتيازات لم تحظ بها بقية مستعمراتها العربية وغيرها، وأغدقت عليه المساعدات المالية السخية والمعونة العسكرية التي ساعدته في مدّ سيطرته على

[297] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 186.
[298] Bowen, **The History of Saudi Arabia**, p. 103.

[299] عماد عبد السلام رؤوف، **المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين: السلطة والمتغيرات السياسية والاقتصادية في ضوء تقارير المفوضية العراقية في جدة**، ص 85.

مناطق واسعة من الجزيرة، ولم تحاسبه على اعتداءات أتباعه الوهابيين على الدول العربية المجاورة، التي تربطها بها اتفاقات حماية وتحت انتدابها، ولم تفرض عليه تعويضها عن خسائرها البشرية والمادية، ونقل عنه أمين الريحاني اعترافاً صريحاً بقبضه الأموال من الحكومة البريطانية التي لم تكن حينئذ وحالياً جمعية خيرية: "يظن الناس اننا نقبض من الإنكليز مبالغ كبيرة من المال، والحقيقة ان الانكليز لم يدفعوا لنا الا اليسير مما تستحقه الأعمال التي قمنا بها أثناء الحرب وبعدها، ونحن لا نختلف معهم قبل أن يخلفوا معنا، بيننا وبينهم عهد نحافظ عليه ولو تضررنا في أنفسنا ومصالحنا ..الانكليز مدينون لنا ونحن لا نطالبهم، من العار أن نطالبهم، أنا ابن سعود صديق الإنجليز."[300]

انخرط عبد العزيز بكل ما يملك من قوة في تنفيذ خطط الحكومة البريطانية في احتلال العراق وقتال العثمانيين، وكافأته بالأموال والأسلحة والحماية والاعتراف بسيطرته على مناطق واسعة التي اكتسبها بالقوة والإرهاب، كما رأى في الاحتلال الفرنسي لسوريا وطردها غريمه الملك فيصل بن الحسين فرصة لتوسيع دائرة تحالفاته مع القوى الاستعمارية فاتصل بالفرنسيين وعقد معهم معاهدة سرية في 1922م حصل بموجبها على معونة مالية وأسلحة مقابل مواصلة عدوانه على الحجاز وشرق الأردن الواقعين تحت حكم الهاشميين.[301]

بن غوريون: آل سعود ليسوا بأعداء

ناصب آل سعود وجنودهم الوهابيون العداء للمسلمين من مختلف الطوائف، وأرهبوهم وقاتلوهم للتسلط عليهم وعلى ديارهم ونهب أرزاقهم، وداوموا على ذلك لقرن ونصف من الزمن قبل ظهور عبد العزيز بن سعود، وجاء هو ليكمل ما بدأه أسلافه، وفي الوقت ذاته امتنع عن قتال غير المسلمين، وتذلّل للبريطانيين الذين تحكم عليهم عقائد الوهابية بالكفر، وساعدهم على بلوغ هدفهم باحتلال بلاد

[300] الريحاني، **ملوك العرب**. مصدر سبق ذكره، ص 541-542.

[301] Habib, **Ibn Sa'ud's Warriors of Islam**, p. 106.

المسلمين واضطهاد شعوبها ونهب مواردها، واقتسامها مع الاستعمار الفرنسي، بل جاهر مراراً باعترافه بأفضال بريطانيا عليه، وبعد اكتشاف النفط حلّت أمريكا محل بريطانيا بكونها الراعي والحامي لنظام آل سعود، ولأن بريطانيا هي من وعدت اليهود بإنشاء دويلة لهم في فلسطين العربية، وساعدتهم على استيطانها، وقمعت بوحشية الشعب الفلسطيني رفض عبد العزيز بن سعود الوقوف ضدها، واكتفى بالمطالبة الباهتة بإنصاف أصحاب الأرض مقابل المستوطنين اليهود، كما نصح الثوار الفلسطينيين المنتفضين ضد الاحتلال البريطاني في 1936م بـ"الاعتدال"،[302] ففي برقية خاطب بها الفلسطينيين بواسطة ما سميت اللجنة العربية العليا دعاهم "إلى الإخلاد إلى السكّينة وحقن الدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المخلصة بتحقيق العدالة" فاستجاب الفلسطينيون السذّج لهذا الطلب.[303]

بادر جون فيلبي وفؤاد حمزة مستشارا عبد العزيز إلى الاتصال بزعماء الحركة الصهيونية وبتوجيه من عبد العزيز، وعقدا أول لقاء مع حاييم وايزمن وديفيد بن غوريون في 1939م، وتكرر لقاء فيلبي مع الصهيونيين موشي شرتوك وحاييم وايزمن، وأبلغهما فيلبي بإمكانية شراء موقف مؤيد من عبد العزيز بن سعود للسياسة البريطانية بشأن الاستيطان الصهيوني مقابل أموال وأسلحة، ولو حصل ابن سعود على 20 مليون جنيه فسيكون بتقديره مستعداً لقبول هجرة اليهود إلى الشطر الغربي من فلسطين وترحيل سكانه العرب إلى مناطق سيطرة آل سعود ودول عربية أخرى، واتفقا على أن يقوم وايزمان بمناقشة العرض في أمريكا وتولي فيلبي متابعته مع ابن سعود، ويبدوا أن فيلبي نجح في تسويق الفكرة لعبد العزيز بشرط كتمان الأمر، وفي رسلة فيلبي لوايزمان في عام 1940م أبلغه بموافقة عبد العزيز مع الحرص على عرضها بطريقة لا تغضب بعض العرب، وناقش وايزمان الفكرة مع رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل في 1942م، الذي رجح احتمال نجاحها وإمكانية ضمان تأييد ابن سعود لها مقابل الاعتراف به رئيساً أعلى لدول الشرق الأوسط وبمباركة بريطانية وصهيونية.[304]

---

[302] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 136.

[303] أحمد عبد الغفور عطار، **صقر الجزيرة**. الجزء .6، 1972، ص 1228-1229.

[304] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 152-153.

بيد أن انفضاح الخطة أغضب ابن سعود، لذلك تنصل منها في لقاءه مع ممثل الرئيس الأمريكي روزفلت، وصمم على طرد جون فيلبي من الجزيرة، وكان له موقف مختلف جذرياً أمام البعثة البريطانية-الأميركية في 1946م، وذكر أعضاءها بخدماته للسياسات البريطانية وجهوده لتهدئة العرب الغاضبين من اعتداءات الصهاينة على عرب فلسطين، واعترف أمامهم بأنه ضلّل العرب ووهّن عزيمتهم على التصدي للاستيطان الصهيوني، وسوّق لهم وعود المستعمرين البريطانيين المخادعة، إذ قال: " أنا الآن في وضع دقيق مع شعبي وجماعتي، مع العرب والمسلمين، واذا كانت المملكة المتحدة ترغب الآن في التحول عما هو حق واضح، أو ترغب في أن تكون وعودها مجرد كلام لا قيمة له، فلن يبقى غير خيار واحد وهو أن أتوجه إلى المسلمين فأقول لهم: "اقتلوني، اعزلوني، فذلك ما أستحقه. لقد اخطأت معكم وأسأت إلى تطلعاتكم"، أما على مستوى الأفعال لا الكلام الذي لا يسمن ولا يغني عن جوع فقد طمأنهم بعدم نيته قتال الصهاينة، لأن ذلك يؤدي إلى قتال البريطانيين وهو من المحرمات لديه.[305] في 1948م عارض عبد العزيز بشدة إرسال قوات من الدول العربية لمساعدة الفلسطينيين في الدفاع عن وطنهم ضد المستوطنين الصهاينة والاكتفاء بتقديم العون لهم،[306] لذلك لم يصنف زعماء الصهاينة السعودية في خانة الأعداء، كما شهد ذلك ديفيد بن غوريون في 1949م في قوله: " السعودية لم تكن عدواً فعلياً حتى في السابق"،[307] وبقيت كذلك حتى يومنا هذا، لأن لمصلحة آل سعود واحتفاظهم بالسلطة أولوية مطلقة.

---

[305] McLoughlin, **Ibn Saud**, p. 173.

[306] محي الدين القابسي، **المصحف والسيف**. دار الناصر للنشر والتوزيع، ص 22.

[307] ديفيد بن غوريون، **يوميات الحرب 1949-1974**. ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 746.

الفصل الخامس: طغيان أبناء عبد العزيز

"بعد موت عبد العزيز بن سعود هرع أبناؤه لبيع ملابسه في السوق."[308]

السعودية ليست دولة البتة بل هي مؤسسة أعمال غير مستقرة وفاسدة إلى درجة شبيهة بمنظمة إجرامية.[309]

أورث عبد العزيز مملكته لأبنائه، لتتأكد حقيقة أن هدف "جهاده" واتباعه الوهابيين تمكّينه وعائلته من احتلال والتسلّط على ما أمكن من مناطق الجزيرة المختلفة بالقوة والقهر، ولم تكن دعوة نشر التوحيد واجتثاث البدع المخالفة لها سوى وسيلة لهذه الغاية، فاختار ابنه سعود ليخلفه، ومن بعد سعود وحتى اليوم حكم البلاد خمسة من أبنائه هم فيصل وخالد وفهد وعبد الله والحالي سلمان، وتقرر في المرحلة القادمة توريث الحكم لأحفاده، وكلهم ساروا على سيرة أبيهم في اعتماد العنف المتطرف والترهيب وسيلة رئيسية لفرض سيطرتهم والقضاء على المعارضين في الداخل ومصادر التهديد الخارجية، واستغلوا الأماكن المقدسة في أراضيهم والحج والعمرة لادعاء مكانة دينية خاصة لأنفسهم ونظامهم التسلّطي، وانقادوا للدول الاستعمارية مقابل حماية عروشهم والدفاع عنهم، واشتروا الحلفاء والأتباع في الخارج بأموال النفط، وحاكوا المؤامرات لزعزعة استقرار الحكومات المناوئة أو التي يخشون منها، وسعّروا الحروب والصراعات الإقليمية بالقرب من حدود مملكتهم لإضعافها، وصدروا العقيدة الوهابية إلى الدول العربية والإسلامية لتكون نواة لجماعات مساندة لحكمهم، وكان من نتيجة ذلك نشوء الحركات الإرهابية في العديد

---

[308] McLoughlin, **Ibn Saud**, p 189.
[309] Sarah Chayes and Alex de Waal, 2016. Start preparing for the collapse of the Saudi Kingdom. **Defense One**, February 16. http://www.defenseone.com/ideas/2016/02/de-waal-and-chayes-saudi-arabia/125953/?oref=search_saudi%20arabia

من الدول، وهم اليوم يشنون حرباً مدمرة على اليمن بهدف استمرار اخضاعها لنفوذهم ومساندة صنائعهم من اليمنيين، واستخدمت فيها كل الوسائل الإرهابية وباشتراك منظمات إرهابية.

الاستعباد

لا يوجد استعباد بدون إرهاب، فلا يذعن المسترق لمالكه من دون إرهابه بالجلد وحتى القتل، كما أن اشتراع الاستعباد يشرك الدولة في إرهاب المسترقين. لعشر سنوات بعد وفاة عبد العزيز استمر نظام العبودية في السعودية حتى الغائه في 1964م نتيجة ضغوط دولية وحملات تحريض وانتقادات من الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وكانت السعودية آخر دولة تلغي العبودية، وقيل أن مالكي العبيد ومنهم بعض أفراد عائلة آل سعود عارضوا قرار الملك فيصل، وحاولوا إقناعه بالعدول عن قراره، وتمرّد بعض الأمراء على القرار، ورفضوا تنفيذه، وعمدوا إلى قسر عبيدهم على البقاء في قصورهم وخدمتهم.[310]

منذ الارتفاع النسبي لمداخيل الطبقة السعودية الوسطى انتشر استخدام خادمات ومربيات من جنسيات متعددة، وأغلبهن من دول أسيوية، ودفعت ظروف العمل السيئة والمعاملة القاسية التي يتعرض لهن إلى وصف هذه الظاهرة بأشبه ما تكون بالعبودية، إذ لم تعترف القوانين السعودية بحقوقهن كعاملات حتى وقت قريب، فكانت الكثيرات منهن لا يحصلن على أجورهن كاملة، ويتعرضن للعنف الجسدي واللفظي والتحرش والاغتصاب، ويجبرن على العمل ساعات طويلة، ويحرمن من السّفر لرؤية عوائلهن لسنين متواصلة، وتتكشف بين الحين والآخر مأساة واحدة من هذه العاملات، وقد يضطر القهر البعض منهن لترك عملهن والإقامة غير المشروعة أو اللجوء إلى سفارات بلادهن التي تخصص دوراً لأمثالهن،

---

[310] موقع الحجاز وهو موقع معارض https://www.alhejaz.org/qadaya/030201.htm

وتتوسط لدى السلطات للسماح لهن بالمغادرة، وقد تنتهز إحداهن فرصة سفرها مع عائلة مخدومها إلى إحدى الدول الغربية للشكوى من سوء المعاملة وطلب اللجوء الإنساني.

يتعرض العمال من دول عربية وأسيوية لسوء المعاملة أيضاً، إذ يضع نظام العمل الخاص بهم العمال تحت مشيئة شبه مطلقة للكفيل السعودي الذي يستقدمهم، فهو المتحكم في إقامتهم ومنح الأذن لهم بالسّفر داخل وخارج المملكة، ويتعرض الكثيرون منهم لاستغلال بشع، وقد يهمل الكفيل السعودي توفير ظروف عمل ومعيشة إنسانية لعماله الأجانب، فيفرض عليهم العمل ساعات طويلة وفي العراء صيفاً، وفي مواقع تفتقر لمتطلبات الأمن والسلامة، ويعاملهم بفظاظة ويهدر كرامتهم، ولا يعطيهم أجوراً منصفة وسكناً مقبولاً وعناية صحية، وليس مبالغاً المقارنة بين أحوالهم وما عاناه بعض المسترقين، لذلك يوصف نظام الكفالة بأنه بديل أخف قليلاً من نظام العبودية السائد حتى ستينات القرن الماضي.[311]

خطف واستغلال النساء

انتهى الاستعباد قانونياً في 1964م، لكن خطف البنات من جنسيات مختلفة استمر بعد ذلك وتحول فيما بعد إلى تجارة الرقيق الأبيض، وكانت البداية في عهد عبد العزيز بن سعود، وإلا ما تبرير وجود أرمنيتين بين زوجاته؟ وفي عهد أبنائه ظهرت تقارير وأخبار عن فتيات مخطوفات من اليمن ولبنان والباكستان ودول أفريقية.

تزوج سعود الذي خلف أباه عبد العزيز على العرش من أربع وأربعين فتاة، وجاء ترتيب جميلة أسعد مرعي التاسعة، وكان عمرها إثنى عشرة سنة حينما تزوجها في 1926م، عائلتها من اللاذقية، معقل طائفة العلويين في سوريا، الذين يحكم

[311] Hamid S. Atiyyah, 1990. The Sponsorship and the Infringements of the Rights of Foreign Workers in Gulf Countries. **Employees Responsibilities and Rights Journal**, Vol. 3, No. 4; 267-276.

الوهابيون عليهم بالكفر ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، مما يثير تساؤلات حول هذه "المصاهرة".

"اشتريتها اليوم" بهاتين الكلمتين وصفت الأميرة السعودية سارة الفتاة الجالسة عند قدميها، واستمعت بصراوي ، الزائرة هي ووالدتها لقصر الأميرة، بدهشة وسخط لكلام الأميرة. حدث ذلك في 1962م أي قبل إلغاء العبودية، وكشفت لها المسترّقة فاتن بأنها من اليمن، وبأنها اختطفت من أبيها عندما كانا يرعيان قطيعاً من الماعز، ولم تكن هي المختطفة الوحيدة في قصر الأميرة السعودية فقد التقت بفتيات من أصل أثيوبي أيضاً.[312] كما ألّف أحد الأمراء من عائلة آل سعود رواية عن معاناة والدته التي خطفها تجار العبيد من منطقة بلوشستان في إيران، وانتهت أمة في قصر سعود بن عبد العزيز.[313] وفي مقال منشور في جريدة الشرق الأوسط السعودية كشف صحافي سعودي معروف بأن والدته لبنانية من عائلة مسيحية أُختطفت وبيعت لوالده، وبعد استقصاء طويل توصلت لمعرفة هوية وعنوان عائلتها، وأخبرت ابنها بأنها وقفت طويلاً عند باب المبنى، الذي تسكنه العائلة في لبنان، وترددت طويلاً قبل أن تغادر من دون رؤيتهم. شهد الصحافي المصري المعروف محمد حسنين هيكل على وجود سوق للرقيق في لبنان، إذ كتب بأن مستشار الملك سعود جمال الحسيني "ذهب منذ شهور في مهمة سياسية لدى ملك اليمن فحمل معه هدية إلى الإمام أحمد هي فتاة شابة اشتريت شراءً وأنا أعرف ما أقول، من سوق الرقيق في لبنان."[314]

ادعى باير بأن لبناني أثرى من توريد عاهرات إلى قصور آل سعود تحت ستار كونهن مضيفات طيران، وأن قوادين لبنانيين عملوا في قطاع المقاولات والديكور الداخلي في المملكة، وجمعوا ثروات ضخمة لجهل آل سعود بالمحاسبة والتدقيق، وعاد البعض منهم إلى بلدهم للعمل في السياسة مستفيدين من الثروات التي جمعوها في

---

[312] Basrawi, **Arabia's Hidden America**: **A Saudi Woman's Memoirs**, 87-88.

[313] سيف الإسلام بن سعود بن عبد العزيز، 2004. **قلب من بنقلان**. بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع.

[314] محمد حسنين هيكل، **يا صاحب الجلالة**. القاهرة: كتب قومية. ص 14.

السعودية.[315] من المعروف بأن والدة بندر بن سلطان، السفير الأسبق للسعودية في أمريكا جارية عند والده سلطان، وقيل أن بندر أراد التزوج من فتاة من عائلة آل سعود فجوبه بالرفض، ولما سمع الملك فيصل بذلك استاء، وأمر بتزويجه من ابنته.

تواصل خذلان حكام العرب وفي طليعتهم آل سعود لإخوانهم الفلسطينيين، حتى اغتصب المستوطنون الصهاينة بمساعدة بريطانيا ودول الغرب أرض فلسطين وأسسوا دولتهم غير الشرعية، وطردوا سكانها واضطروهم للجوء إلى دول عربية، وخلافاً للتعاليم الإسلامية والقيم العربية التي تفرض إيواءهم وتوفير مقومات العيش الكريم لهن ولعوائلهن تعرضت فتيات فلسطينيات للاستعباد والاستغلال من قبل أمراء بشهادة محمد الغزالي:[316]

> بلغني أن الفتيات الحسان من اللاجئات الفلسطينيات يبعن بأثمان مغرية لقصور ما يزال أمراؤها يستبيحون الاتجار بالرقيق، ويقبل الأباء والأمهات هذه الصفقات الآثمة تحت وطأة الحاجة إلى القوت، وهم يحسبون أن بناتهم سيجدون على أية حال مستقبلاً أفضل من حاضرهن الحزين.

بعد سبعين عاماً تعرضت فتيات سوريات لاجئات لاستغلال مماثل بشع. اكتظت معسكرات اللجوء في الدول المجاورة بالسوريين الفارين من ويلات القتال بين القوات الحكومية والجماعات المسلحة، وتردّد سعوديون وخليجيون على هذه المعسكرات، لا لتقديم المساعدة لوجه الله، بل لاستغلال حاجة العوائل السورية المشرّدة، واغرائهم بالقبول بتزويجهم بناتهن صغيرات السن مقابل مبالغ مالية، وكان العديد من هؤلاء السعوديين كهولاً، ولم تدم هذه الزيجات طويلاً، وانتهت بالطلاق وعودة الفتيات إلى عوائلهن. وثق مقال نشرته مؤسسة الإذاعة البريطانية زواج فتاة دون العشرين من العمر من سعودي في الخمسين من العمر مقابل ما يزيد قليلاً على

---

[315] Baer, **Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude**, p. 48.

[316] محمد الغزالي، 2005. **الإسلام والاستبداد السياسي**. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

3000 دولار أمريكي، وطلقها السعودي بعد أسبوع واحد.[317] كان ذلك السلوك المعيب استغلالاً جنسياً بحتاً، وكشف عن استهانة الوهابيين وحكامهم آل سعود بالكرامة الإنسانية وامتهاناً للأخوة العربية والإسلامية ومخالفة للتعاليم الدينية.

البطش بالمعارضين

الأسوأ حظاً في بلد آل سعود الوهابيين من كان معارضاً مجاهراً بمعارضته أو مشتبهاً بمناوئته لحكمهم ونظامهم السلالي، والمعارضة لآل سعود في مفهومها الواسع ظهرت منذ بداية مخططهم التكفيري التوسّعي، واستمرت حتى اليوم، وأخذت أشكالاً متعددة، وكانت استجابة الحكام السعوديين لها واحدة، إذ سعوا إلى قمعها بالقوة غالباً وبالرشوة أحياناً، ولعب السيف برقاب المعارضين منذ ذلك الحين وحتى اليوم وبالمنشار الكهربائي في تقطيع أوصال الصحفي خاشقجي، وهم لم يفرقوا بين معارضة سلّمية ومسلّحة إذ بطشوا بكليهما، وطالت أيديهم المعارضين خارج مملكتهم وحتى من غير سكان بلدهم.

العمل السياسي من أكبر المحرمات في السعودية، والملك وحده ومن يخوله من أفراد عائلته فقط هم المعنيون بالسياسة الداخلية والخارجية، ويخاطر من ينشط سياسياً في داخل وخارج المملكة بالملاحقة القضائية وأشد العقوبات، وفي 1956م صدر مرسوم ملكي يقضي بحظر النشاط السياسي والعقوبة بالسجن لخمس عشرة سنة لمن يخالف الحظر، وفي قرار صادر في 1962م شُدّدت العقوبة على من يعارض النظام السعودي ويسعى إلى تقويضه إلى الإعدام.

ظهرت المعارضة في عهد أبناء عبد العزيز، وبعد وفاته مباشرة، ففي عام 1956م تأسست جبهة الإصلاح الوطنية، وتزامن تأسيسها مع إضراب عمالي واسع بين عمال

---

[317] "بيع" اللاجئات السوريات للزواج في الأردن، البي بي سي، 10 أيار 2013م.
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2013/05/130510_syrian_refugees_sold_for_marriage

النفط في المنطقة الشرقية، ودعت الجبهة إلى إنهاء الهيمنة الأجنبية واغلاق قاعدة الظهران الأمريكية واستغلال شركات النفط الأجنبية وإصلاحات أخرى مثل وضع دستور للبلاد أسوة بالدول الأخرى، يضمن حرية الصحافة وتداول السلطة عن طريق الانتخابات وحرية الاجتماعات وإلغاء العبودية وتحسين التعليم، وشنت أجهزة أمن النظام حملة قمع على المعارضين وقيّدت حرية النشر في الصحف وألقت القبض على بعض زعماء جبهة الإصلاح.[318] وأدى تخوف الملك سعود من تأثير التعليم الحديث إلى تشجيع حفظ القرآن الكريم واستدعاء الطلاب المبتعثين للدراسة في الخارج.

في الخمسينات نشطت المعارضة القومية واليسارية لنظام آل سعود، وتشكلت أحزاب ناصرية وبعثية وشيوعية، وجرت محاولات انقلاب فاشلة، وغالباً ما تتهم سلطات المملكة جهات خارجية بالوقوف وراء المعارضة ومحاولات تقويض نظام الحكم، وتشمل هذه الجهات دولاً عربية ومجاورة وأحزاب وجماعات قومية وعلمانية وإسلامية، وتوحي هذه التهم بأن المواطنين السعوديين لا يبادرون بأنفسهم لاتخاذ مواقف معارضة بل يقعون تحت التأثير والدعاية " الخادعة" لأغراب عن المجتمع السعودي المحافظ والموالي لآل سعود بصورة عامة.

تعاظمت النقمة على النظام السعودي في أواسط القرن الماضي لتصل إلى صفوف ضباط الجيش، ففي 1955م وفي فترة حكم سعود بن عبد العزيز تمردت قطعات عسكرية في الطائف، وارتاب السعوديون بوجود دور للحكومة المصرية في الحركة، وفشل الانقلاب، وقضي على المشاركين فيه، وتحسباً من تكرار ذلك أسسوا قوة عسكرية من رجال القبائل مستقلة عن الجيش باسم الحرس الوطني. أكد كشيشيان أن الألاف من المعارضين سجنوا في فترة صعود التيار القومي في مصر والبلاد العربية الأخرى ما بين 1957 و1959م وأعدم البعض منهم بتهم التمرّد والتخريب، كما سُجن آخرون بسبب الصراع بين الأمراء على قيادات عسكرية.[319]

---

[318] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 213.
[319] Joseph. A. Kechichian, 2001. **Succession in Saudi Arabia**. New York: Palgrave. p. 103.

ادعت السلطات السعودية في 1962م اكتشاف مؤامرة انقلابية، قوامها أربعون من ضباط الجيش، سيقوا إلى السجون، وفي الأول من العام التالي أعلن الحكم العرفي في البلاد لأول مرة في تاريخ المملكة. تعاملت السلطات السعودية مع اضراب عمال شركة أرامكو في 1965م بعنف مفرط، فقد أمر حاكم المنطقة سعود بن جلوي بالقبض على كافة العمال المشاركين في الإضراب، وأُبعد غير السعوديين منهم، وجلد ثلاثة من متزعمي الإضراب في العلن حتى الموت.[320]

أوقفت السلطات الأمنية في 1967م مجموعة ممن وصفتهم بالمخربين الأجانب، ووجهت لهم التهم بالتآمر لتفجير مقرات حكومية وأعدم 17 منهم بقطع الرأس في العلن.[321] توالى الكشف عن المزيد من المؤامرات في ستينات القرن الماضي، ففي 1969م أعلن الكشف عن مؤامرة كبرى لاغتيال الملك فيصل، بمشاركة عدد كبير من ضباط الجيش، وبلغ عدد الذين وجهت لهم الاتهام بالمشاركة فيها حوالي 2000 من العسكريين وعمال النفط والمعارضين.[322]

الإعدامات

يحرص آل سعود بأن يكون لديهم ما يفتخرون به أمام شعبهم والدول الأخرى، باستثناء الإنتاج النفطي بالطبع، فهم يتباهون بأن لديهم أعلى نافورة وأعلى ساعة وأعلى مسجد ويشيدون أعلى ناطحة سحاب، وبالتأكيد لديهم أكبر عدد من القصور الفارهة لملوكهم وأمرائهم، ولكنهم يتحسسون جداً من أرقام الإعدامات في السنة الواحدة ومقارنتها مع غيرهم من الدول التي لا زالت تنفذ هذه العقوبة، والإعدام بقطع الرأس ينفذ في المحكومين في ساحة قريبة من المساجد الكبرى للمدن ليشهده أكبر عدد من الناس، وأحياناً تصلب جثة المعدوم إذا تضمن الحكم الصلب، وعندما

[320] Basrawi, **Arabia's Hidden America**: **A Saudi Woman's Memoirs,** p. 76.
[321] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p.225.
[322] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p.225.

تسرف سلطة في اصدار وتنفيذ أحكام الإعدام وبأدلة ضعيفة غالباً واعترافات أخذت بالقسر يتجاوز حكم الإعدام وظيفة الردع ليصبح إرهاباً.

تصدر الهيئات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان تقارير دورية عن الإعدامات في السعودية، وتنتقد الصلاحيات الواسعة للقضاة في اصدار أحكام الإعدام ومن دون توفر مساعدة قانونية كافية للمتهمين وبالذات العمال الأجانب من دول غير غربية، وصدرت هذه الأحكام على قاصرين، ووثقت منظمة العفو الدولي بأن سجلات الإعدام لم تشمل مواطناً أمريكياً أو أوروبياً واحداً، كما أن أفراد العائلات الثرية والقريبة من آل سعود أقل عرضة لذلك، وهم الأقدر مالياً على دفع الديات الضخمة اللازمة لدرء عقوبة الإعدام عن أفرادها.[323]

يعدّ الكفر والشرك من أخطر المحرمات الموجبة لأشد القصاص، وأُعدم المصري مصطفى إبراهيم الذي عمل صيدلياً بتهمة الردة، واستند الحكم على إفادات شهود بدخوله إلى دورة مياه حاملاً نسخة من القرآن الكريم،[324] وقبل سنين حكم على حلاق تركي مقيم في المملكة بالإعدام لسبه الذات الإلهية، وعفي عنه بعد ذلك لاعتبارات سياسية، والعمل بالسحر جريمة عقوبتها الاعدام أيضاً، واتهم أحد شيوخ الطائفة الإسماعيلية بالسّحر وحكم عليه بالقصاص، مما أدى إلى تذمر واسع بين أفراد الطائفة، الذين نفوا صحة التهمة مؤكدين بأنها مختلقة لاضطهاد طائفتهم. كما أن المتاجرة بالمخدرات جريمة يعاقب عليها بالإعدام، وغالباً ما يكون هؤلاء من الأجانب، وقبل سنوات حوكم أمير سعودي في لبنان بتهمة محاولة تهريب ملايين من حبوب المخدر كبتاغون على طائرته الخاصة إلى بلده،[325] وحكم عليه بالحبس لعشر سنوات خفضت إلى ست مع الأشغال الشاقة، أما السعودي عبد الله بن مفلح القحطاني فقد حكمت عليه محكمة سعودية بالإعدام في 2008م لحيازته 15 حبة

---

[323] Amnesty International, 2008. **Affront to Justice: Death Penalty in Saudi Arabia**. London; Amnesty International Publications.

[324] Amnesty International, 2008. **Affront to Justice: Death Penalty in Saudi Arabia**. London; Amnesty International Publications, p. 26.

[325] Lebanon charges Saudi prince with drug smuggling, BBC, November 2, 2015. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-34700489

كبتاغون، ولم يشفع له كونه مشرداً يعيش على قارعة الطرق وصدقات المحسنين.[326]

من النادر محاكمة أحد من آل سعود بأي جريمة، وإن حدث ذلك فتكون عادة شكلية، ولم يحاكم محمد آل سعود عن جريمة قتله دبلوماسي بريطاني، أما فهد بن نايف بن عبد العزيز فقد حوكم لقتله منذر القاضي البالغ من العمر خمسة عشر سنة في 2002م أثناء جدال بينهما، ولثبوت الأدلة ضده لم يكن أمام القاضي الوهابي سوى الحكم على ابن وزير الداخلية بقطع الرأس، وشرعاً يعدم القاتل بجريمة القتل العمد إن لم يعف عنه ولي أمر القتيل ويقبل من أهله الدية، وفي يوم تنفيذ الحكم بفهد اقتيد معصوب العينين إلى ساحة الإعدام، وقبل أن يرفع الجلاد سيفه عفى والد الضحية عنه، ويعتقد برادلي بأن المشهد الدراماتيكي كان مجرد تمثيلية أخرجت لإقناع الناس بأن أحكام الشرع تطبق على الجميع بما فيهم آل سعود.[327]

يمارس القضاة الوهابيون هامشاً واسعاً من الحرية في تفسير وتطبيق أحكام الشرع على المدانين، فعلى سبيل المثال يتفاوت الحكم على جرائم الاغتصاب ما بين السجن لسنوات معدودة وغرامة وجلد إلى قطع الرأس، فبينما حكم على باكستانيين بالإعدام بجريمة اغتصاب، كان عقاب رجل الدين الوهابي فيحان الغامدي الذي اغتصب وقتل ابنته البالغة من العمر خمس سنوات بوحشية السجن لمدة ثمان سنوات والجلد، لكن محكمة الاستئناف برأته بذريعة شرعية تقضي بعدم إقامة الحد على أب قتل ولده، لكن الأم تقتل.[328]

القضية المعروفة بفتاة القطيف مثال على تعسف القضاء السعودي الوهابي، وأصل القضية تعرض الفتاة وشاب بصحبتها للخطف تحت تهديد السلاح

---

[326] Amnesty International, 2008. **Affront to Justice: Death Penalty in Saudi Arabia,** p. 13.

[327] John R. Bradley, 2005**. Saudi Arabia Exposed: Inside a Kingdom in Crisis**. New York: Palgrave Macmillan, pp. 137-138.

[328] البراءة لداعية سعودي عذب طفلته بالضرب والنار حتى الموت، **RT** ، 4 شباط 2013.
-https://arabic.rt.com/news/606834
البراءة_لداعية_سعودي_عذب_طفلته_بالضرب_والنار_حتى_الموت/

والاغتصاب الجماعي من قبل سبعة رجال. وبالرغم من اعتراف المدانين بالواقعة تفاوت الأحكام الصادرة عليهم بين سنة واحدة إلى خمس سنوات مع الجلد، كما حكمت على الفتاة والشاب الضحيتين بتسعين جلدة لأنهما كانا في خلوة غير شرعية، وبعد انتقادهما الحكم ضاعفت المحكمة العقوبة عليهما إلى السجن لمدة ستة أشهر و200 جلدة لكل منهما، كما ألغت رخصة المهنة لمحاميهما.[329]

إن نسبة غير قليلة ممن قطع السياف رؤوسهم معارضون لحكم وسياسات آل سعود، وهم أما وهابيون لا يختلفون مع الحكام في العقيدة لكنهم ينقمون عليهم لعدم التزامهم الكامل بها، أو شيعة عبروا عن سخطهم على النظام بإطلاق نار على قوى الأمن أو رمي حجارة عليهم أو حتى المشاركة في مظاهرة، وقد يكون انتقاد النظام والعائلة الحاكمة كافياً لاستحقاق الإعدام والصلب كما في حالة الشيخ الشيعي نمر النمر، وحكم على شباب قصّر بالإعدام لكونهم من الشيعة المشاركين في احتجاجات ومظاهرات للمطالبة بحقوق المواطنة الأساسية، وطالت عمليات الإعدام السعودية شيعة من غير السعوديين. فبعد حدوث انفجارين في مكة المكرمة في العاشر من تموز 1989م قبض الأمن السعودي غير المشهود له بالكفاءة العالية وفي نفس اليوم على 29 حاجاً كويتياً شيعياً، وصف تقرير للواشنطن بوست القضية بالغامضة، وبعد أكثر من شهرين بث التلفزيون السعودي اعترافات 14 منهم، ليدلوا بشهادات مضطربة، ادعوا فيها بأنهم تلقوا متفجرات من الباب الخلفي للسفارة الإيرانية في الكويت وبتوجيه من رجل الدين الكويتي محمد باقر المهري، وأبدت منظمة هيومن رايتس ووتش قلقها من تعرض المتهمين للتعذيب،[330] وبعد محاكمة سريعة في اليوم التالي حكم على 16 منهم بقطع الرأس وبسجن أربعة منهم عشرين عاماً وبراءة تسعة، ونفذ حكم الإعدام في نفس اليوم. حاكمت الكويت المهري وبرئته من التهم التي وجهتها السعودية، وبعد عامين أفرجت السعودية عن الأربعة المحكومين بالحبس لعشرين عاماً، وانتخب أحدهم نائباً في مجلس الأمة الكويتي

---

[329] Bradley, **Saudi Arabia Exposed: Inside a Kingdom in Crisis**, p. 137-138.

[330] Patrick E. Tyler, 1989.Saudis Behead 16 Kuwaitis for Bombings. **The Washington Post**, September 22. https://www.washingtonpost.com/archive/politics/1989/09/22/saudis-behead-16-kuwaitis-for-bombings/ea9c9a68-6646-473f-be53-5e5f574b8883/.

لعدة دورات، ويثير مجرى القضية من القبض حتى الإعدام واطلاق السراح شكوكاً جدية في صدق الادعاءات السعودية وبأنها مختلقة للتشهير بالشيعة وإيران.[331] في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز جرت ثلاث حفلات إعدام جماعية، الأولى في 2016م ذهب ضحيتها 47 شخصاً من بينهم ثلاثة قصر، وفي 2019 قطعت رؤوس وجبة ثانية مؤلفة من 37 شخصاً، ومنهم ستة قصر، وفي 12 آذار عام 2021م أعدم 81 شخصاً.[332]

الإعدام بالرمي من الطائرة

يبدو من تكرار روايات متطابقة بأنها الطريقة المفضلة لدى آل سعود للتخلص من المعارضين بالسّر وبدون إثارة اهتمام واسع، لكنها وإن جرت كذلك سيتسرب أو يُسرب خبرها لتؤدي وظيفتها في إرهاب السكان وردعهم عن حتى التفكير بمعارضة حكم آل سعود، وتوجد قناعة لدى الكثيرين بأن ناصر السعيد، المعارض النشط للنظام منذ أواسط الخمسينات، الذي اضطره الخوف على حياته لمغادرة السعودية والإقامة في سوريا قد أعدم بنفس الطريقة، وروي بأن حكومة السعودية دفعت مبلغاً كبيراً للزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ثمناً لخطف ناصر السعيد وتسليمه للسعودية، وأعدم بقذفه من طائرة، ليتردى من شاهق إلى الموت.

---

[331] جعفر البكلي، 2015م. الحج إلى كعبة...آل سعود؟ **الأخبار**، 23 أيلول. -https://www.al akhbar.com/Opinion/11491/الحج-إلى-كعبة-آل-سعود.

[332] Human Rights Watch, 2022. Saudi Arabia: Mass execution of 81 men. **HRW**, March 15. https://www.hrw.org/news/2022/03/15/saudi-arabia-mass-execution-81-men; Saudi Arabia executes 81 men in 24 hours. 2022.
The Guardian, March 12.
https://www.theguardian.com/world/2022/mar/12/saudi-arabia-executes-men-in-one-day

روت بصراوي بأن أحد معارفها من الشيعة والذي كان معارضاً في جامعة الرياض سجن هو ومجموعة من المعارضين وقذفوا من طائرة سمتية في مكان ما من صحراء الربع الخالي.[333] استغرب سعودي من عائلة معروفة موافقة قريب له على تزويج ابنته من الأمير سلطان بن سعود المعروف بكثرة زيجاته، حيث كان يتزوج ويطلق ليتزوج مرة أخرى كعادة أبيه عبد العزيز، وقيل بأن كلمة السر بقرب طلاقه لزوجة ابلاغها بأنه ينوى أداء العمرة، فسأل السعودي المستغرب من رضا قريبه عن زواج ابنته من الأمير المزواج أحد أفراد العائلة الذي يعمل تحت سلطة الأمير عن سبب ذلك القرار المستهجن فأجابه بأنه لو رفض زواج ابنته من الأمير لأمر بـ "صندقته"، أي وضعه في صندوق مقفل، وقذفه من طائرة، وانتهى الزواج بالطلاق بعد شهور قليلة.

اغتيالات

يتهم آل سعود بتدبير وتمويل محاولتي اغتيال إرهابيتين موثقتين، الأولى في الخمسينات استهدفت الرئيس المصري جمال عبد الناصر والثانية في الثمانينات وكادت أن تقتل رجل الدين الشيعي محمد حسين فضل الله، في كتابه الموسوم (يا صاحب الجلالة) كشف محمد حسنين هيكل الصحفي المصري المقرب من الرئيس عبد الناصر مؤامرة اغتيال عبد الناصر في 1958م بتدبير وتمويل من آل سعود، ولتنفيذ العملية قدمت الحكومة السعودية في عهد سعود بن عبد العزيز رشوة بملايين الجنيهات الإسترلينية إلى عبد الحميد السراج رئيس المخابرات السورية للقيام بانقلاب والاتيان بحكومة مناوئة للاتحاد المزمع بين مصر وسوريا وأيضاً لتفخيخ طائرة عبد الناصر لتنفجر أثناء طيرانها. حرص السراج على استلام الحوالات المصرفية الصادرة من بنك سعودي لتكون أدلة على المؤامرة قبل الكشف عنها لعبد الناصر، وكانت خيبة آل سعود مضاعفة من فشل المؤامرة وأيضاً من افتضاحها وما

[333] Basrawi, **Arabia's Hidden America**: **A Saudi Woman's Memoirs,** p. 80-81.

سببته لهم من تصدع داخل العائلة أفضى في النهاية إلى عزل سعود وصراع طويل مع عبد الناصر والتيار القومي.[334]

محمد حسين فضل الله عالم ديني شيعي، يعتبره الكثيرون معتدلاً وساعياً للتوفيق بين المذهبين السنة والشيعة، فأبغضه المتشددون من الطرفين، أما الحكومة الأمريكية فقد حملته اعتباطاً مسؤولية التحريض على تفجير مقري الجنود الأمريكيين والفرنسيين في بيروت في 1983م، لكنها لم تضعه على قائمة الإرهابيين إلا في 1995م، قبل ذلك وفي 1984م وبمشاركة السعودية حاولت اغتياله. كشف الصحفي الأمريكي المعروف بوب ودوارد في كتابه Veil بأن رئيس وكالة الاستخبارات المركزية وليام كيسي عقد اجتماعاً مع السفير السعودي في واشنطن الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز في مقهى بمدينة واشنطن، واتفقا على اغتيال الشيخ فضل الله، وكانت مساهمة السعودية تمويل عملية الاغتيال بمبلغ ثلاثة ملايين دولار، واستغرق الاعداد للعملية سنة بأكملها، جندوا خلالها عملاء من مخابرات الجيش اللبناني ومواطنين لبنانيين، وفي يوم الجمعة المحدد لتنفيذها وضعوا سيارة مفخخة بالمتفجرات بالقرب من منزل فضل الله، وكان من المقرر تفجيرها عند وصوله إلى منزله، لكن واجباته الدينية أخرت مجيئه في الوقت الذي وصلت سيارة مشابهة لسيارته إلى المكان ففجروا السيارة المليئة بالمتفجرات. نجا عالم الدين من موت محقق، لكن أكثر من 80 من النساء والطفال والأجنة في بطون امهاتهم قضوا نحبهم وجرح حوالي المئتين نتيجة محاولة الاغتيال المدبّرة والممولة أمريكياً وسعودياً.[335]

[334] محمد حسنين هيكل، **يا صاحب الجلالة**. القاهرة: كتب قومية.

[335] Bob Woodward, 1987. **Veil: The Secret Wars of the CIA: 1981-1987**. New York: Simon &Schuster Paperbacks, p. 368-369.

محمد حسين فضل الله، 2013 .**حياتي: محاولات الاغتيال الّتي تعرّضت لها، 10 رجب 1434هـ / ٢٠١٣/٥/٢٠** http://arabic.bayynat.org/NewsPage.aspx?id=2081

حصانة آل سعود من المسائلة

لا يحاسب آل سعود على قراراتهم وسلوكياتهم، فلا يوجد دستور يعرف سلطات مسؤوليات الملك، وهو ليس مسؤولاً أمام أحد عن قراراته، فهو حاكم مطلق، لا يختلف عن ملوك القرون الوسطى، أما أفراد عائلته الذين يشغلون أهم المناصب الوزارية وإمارات المناطق والمراكز الحكومية الهامة فلا يسائلهم أحد سوى الملك نفسه، وهو وحده يقرر تعيينهم وعزلهم، ولو تطرق مقال صحفي لأداء وزارة أو إدارة يرأسها أمير فمحظور انتقاده شخصياً بل عادة تلقى المسؤولية عن التقصير في الأداء على موظفين أدنى منه، ونجح إرهاب أبناء عبد العزيز في تكميم أفواه الناس فلا تسمع ولا تكتب سوى كلمات الثناء والتمجيد لحكم آل سعود حتى من الذين يتظلمون من غبن وقع عليهم، وكل من تسّول له نفسه انتقاد العائلة الحاكمة أو حتى أحد أفرادها سيعتبر خارجاً على "ولي أمر المسلمين" ومستحقاً لأقسى العقوبات.

لأفراد العائلة الحاكمة حصة غير قليلة من الثروة في السعودية، تمكنوا من جمعها بالسحب المباشر من المخصصات الخاصة في الميزانيات السنوية ومن العمولات والرشى الضخمة المتحصلة من صفقات السلاح والمشاريع الكبرى ومن الاستيلاء على الأراضي العامة وبدرجة محدودة من جهد شخصي، وعُزل الملك سعود من العرش بسبب إسرافه في صرف موارد الميزانية على تشييد قصوره ومصاريفه الشخصية حتى بلغت السعودية حافة الإفلاس، وبلغت ثروات ملوك سعوديين أرقاماً خيالية، فعلى سبيل المثال قدرت ثروة الملك عبد الله بـ 18 مليار دولار، وأطلق على ابن للملك فهد "السيد خمسة بالمئة" بعد نشر معلومات عن استلامه عمولة بهذه القيمة من شركة كندية مقابل حصولها على عقد لتنفيذ مشروع ضخم، وأخبرني مدير قصور الأمير طلال بن عبد العزيز، الذي كان عضواً في جماعة معارضة في الخمسينات، بأن الأمير يمتلك نصف أراضي مدينة الرياض، وبعد تأسيسه مؤسسة خيرية خصص الملك عبد الله لها أراضي شاسعة يمتلكها في المدينة المنورة، وليس من المحتمل أن يكون قد اشتراها، وادعت ابنة ضابط رفيع في القوات الجوية السعودية بأن الأمير سلطان بن عبد العزيز أجبر والدها على التقاعد المبكر واستعاد

منه قطعة من الأرض بعد احجامه عن الموافقة على صفقة عسكرية فاسدة، وكان سلطان يهب الأراضي العامة لأعوانه. مقابل الثروات الضخمة لآل سعود يرزح ملايين من السعوديين تحت خط الفقر، وقدرت هناء الخرمي نسبة الفقر في 2019م بعشرين بالمئة، أي ما بين أربعة وخمسة ملايين سعودي، ولا يولي آل سعود أولوية لمحاربة الفقر.[336]

الثروة وسيلة لتشديد قبضة آل سعود للحكم ووسيلة من وسائل الترغيب والترهيب أيضاً، فالشرهات أي المبالغ التي تدفع لرؤساء القبائل والأتباع ثمن ولائهم لآل سعود، كما أن الوظائف القيادية ومقاولات المشاريع الكبرى والهبات جوائز لمن يقدم خدمات للعائلة المالكة، وبالقابل فمن لا يحظى برضاها يخسر أكثر من ذلك بكثير، وقد أسس أفراد آل سعود علاقات شراكة علنية أو خفية مع طبقة الرأسماليين الكبار، فعندما تنهال على أحد رجال الأعمال مقاولات المشاريع الدسمة ويثري بسرعة يتساءل السعوديون عادة عن الأمير الذي يشاركه في الأرباح لا في الجهد والتنفيذ، ولو طلب أمير من رجل أعمال التنازل له عن حصة في استثماراته فلن يتوانى عن فعل ذلك مكرهاً، وهو ما حدث لأحد كبار أصحاب مذاخر الأدوية بعد ما طلب منه أمير التنازل عن وكالة أدوية ليضمها للوكالات التي بحوزته، وقد لا يسلم حتى صاحب مطعم على مصدر رزقه لو كثرت زبائنه وطمع به أمير، فيبادر إلى "شراءه" بسعر أقل بكثير من قيمته السوقية.[337] وهم في ذلك يقتفون سيرة عبد العزيز بن سعود، فعلى سبيل المثال استولت حكومته على معمل لصيانة الأسلحة أنفق عليه مالكه العراقي علوان السامرائي 3000 جنيه، ثم أبلغوه بإرسال كشف بقيمته لـ"ننظر به بعدين"، واستيقن القنصل العراقي العام في جدة بأن العراقي مغبون، وسيحرم من استحقاقه، كما أن قصراً لسعودي، هو نسيب هذا العراقي، شيده بمبلغ يزيد على

---

[336] Hana Al-Khamri, 2019. Vision 2030 and poverty in Saudi Arabia. **Al-Jazeera**, December 23. https://www.aljazeera.com/opinions/2019/12/23/vision-2030-and-poverty-in-saudi-arabia.

[337] Baer, **Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude**, p. 181.

11000 جنيه، استحسنه عبد العزيز فأمر باستملاكه وسمّاه القصر الأخضر، وأجلوا تسليم ثمنه حتى "ينظر فيه" أيضاً.[338]

كتب روبرت باير بأن الجيل الثالث من الأمراء السعوديين غير قانع بالمخصصات الضخمة التي يستلمونها كل شهر، لذلك دأبوا على تحصيل موارد إضافية بطرق غير مشروعة، منها سرقة الأملاك العامة والخاصة، والاقتراض من بنوك ورفض سدادها وبيع رخص العمل للأجانب وحتى الاتجار بالمخدرات.[339]

في أواسط ثمانينات القرن الماضي كلفت بدراسة تدني مستويات سداد قروض البنك الزراعي السعودي، وتبين من بيانات الدراسة أن حوالي 80 بالمئة من القروض غير المسّددة ممنوحة لحوالي 20 بالمئة من مالكي المشاريع الزراعية، وتأكد لي بأن استيفاء الديون من هؤلاء العشرين بالمئة شبه محال لأنها شركات أو مزارع ضخمة يملكها أمراء وأثرياء مقربين، استفادوا أكثر من غيرهم بمساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة والمنح الجزيلة والقروض السخية من البنك. بحلول 1989م ظل توزيع الملكيات الزراعية كما شهدته من قبل، فوفقاً لبيانات مكتبة الكونجرس الأمريكية تعود ملكية أكثر من نصف مساحة الأرض المزروعة لسبعمائة مشروع خاص يمتلكها أمراء أو شركائهم من رجال الأعمال والسياسة، وبينما حصل 67000 مزارع على أراضي ممنوحة من الدولة مساحتها أقل من 6 هكتارات لكل مزارع كان نصيب 17 شركة 1500 هكتار لكل واحدة متجاوزين بذلك سقف المنح المحدد بأربعمائة هكتار لكل شركة.[340]

يستعمل آل سعود كل وسائل الترهيب والضغط لحماية افراد أسرهم من المسائلة والمحاسبة خارج بلادهم أيضاً، إذ لا توجد اتفاقيات تسليم المطلوبين بين المملكة

[338] رؤوف، **المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين: السلطة والمتغيرات السياسية والاقتصادية في ضوء تقارير المفوضية العراقية في جدة**، ص 250.

[339] Baer, **Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude**, pp. 181-182.

[340] Jones, **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia**, p. 232.

ودول عديدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، لذا تمتنع المملكة عن تسليم مطلوبين من العائلة الحاكمة إلى دول أخرى، وإذا لم تكف الحصانة الدبلوماسية لمنع مسائلة أمير أو أمير هددوا بإلغاء صفقة سلاح أو وضع قيود تجارية على صادرات ذلك البلد أو غير ذلك من أساليب الترهيب، ولعل أبرز مثال على ذلك تعامل الحكومة السعودية مع تقرير التحقيق في الفساد الذي شاب صفقة اليمامة العسكرية، إذ هددت السعودية الحكومة البريطانية بإلغاء الصفقة لو مضت بنشر الوثائق التي تدين أفراد من العائلة المالكة بالفساد واستلام الرشوة. [341]

التعذيب

عرض التلفزيون السعودي في 2007م شريطاً ظهر فيه عدداً من السجناء الذين اعترفوا بالتخطيط لتنفيذ هجمات على منشآت نفطية ومواقع حكومية، وهي جرائم عقوبتها الإعدام، ولم تتوفر معلومات عن كيفية الحصول على هذه "الاعترافات" وإن كان المتهمون قد اتيحت لهم فرص الدفاع عن أنفسهم والحصول على مساعدة قانونية،[342]ولا يستبعد تعرضهم للتعذيب لقسرهم على الاعتراف، وتوجد شهادات وتقارير موثقة عن تعرض السجناء للتعذيب في سجون المملكة، وأبلغني سعودي ثقة من منطقة الجوف في ثمانينات القرن الماضي بأن طريقة التعذيب المفضلة لدى أمير المنطقة هي اجبار المتهم على تناول كمية كبيرة من ثمار البطيخ الأحمر ومنعه من التبول بشد قضيبه، فلا يمضي وقت طويل حتى يقرّ للجلاد بما فعل ولم يفعل، كما أخبرني مدير لأحد السجون في السعودية بأن سجين فلبيني بتهمة بسيطة توفي منتحراً في السجن بسبب اصابته بالذعر الشديد مما ينتظره داخل السجن، وألّف الكندي سمبسون كتاباً عن تجربته في سجن سعودي، حيث تعرض لتعذيب نفسي وجسدي على مدى سنتين، حتى كان يلوث بدنه ببرازه لمنع السجانين من

---

[341] David Leigh and Rob Evans, 2007. The al-Yamamah deal. **The Guardian**, June 7. https://www.theguardian.com/world/2007/jun/07/bae15

[342] Amnesty International, **Affront to Justice: Death Penalty in Saudi Arabia**, p. 19.

تعذيبه واغتصابه، وأُجبر على الاعتراف بالتهم الموجهة له وحكم عليه بالإعدام، وتحت ضغوط من دول غربية أفرجت عنه السلطات السعودية.[343]

في عهد الملك الحالي سلمان شن ابنه وولي عهده حملة "تطهير" البلد من الفاسدين، وأمر باحتجاز عدد من أقاربه وكبار رجال الأعمال، وانتشرت تقارير غير موثقة عن تعرضهم للتعذيب لإجبارهم على التنازل عن بعض ثرواتهم، ويؤكد بعض اللبنانيين تعرض رئيس وزراء بلدهم سعد الحريري للتعذيب من قبل أعوان ولي العهد الحالي محمد بن سلمان وقسره على الاستقالة من السعودية.

قمع انتفاضة الريث[344]

تقع محافظة الريث في مقاطعة جيزان في جنوب السعودية، وهي مقاطعة يمنية استولت قوات آل سعود عليها في 1935م، والريث منطقة جبلية وعرة، وتقطن قبائل الريث في أعالي جبل القهر وسفوحه، وعانت من إهمال وتعسف الحكام المحليين، لذا تكررت انتفاضاتها المسلحة ضد النظام السعودي، ففي 1942م ثاروا على حكم عبد العزيز بن سعود، فشن آل سعود حملة لإخماد الثورة تحت إمرة تركي وخالد السديري. لم يدم صبر قبائل الريث على ظلم وإرهاب آل سعود وولاتهم المحليين طويلاً، وكان حدثاً محدوداً كافياً لحملهم السلاح مجدداً ضد حكم الوهابية، فبعد تعرض أحد أفراد القبليين للتعذيب في سجن الحاكم المحلي سليمان بن جبرين في أواخر عام 1955م صمم على الانتقام من الجلادين بعد اطلاق سراحه، ونجح في قتل أحد العاملين في السجن، فطالبت الإدارة المحلية من قبيلته احضاره فلم يعثروا عليه، فصدر الأمر للشيوخ بالمثول أمام الإدارة، فرفضوا تنفيذ الأمر لخشيتهم من

---

[343] William Sampson, 2021.Confessions of an innocent man: Torture and survival in a Saudi prison. **Quill and Quire**, 3/11/2021. https://quillandquire.com/review/confessions-of-an-innocent-man-torture-and-survival-in-a-saudi-prison/

[344] محمد بن أحمد العقيلي، **تاريخ المخلاف السليماني. بدون بيانات نشر**، ومواقع إلكترونية.

تعرضهم لمعاملة مهينة، وتحسباً من هجوم أو كما اعتبروه غزواً جديداً لمناطقهم حشدت القبائل مقاتليها في جبال القهر، أما حكومة سعود بن عبد العزيز فزعمت بأن قبائل الريث عصاة والواجب قتالهم، وأشيع بين أنصار النظام بأن هؤلاء "العصاة" مشركون وخارجون على الدين، ووجه الملك أمير جيزان تركي السديري بقتال قبائل الريث المتحصنة في جبل القهر، وبعد محاولة فاشلة أبلغ السديري الملك بصعوبة إتمام الأمر من دون قوة كبيرة، فصدر الأمر للجيش السعودي بما في ذلك القوات الجوية بالمشاركة في القتال، كما طلب أمير المنطقة من القبائل الأخرى ومن مناطق مختلفة الالتحاق بالقوة المهاجمة وتهدد المتخلفين بالعقوبة: "فو الله من خالف لأجعله مأدبة للجميع من سكنة عسير"، وخوفاً من إرهاب آل سعود وولاتهم أذعنت القبائل، فتجمعت قوة من لواءين من الجيش السعودي وثلاثة ألاف مقاتل من القبائل المرغمة على القتال وما عرف بجيش المجاهدين الوهابيين والطامعين بالغنائم - علماً أن فقر قبائل الريث مدقع - صمدت قبائل الريث أمام القوة الأعظم عدداً وتسليحاً، ولم تستلم بل استمرت بالقتال، وأوقعت في صفوف الجيش الوهابي والقبائل خسائر فادحة، ودام الحصار ستة أشهر، حتى نفذ عتاد مقاتلي الريث وبالرغم من ذلك لم تجرؤ القوة المهاجمة من صعود الجبل إلا بعد استخدام الطائرات السمتية لضرب مواقعهم، فاستغلت القبائل الفرصة للتسلل إلى أعالي الجبل، وانهمكوا في جمع الغنائم من إخوتهم وجيرانهم، وكعادتها نكّلت السلطات السعودية بالقبائل الثائرة وأعدمت البعض منهم، واختلفت أرقام القتلى من الطرفين، وبالغت السلطات السعودية في تحديد قتلى الريث وقلّلوا من عديد قتلاها، وقدر أحد المصادر قتلى الجيش والقبائل المعتدية بأكثر من 1500، أما قتلى الثوار فلم يزد على ثمانية من أصل 150 مقاتلاً تصدوا للجيش السعودي والقبائل لستة أشهر.

الأقليات المذهبية ضحايا إرهاب السلطة

لا توجد في السعودية أديان معترف بها سوى الإسلام، لكن النسخة الوهابية من الحنبلية السلفية ليست المذهب الوحيد فيها، بل هو المذهب الطارئ عليها، وقد سبقته المذاهب الأربعة السنية والصوفية والشيعة الإثنى عشرية والإسماعيلية والزيدية، وباستيلاء عبد العزيز والوهابية على الحجاز توارت المذاهب السنية عن المشاعر المقدسة، أما الصوفية والشيعة فقد استهدفوا بالاضطهاد الممنهج، وبالأخص الإثنى عشرية والإسماعيلية.

يقطن الشيعة الإثنى عشرية في القطيف والأحساء وفي المدينة المنورة، ويعرفون في مدينة الرسول الأعظم بالنخاولة، لكونهم أصحاب بساتين النخيل حواليها. اضطهدت حكومات أبناء عبد العزيز الشيعة، وكان الموقف الرسمي من هذه الأقليات، وكما عبر عنه رجال الوهابية البارزون والمفتون الرسميون بأن الشيعة كفار ومشركين، فلا يجوز التعامل معهم أو مصاهرتهم أو أكل ذبائحهم، وكرروا دعواتهم لقسرهم على التخلي عن مذهبهم والتحول إلى الوهابية أو القضاء عليهم أو اجلائهم إلى بلاد أخرى بالحد الأدنى، ومثال على ذلك فتوى عبد الله بن جبرين في 1991م بأن الشيعة مشركون وحلال سفك دمائهم، كما دعا الداعية الوهابي سلمان العودة لطرد الشيعة أو كما سماهم الروافض،[345] وأفتى عبد الرحمن البراك رجل الدين الوهابي المقرب من آل سعود بأن الشيعة مذهب شرير وأشد خطورة من اليهود والنصارى.[346]

مناطق الشيعة هي الأثرى في السعودية، فقبل النفط كانت مزارع الأحساء والقطيف المصدر الرئيسي للتمور والمحاصيل الزراعية، وموانئها منافذ التجارة بين نجد والعالم، لذلك كانت على رأس قائمة المناطق التي سعى عبد العزيز جاهداً

---

[345] Algar, **Wahabism: A Critical Essay**, p. 61-62.

[346] Curtin Winsor, Jr., **Saudi Arabia**: **Wahhabism and the Spread of Sunni Theofascism**; Jones, **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia**, p. 18.

لاحتلالها والاستيلاء على ثرواتها، ولولا ذلك لربما فشل في تكوين دولته التوسعية، ثم اكتشف النفط فيها الذي وفرت موارده مقومات البقاء لمملكة آل سعود وثرائهم الشخصي، وفي نفس الوقت كان الشيعة الأكثر حرماناً من شعوب السعودية، ففي الثمانيات من القرن العشرين اشتكى لي مديرو بلديات القطيف من عدم توفر مياه الشرب النقية فيلجأ السكان لمياه الآبار الملوثة، مما يؤدي إلى تفشي الأمراض بين الكبار والصغار، وفي أرياف المنطقة يقطن السكان في بيوت طينية، تنقصها كافة وسائل الحياة الصحية، ونقل توبي جونز في 2010م صورة قاتمة وصادمة لشبكات الماء النقي في الأحساء والقطيف، ففي القطيف وقراها لا يوجد نظام مركزي لتوفير مياه نقية والشبكات المحلية قديمة، وأنابيبها مكشوفة ومهترئة، تختلط فيها المياه المكررة مع مياه المجاري، وفي بلدة صفوى القريبة من القطيف توجد بركة كبيرة من المياه الراكدة والمجاري التي نزّت من شبكات قديمة، أما جزيرة تاروت فقد كانت قراها شبه أطلال وربما اضطر أهاليها لشرب مياه البحر.[347]

تسكن المدينة المنورة وجوارها أقلية شيعية، يعرفون بالنخاولة لامتلاكهم وعملهم في بساتين النخيل، وهم كبقية الشيعة والأقليات المذهبية الأخرى مضطهدون في معيشتهم ومساكنهم ومحرومون من حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وهدمت السلطات السعودية مسجدهم الوحيد، وفي الثمانينات زرت مسؤولاً رفيعاً في الأمانة العامة للمدينة أي بلديتها الكبرى برفقة زميل سعودي في مهمة استشارية وأثنى الزميل على نجاح البلدية في تشتيت النخاولة، ولم يتسنى لي معرفة تفاصيل هذا التنكيل بهذه الطائفة التي سكنت المدينة المنورة من قبل نشوء الحكم الوهابي.

أوكل الحكام السعوديين لابن جلوي وعائلته إدارة المنطقة الشرقية، لما عرف عنهم من قسوة وغلاظة، فتعسفوا في معاملتهم، ومنعوهم من ممارسة شعائرهم الدينية، ووضعوهم تحت المراقبة الأمنية، لذلك كانوا يؤدونها في السّر وضمن تجمعات صغيرة في المنازل، يتناقل شيعة المنطقة الشرقية تصريحاً ساخراً لابن جلوي حاكم المنطقة بأنه "لو أراد الشيعة اللطم - أثناء احياءهم لمراسم عاشوراء -

[347] Jones, **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia,** p. 196.

فنحن سنلطمهم"، ولم يمنع آل سعود مظاهر الحزن في عاشوراء الإمام الحسين وأهله وأصحابه بل حرموا أهالي المنطقة أيضاً من الاحتفال بأفراحهم في أماكن آمنة، فقد حظروا تشييد صالات أفراح في القطيف ومناطق الشيعة، لذلك اضطروا لعقد حفلات الزواج في الخيام، وانتهت حفلة زواج في بلدة القديح بالقطيف في 1999م بكارثة بعد نشوب حريق فيها أدى وفاة 76 من النساء والأطفال.[348]

تعرض شيعة السعودية للتمييز في التعليم الجامعي والتوظيف الحكومي، واشتكوا من الفرص القليلة للدراسة في مجالات معينة مثل الطب البشري، وفي المدارس الحكومية كان الطلاب الشيعة يُعلمون في صفوف تعليم الدين بأن مذاهبهم منحرفة، وهم مشركون أو كفار، واضطروا للعمل في مناطق سكناهم لئلا يتعرضوا لسوء المعاملة، وحظروا عليهم الانتساب للجيش وقوى الأمن، أما الذين قصدوا العاصمة الرياض أو غيرها من المدن خارج مناطق تجمعهم للدراسة أو العمل فقد مارسوا التقية أو إخفاء مذهبهم والتظاهر بأنهم ينتمون إلى المذهب الوهابي الرسمي.

تجلى الاضطهاد السعودي الوهابي للشيعة في محنة الكاتب والصحفي محمد سعيد المُسّلم. لم يحمل هذا المثقف سوى قلمه للكتابة عن تاريخ المنطقة الشرقية والسردية البديلة للرواية السعودية وشركة أرامكو، وتضمن كتابه المعنون ساحل الذهب الأسود المنشور في 1960م حقائق التاريخ الاجتماعي والثقافي للجماعات القاطنة في المنطقة قبل الغزو والاحتلال السعودي، كما تناول مواقف سكانها من آل سعود وغيرهم من القوى الخارجية التي حكمت المنطقة، وربما خوفاً من انتقام آل سعود نشر طبعة ثانية في 1962م أزال منها كافة الانتقادات الموجهة للحكومة، لكن ذلك لم يشفع له عند السلطة، فسجن لمدة عشرة أعوام، ففي الوقت الذي تشجع الحكومة ومؤسستها الوهابية نشر الكتب التي تكفر الشيعة، وتسخّف عقائدهم، وتشوّه سمعتهم، أخرست الأصوات الشيعية المنادية بإنصاف الطائفة.

شارك شيعة المنطقة الشرقية في التظاهرات والاحتجاجات في عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ليس للمطالبة بحقوقهم كأقلية والمساواة مع بقية

---

[348] J. E. Peterson, 2003. **Historical Dictionary of Saudi Arabia**. Lanham, Maryland: Scarecrow Press, p. xxxv. قدر عدد الضحايا بأكثر من 46

السكان، بل لتأييد مطالب وطنية وقومية ومعارضة لسياسات حكومتهم المنصاعة للمصالح الغربية. بعد الثورة الإسلامية في إيران حدث تحول ملحوظ في نشاط شيعة الأحساء والقطيف، إذ تجرأ الكثيرون منهم على المجاهرة بانتمائهم المذهبي، وطالبوا بمساواتهم في الحقوق وحرية ممارسة شعائرهم الدينية في العلن من دون مضايقات، عقائدياً يحكم السعوديون الوهابيون على الشيعة بالزيغ والشرك وحتى الكفر، وبعد الثورة الإيرانية زادوا على ذلك الاتهام بالولاء لإيران وتنفيذ مخططاتها المعادية لآل سعود وحلفائهم في المنطقة، وبعد مصرع 19 جندياً أمريكياً وجرح المئات نتيجة انفجار بالقرب من قاعدة عسكرية في الظهران في 1996م اتهمت السعودية إيران بتدبيره وألقت القبض على 40 من شيعة المنطقة.

في عاشوراء من العام 1979م وأثناء الشعائر الخاصة بهذه المناسبة الدينية تظاهر أعداد كبيرة من شيعة المنطقة، فأرسلت الحكومة السعودية الألاف من قوات الحرس الوطني المعززة بطائرات سمتية مسلحة للسيطرة على المنطقة، وأغلقت الطرق الرئيسية لمنع توسع الاحتجاجات، واطلقت النار على المتجمهرين فقتلت العشرات ومن بينهم عشرة قضوا على الجسر الواصل بين جزيرة تاروت وبر القطيف، وأجبرت مشيعين على ترك الجثامين في الطريق للنجاة بأرواحهم، ومنعت القوات شيعة الأحساء في 1980م من احياء المناسبة بالقوة، مما أدى إلى مظاهرات عنيفة مضادة للسلطة في المنطقة الشرقية، وأُحرقت معسكرات للجيش وفروع بنكية، وقتل عدد من المتظاهرين في المواجهات مع قوى الأمن، وانتقاماً من حركة الاحتجاجات هدمت الحكومة السعودية وسط المدينة التراثي الذي نشط المحتجون في أزقته، وامعاناً في إذلال الأهالي قدرت تعويضات المالكين بنصف قيمها المنصفة.[349]وجاءت موجة احتجاجات الشيعة العنيفة نتيجة طبيعية لعقود من القهر والتهميش التي تعرضوا لها كما رأى توبي كريج.[350]

[349] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia,** p. 242.
[350] Jones, **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia,** p. 181.

هدم البلدات أو أحياء منها وتهجير سكانها سياسة اعتمدها آل سعود والوهابيون لقمع المعارضين والتنكيل بهم منذ الفترة الأولى للحكم السعودي ، وفي 2017م جاء دور مدينة العوامية الشيعية، وبحجة تطوير وسط المدينة التراثي أرسلت الحكومة السعودية قوة كبيرة لاقتحامها وتهجير سكانها، وقصفتها بالمدفعية فكانت أشبه بساحة حرب، واضطر سكانها الغاضبون للدفاع عن أنفسهم ومقاومة العسكريين الذين اعتدوا على عوائلهم. أسفرت القوة المفرطة في هدم المساكن والمحلات ومقتل العشرات من سكانها.[351]

مقتلة الحجاج الإيرانيين

كانت مكة المكرمة حرماً آمناً من قبل الإسلام، وحرمته في الإسلام مشرّعة في القرآن الكريم:(ومن دخله كان آمناً)[آل عمران: 97]، فلا يجوز فيه قتل أو إيذاء البشر بل ولا حتى صيد الحيوان أو قطع الشجر وقلع الحشيش.[352]لكن آل سعود وأتباعهم الوهابيين أباحوا لأنفسهم انتهاك حرمته مرات عدة أثناء حملاتهم لإخضاع الحجاز لسيطرتهم، وشهد العام 1987م سفك الوهابيين لدماء مئات الحجاج على بعد أمتار من أبواب الحرم المكي.

اعتاد الحجاج الإيرانيون بعد الثورة الإسلامية على تنظيم مسيرة البراءة من المشركين في كل موسم حج، يدعون فيها إلى وحدة المسلمين ومعاداة أمريكا والكيان الصهيوني، وبموجب اتفاق مع السلطات السعودية الأمنية يحدد توقيتها ومسارها،

---

[351] Satellite images show scale of devastation inside Saudi town under siege from its own government. 2017**. The Independent,** August 9. https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/saudi-arabia-siege-town-awamiyah-qatif-shia-nimr-al-nimr-al-musawara-a7882266.html.

[352] موقع مفتي المملكة السعودية عبد العزيز بن باز .
https://binbaz.org.sa/audios/3080/تفسير-قوله-تعالى-فيه-ايات-بينات-مقام-ابراهيم-ومن-دخله-كان-امنا

وينظر الوهابيون إلى اطلاق هذه الشعارات أثناء الحج تسيساً للشعائر ومخالفة لتعاليم الدين إن لم تكن بدعة، أما آل سعود فلا يخفون استياءهم من كونها معادية لأمريكا الضامنة لاستمرار حكمهم وتسلطهم، وهم متحالفون للعراق في حربه على إيران.

في آخر أيام تموز من ذلك العام تحرك الألاف من الحجاج الإيرانيين من الرجال والنساء وبمشاركة معوقي الحرب العراقية على إيران في كراسيهم المتحركة، وعند وصول مقدمة المسيرة إلى أحد الجسور بدأ أفراد الأمن السعودي المتربصون فوق الجسر بإلقاء الحجارة على الحجاج، وبالتزامن مع ذلك انهالت الحجارة وقطع المعدن على الحجاج من موقف للسيارات والمباني في جانب الشارع، فاضطرت الصفوف المتقدمة من الحجاج للتقهقر، بينما استمر الحجاج في مؤخرة المسيرة في السير قدماً، ولم تصدر من الحجاج مقاومة سوى البعض الذين تسلقوا إلى أعلى الجسر، وتصدوا لقوات الأمن السعودي، ولم يطل الوقت حتى بدأ الجنود برمي الحجاج بقنابل الغاز المسيل للدموع ومن ثم الرصاص الحي، ومن الخلف تعرض الحجاج للضرب بالهراوات وقنابل الغاز ومدافع المياه القوية، وبالنتيجة حُوصر الحجاج في مكان ضيق، وأدى التدافع إلى سقوط كبار العمر والضعفاء تحت الأقدام، وشهد بعض المشاركين في المسيرة بتعرض الجرحى للضرب من قبل قوات السعودية، كما لم يحصلوا على عناية طبية.

تدلّ كل الحقائق المستقاة من مصادر مستقلة بأن الهجوم على المسيرة كان مدبّراً ومخططاً والهدف منه قتل أكبر عدد من الحجاج الإيرانيين، وانتهت المسيرة بمقتل 324 بما فيهم 210 امرأة وجرح ما يزيد على 300 من الحجاج الإيرانيين، كما لقي العشرات من حجاج دول أخرى حتفهم. نفت السلطات السعودية المسؤولية عن المجزرة مدعية بأن الحجاج الإيرانيين ماتوا دهساً بأقدام بعضهم البعض، وهو ادعاء مناقض لما يعرف من حسن تنظيم وفود الحجاج الإيرانيين، ولولا هراوات وحجارة ورصاص السعوديين وحصارهم للمسيرة السلمية لما حدثت وفيات نتيجة التزاحم، كما رفضت السعودية تحقيقاً مستقلاً ومشاركة حكومة إيران في التحقيق.

ليس من شك بأن جريدة النيويورك تايمز ليست منحازة لإيران، وليس مستغرباً لو تبنيت الرواية السعودية للحدث، لكنها في هذه الحالة ضمنت تقريراً عن الموضوع الحقائق التالية:[353]

- خلافاً لدعاءات الحكومة السعودية وسفيرها بندر بن سلطان بأن السعوديين لم يطلقوا رصاصة واحدة توجد أدلة متعاظمة على أن مجموعة مدرّبة من الحرس الوطني السعودي أطلقت الرصاص الحي على الحجاج الإيرانيين بعد فشل الشرطة السعودية في السيطرة على الوضع.
- أثار التقرير التساؤل عما حدا بالسعودية لتمركز قوات من الحرس الوطني في المكان وتفوضها اطلاق نار بنادقهم على الحجاج الإيرانيين، كما أشار تقرير الصحيفة الأمريكية إلى أن السعوديين انتهكوا حرمة المسجد الحرام الذي تمنع التعاليم الاسلامية سفك دم ذبابة فيه.
- شكك التقرير في صحة ما قيل بأن الإيرانيين قطعوا رأس سعودي وعلقوه على خشبة، ورجح أن يكون ذلك تلفيق من السعوديين لتبرير اطلاق الرصاص عليهم.
- التزم الحجاج الإيرانيون بالاتفاق مع الأمن السعودي من حيث زمان ومكان مسيرة البراءة والشعارات المرفوعة فيها، لكنهم اصطدموا بحاجز للشرطة فاضطرت مقدمتها للتوقف.
- نقل التقرير الصحفي عن طبيب بريطاني من أصل عراقي شهد الحدث أن أشخاصاً في مبنى مشرف على مكان المسيرة ألقوا الحجارة والقناني على رؤوس الإيرانيين مما أدى إلى مقتل وجرح البعض، فحاولوا تفادي ذلك بالهرب إلى الأمام، لكن السعوديين منعوهم بالهراوات الصاعقة، فسقط حجاج ودهستهم الموجة البشرية المتحركة من الخلف إلى الأمام، فتصدى الإيرانيون للسعوديين بالعصي وقبضات أيديهم.

---

[353] Elaine Sciolino, 1987. Mecca tragedy: Chain of events begin to emerge, **The New York Times**, September 6.
https://www.nytimes.com/1987/09/06/world/mecca-tragedy-chain-of-events-begins-to-emerge.html

- حضرت قوة الحرس الوطني وبدأت بإطلاق النار على الإيرانيين من بنادقهم الأتوماتيكية. ذكر الطبيب البريطاني بأنه شاهد سيدة مقتولة بطلق ناري في جبهتها وعراقياً برصاصة في عنقه.

في حج عام 2015 حدث تدافع بين الحجاج أدى إلى وفاة الألاف من الحجاج وبلغ عدد ضحاياه من الإيرانيين 464 حاجاً، كما لقي عشرات الحجاج الإيرانيين مصرعهم نتيجة سقوط رافعة عملاقة في صحن الكعبة، ولكثرة الضحايا من الإيرانيين في الحالتين يرتاب الشيعة في أنهما متعمدتان لا نتيجة سوء الإدارة والتنظيم، ويقوي هذه الشكوك عداء السعودية لإيران وحكم الوهابية على الشيعة بالشرك والكفر، وبأنهم أحفاد المجوس الذين يريدون شراً بالمسلمين، كما وصفهم مفتي المملكة عبد العزيز بن باز.

لا تساهل مع دعاة الإصلاح

انتحل النظام السعودي لنفسه ومنذ نشأته صورة إسلام مثالي في التزامه بالتعاليم الإسلامية وتطبيقه لها، فلا يضاهيه في ذلك نظام آخر في العالم الإسلامي، لذا لا موجب للإصلاح والتغيير، ودعاة الإصلاح متهمون بالسعي لتقويض هذا النظام المكتمل أو اضعافه، لذلك دأب المدافعون عن النظام السعودي الوهابي وعلى مدى عقود على تسمية دعاة الإصلاح والتغيير ومجاراة التطورات العصرية بـ "العلمانيين" المناهضين لتطبيق الشريعة أو الداعين إلى حصر تطبيقها على جوانب معينة من الحياة العامة والخاصة.

بعيد الهزات التي أحدثتها الحرب العراقية الإيرانية وغزو الكويت وطرد القوات العراقية منها والأزمة الاقتصادية الحادة في التسعينات من القرن الماضي برزت دعوات للإصلاح السياسي في المملكة، وتعامل النظام معها في البدء بتساهل غير مسبوق في تاريخه، وتجرأ بعض المنادين بالإصلاحات من اليمين واليسار لتقديم عرائض ضمنوها مقترحات إلى الملك فهد، ففي 1991م وقعت مجموعة من

الموظفين الحكوميين ورجال الأعمال والأكاديميين وثيقة من عشرة مطالب إصلاحية، أهمها إنشاء مجلس شورى منتخب وتحديث النظام القضائي واعتماد مبدأ الجدارة لا المحسوبية في التوظيف الحكومي وحرية الصحافة والمساواة، مع التأكيد على ولائهم للحكم السعودي[354].

استفزت عريضة ما عرفوا بالعلمانيين رجال الدين الوهابي لتقديم عريضة مطالب بديلة، وتضمنت العريضة التي عرفت برسالة المطالب والموقعة من 52 من رجال الدين الوهابي والدعاة عشرة بنود، تدعو في جملتها إلى التزام أقوى بالشريعة في المؤسسات الحكومية والقوى الأمنية والاقتصاد والإدارة العامة وإزالة القيود المفروضة على نشاط رجال الدين الوهابي وإتاحة الفرص لمشاركتهم في المؤسسات الحكومية، وأعقبت تلك العريضة ما عرفت بمذكرة النصح المقدمة من 100 من رجال الدين إلى عبد العزيز بن باز ، مفتي المملكة، دعوا فيها إلى التقيّد بالشريعة والتعاليم الدينية في الشؤون العامة، وأن تكون سياسات وعلاقات الدولة الخارجية محكومة بالشرع، وانتقدوا الإعلام المرّوج للقيم الغربية، واستاءت الحكومة السعودية من نشر الرسالة خارج المملكة، وطلبت من موقعيها الاعتذار، فبادر ابن باز لانتقاد نشرها.[355]

ردت الحكومة على رسالة المطالب مؤكدة تمسكها بالتعاليم الدينية، وأعقب ذلك قمع المعارضة، وفي العامين ما بين 1992م و1994م شنّت حملة على المعارضين المتدينين، وأوزعت بنشر مواد إعلامية مؤيدة للاعتدال الديني، كما سجنت حوالي المائة منهم حسب البيانات الرسمية، لكن العدد الحقيقي قدر بأكثر من ألف. اتخذ التحدي الوهابي لسلطة الحاكم السعودي منحى العنف عندما ثارت انتفاضة في بريدة، التي تعتبر المعقل الرئيسي للوهابية المتشددة في 1994م، ونادت بوضع نهاية للفساد الحكومي وتدهور القيم الدينية، وجاء الرد الحكومي سريعاً، فاعتقل الألاف من المشاركين في الاحتجاجات، وكان من بينهم الداعيتان المعروفان سفر الحوالي وسلمان العودة، كما أوعزت للمفتي ابن باز بإصدار فتوى تفرض عليهما

---

[354] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 259-260.
[355] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 260.

التراجع عن موقفهما وإلا فسيحظر عليهما إلقاء الخطب والمحاضرات وعقد الندوات.[356]

كان منصور النقيدان وهابياً متطرفاً في أول شبابه، ترك الدراسة في المرحلة المتوسطة ليتفرغ لتعلم الفقه والشريعة وحفظ القرآن الكريم، وانضّم إلى جماعة متشددة في مدينة بريدة القصيمية المعروفة بكونها مركزاً للوهابيين المتشددين، وشارك في احراق محلات بيع أشرطة مصورة في المدينة، فحكم عليه بالحبس لسّنتين وثمانية أشهر. في أواخر التسعينات أعاد النظر في أفكاره وتخلى عن التشدد ومال إلى العلمانية، فصدر عليه حكم بالجلد والتكفير والاستتباب، وكشف في مقالة له منشورة عن استلامه رسائل تهديد بالقتل من وهابيين متشددين، أبلغ السلطات السعودية عنها فلم تتخذ اجراءً بشأن مرسليها، وخلص النقيدان إلى أن التطرف الوهابي متجذر في المناهج الدراسية والمساجد والتي غدت بيئة خصبة لتوليد الإرهاب، ولاحظ بأنه لم يسمع بخطبة أو موعظة تنتقد منفذي المسؤولين عن العمليات الإرهابية في الرياض مما يدل على تعاطفهم مع القتلة بدلاً من الضحايا.[357]

الوهابية في خدمة آل سعود

لم تكن الوهابية شريكة بالتساوي لآل سعود إلا خلال فترة قصيرة أثناء حياة مؤسس الوهابية محمد بن عبد الوهاب، ثم تحولت لأداة للتأثير والسيطرة بيد الحكام السعوديين، لذلك حرص آل سعود على لجم أي تطاول وهابي على سلطتهم ومكانتهم في المجتمع السعودي، ويمكن تشبيه الوضع بثلاث دوائر، في الدائرة الوسطى الضيقة يستقر آل سعود وهم أصحاب السلطة والسياسة، وفي الدائرة الأوسع التالية يوجد الوهابيون مع القوى الأمنية والقوات المسلحة والمناطة بهم

---

[356] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, pp. 262-263.
[357] Mansour Al-Nogaidan, 2003. Telling the truth, facing the whip. **The New York Times**. November 28.

تمّكين آل سعود من السيطرة على المجتمع، ورجال العقيدة الوهابية هم كالشرطة أداة بيد آل سعود، ولا يختلف دورهم عن الشرطة وأجهزة الأمن سوى أنهم يستخدمون العقيدة الوهابية لتدجّين وإخضاع الناس بدلاً من السلاح والتهديد به، وفي الدائرة الأوسع الأخيرة يقبع السكان الذين عليهم الطاعة لأولي أمرهم من آل سعود وأدواتهم.

تميزت الفترة الثالثة من حكم آل سعود وابناءه بتذبذب العلاقة بينهم وبين المنظومة الوهابية الرسمية والشعبية، فعندما استدعت مصلحة الحكام تقوية الحماس الديني الوهابي شجعوا رموزه، وأرخوا الحبل لهم ولأتباعهم، وحدث ذلك في الفترة الأولى من حملات عبد العزيز التوسعية وفي أوج الصراع الخفي بينهم وبين النظم القومية في مصر وسوريا والعراق وفي السنوات التي تلت الثورة الإسلامية الإيرانية، لكنهم وفي فترات زمنية أخرى أحكموا قبضتهم على الوهابيين المتشددين، وقيدوا نشاطاتهم، وتعاملوا بحزم مع المتذمرين منهم، بل وحتى بطشوا بهم، كما فعل عبد العزيز مع الإخوان، الذين خرجوا على طاعته، وهددوا سيطرته باعتداءاتهم على القبائل التي لم تتوهب كليةً ومناطق الوصاية البريطانية في العراق وشرق الأردن والكويت، وقمع فيصل بن عبد العزيز، وهو الأكثر تديناً بين أبناء عبد العزيز كما يُظن، شغباً مسلحاً لجماعة وهابية متشددة حاولت منع افتتاح مبنى التلفزيون الجديد، أدت إلى مقتل عدد منهم من بينهم ابن أخيه مساعد، وهو الحدث الذي قيل بأنه دفع شقيق المقتول إلى اغتيال فيصل بعد سنوات، لكنه في الوقت نفسه قبل بحل وسط مع الوهابيين المتشددين الرافضين لتعليم البنات بأن أناط بالمؤسسة الدينية إدارة النشاط.

اختتم العقد السبعون من القرن الميلادي الماضي بحدث خطير لم تشهده المملكة منذ الصدام بين الحاكم السعودي وأعوانه والإخوان الوهابيين المتطرفين، إذ أقدم جهيمان العتيبي وأتباعه باحتلال الحرم المكي في 1997م والدعوة من داخله إلى قيام دولة خلافة بديلاً للحكم السعودي، الذي اتهموه بالفساد وموالاة دول الغرب الكافرة، وبايعوا صهر جهيمان محمد بن عبد الله القحطاني على أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً. صمد جهيمان وأعوانه ثلاثة أسابيع داخل الحرم

المكي، واضطرت الحكومة السعودية للاستعانة بقوات أردنية وفرنسية، بعد أن حلّل لهم شيوخ الوهابية الاستعانة بغير المسلمين في القضاء على الحركة والسماح بدخولهم الحرم الذي يمنع غير المسلمين من الاقتراب منه في الأوقات العادية، وروي أن قوات المظليين الفرنسية قضت على المتمردين بالصعق الكهربائي بعد اغراق الحرم المكي بالماء،[358] وكان مصير الناجين من القتال قطع الرأس علناً.[359]

في الوقت الذي كان آل سعود يراقبون بحذر الثورة الإيرانية وتداعياتها المحتملة على وضعهم الداخلي جاءت حركة جهيمان بمثابة صفعة من الخلف. ولا يغيب عن الاهتمام وجود عرب ومسلمين من جنسيات مختلفة من السودان والعراق والكويت واليمن، مما يدل على أنها لم تكن حركة سعودية صرفة، وبأن الوهابيين المتشددين سعوا إلى نشر دعوتهم بين المقيمين أيضاً، وبعدها بسنوات ستبرز على السطح نذر الوهابية التكفيرية العالمية.

حرك تمرد جهيمان والثورة الإيرانية المياه الراكدة للنظام السعودي، وبعد القضاء على الحركة ومقتل وإعدام العشرات من المشاركين فيها وأنصارهم سعت الحكومة السعودية إلى احتواء السخط بين أوساط الوهابيين المتعصبين من خلال اتاحة مجال واسع لنشاطهم داخل وخارج المملكة، فأطلقوا أيدي أعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضبط المخالفات السلوكية، فكانوا يتعرضون للنسوة الكاشفات عن وجوههن، وعاقبوا المتخلفين عن الصلاة في الأماكن العامة، حتى أنهم منعوا استيراد الدمى التي يلعب بها الأطفال في 1984م،[360] وفي نفس الوقت سعت الحكومة إلى استمالة الرأي العام إلى جانبها، فنفذت برنامجاً واسعاً لتطوير الإسكان والزراعة والصناعة ووفرت المنح والقروض الميسرة لتمويل المشاريع الزراعية والصناعية وتشييد دور السكن. تزامن ذلك مع شنّ العراق الحرب على إيران، ومن المرجح أن الحكومة السعودية والدول الغربية قد شجعت نظام الرئيس العراقي صدام حسين على ذلك، ظناً من الجميع بأنها ستؤدي إلى اسقاط

358 Algar, **Wahabism: A Critical Essay**, p. 60.
359 Kechichian, **Succession in Saudi Arabia**, p. 100-101.
360 Vassiliev, **The History of Saudi Arabia**, p. 465.

النظام الثوري، إذ تخوف آل سعود من وصول عدواه إلى مملكتهم، وخاصة بين الشيعة الإماميين المنتشرين في المنطقة الشرقية، وقدمت المملكة خلال فترة السنوات الثمانية للحرب شتى أنواع الدعم للعراق، فبالإضافة إلى التمويل السخي سهلت تصدير النفط العراقي واستيراد الأسلحة عبر أراضيها وكانت طائرات الرصد الجوي الأمريكية (AEW&C) تقلع من قاعدة في الرياض لتزويد العراقيين بالصور والمعلومات عن تحركات القوات الإيرانية، وكان لهذا الدعم نتائج سلبية على الاقتصاد السعودي ظهرت نتائجها بعد انتهاء الحرب.

كان المطاوعة من أعضاء الهيئة الحاملين للعصي يجوبون المراكز التجارية ومحلات التسوق بحثاً عن السافرات والمتخلفين عن الصلاة والمتأخرين في اغلاق محلاتهم أثناء أوقات الصلاة، واقتحم المطاوعة البيوت على الظنّ بوجود نشاط محرم فيه، وأوقفوا السيارات الخاصة للتدقيق في هويات الركاب خاصة لو كانا رجلاً وامرأة للتأكد من أنهما زوجان أو هي من محارمه. كنت شاهداً على صولات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي طالت السكان والأجانب، فقد جلدوا زميل سوداني في العمل لأنه تخلف عن أداء صلاة الجماعة، وجادلت أحد المطوعين في بريدة الذي حاول قسري على أداء الصلاة معهم، ولم يكن بإمكاني التذرع بانتمائي لمذهب مغاير، فهو عذر أقبح من ذنب في نظره وجماعته الوهابية، وروت زوجة وزير سابق وسفير سعودي في دولة عظمى عاشت معظم حياتها في الغربة ذعرها وألمها بعد أن جلدها مطوع على رجلها، لأنها لم تسرع لأداء الصلاة.

كشفت مراجعة لبعض الشكاوى المثارة ضد الهيئة عدداً غير قليل من المخالفات الجسيمة لأبسط حقوق الإنسان والمواطنة، ومنها القتل والتعذيب والاغتصاب والقبض على فتيات بتهمة الخلوة غير الشرعية، إذ بلغ عدد الفتيات اللواتي احتجزن من قبل أحد مراكز الهيئة قرابة المئتين، وهن طالبات في مراحل دراسية مختلفة أصغرهن في المرحلة الابتدائية، كما صودرت كتب للشيعة وكتب الفلسفة لأنها "إلحادية"، وأتلفت دمى عرض الأزياء وأزيل إعلان لحفاظات أطفال بدعوى كونه "خادشاً للحياء ومثيراً للغرائز"، وبلغ استياء مواطن سعودي من

احتجازه هو وعائلته في مركز للهيئة درجة محاولة الانتحار العلني أمام أحد فنادق الرياض.[361]

كانت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أيام سطوتها أداة إرهاب فعالة بيد آل سعود، وحظيت بمكانة خاصة منذ تأسيسها في عهد عبد العزيز، ولم يسبق توجيه اتهام لها قبل حادث احتراق مدرسة للبنات في مكة المكرمة، الذي أسفر عن وفاة 15 طالبة وإصابة العشرات، وانتشرت بين الناس رواية تضع مسؤولية الفاجعة على أفراد من الهيئة، أغلقوا باب المدرسة ومنعوا الطالبات من مغادرتها لعدم ارتدائهن العباءات، وأعاقوا دخول أفراد الدفاع المدني ومواطنين هرعوا لإخماد الحريق، بدعوى عدم جواز دخول غرباء على فتيات قد لا يرتدين حجابهن الشرعي، ولأهمية نشاط الهيئة الرقابي والإرهابي لدى آل سعود سعوا جهدهم لتبرئة الهيئة من المسؤولية، فصدر تصريح من الدفاع المدني بنفي تدخل الهيئة، وبعد التحقيق زعم وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز بأن عضوي الهيئة المتواجدين في موقع الحريق حضرا للتأكد من عدم تعرض الطالبات لـ" سوء المعاملة"، وهكذا أزاح آل سعود التهمة عن الوهابيين لترمى على الرئاسة العامة لتعليم البنات في مكة المكرمة، التي استأجرت مبنى المدرسة الخالي من متطلبات السلامة.[362]

باستثناء محاولة فاشلة لاغتيال وزير الداخلية محمد بن نايف امتنع الوهابيون عن استهداف آل سعود، وأبدى كرتين ونسور ارتيابه من هذا الأمر، لأن المئات من أفراد آل سعود يجوبون العالم من دون خوف من الاغتيال، كما أن منشآت النفط لم تستهدف سوى مرة واحدة.[363]

---

[361] منصور النقيدان. **الملوك المحتسبون**. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث.

[362] (https://middle-east-online.com/مقتل-الطالبات-في-حريق-في-مكة-اتهام-«المطاوعة»-بانهم-وراء-الكارثة)

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1894000/1894275.stm

[363] Curtin Winsor Jr., 2007. Saudi Arabia, Wahhabism and the spread of Sunni theofascism. **Mideast Monitor** , Vol.2, No. 1. http://www.mideastmonitor.org/issues/0705/0705_2.htm

الإرهاب المحلي حقيقي أم مختلق؟

جلس ثلاثة سعوديين في عيادة طبيب في حي الملز بالعاصمة السعودية الرياض بانتظار دورهم، وبعد قليل نهض أحدهم ليصطحب زوجته إلى حجرة الطبيب، وقبل أن يغادر وقف عند الباب ليكمل حديثه بانفعال، وبقي اثنان ليكملا النقاش حول الإرهاب ودور المملكة. خاطب الأول الثاني قائلاً بأنه لا يتفق مع ثالثهما المغادر الذي يعتقد بأن كل العمليات الإرهابية التي حدثت في المملكة مؤخراً مدبّرة ومفتعلة من قبل الحكومة السعودية، وبالأخص الهجوم الأخير على منشأة نفطية في المنطقة الشرقية، ولكنه لا ينكر بأن الحكومة السعودية وجهت جامعة الإمام محمد بن سعود بحذف أسماء الإرهابيين من سجلاتها قبل وصول وفد تحقيق أمريكي أرسلته الحكومة الأمريكية بعد عملية الحادي عشر من سبتمبر، ومن المعروف بأن جامعة الإمام محمد بن سعود معقل من معاقل التيار الوهابي السلفي، فلماذا حذف السعوديين أسماء بعض المنتسبين للجامعة الوهابية قبل حضور المحققين الأمريكيين؟ وهل أن العمليات الإرهابية التي حدثت في السعودية وكان معظم ضحاياها من العرب والأجانب هي بالفعل مدبرّة من الأجهزة الحكومية السعودية للتمويه على دور السعودية المساند والمحرض على الإرهاب واظهارها بمظهر الضحية لا الجاني؟

وقع عدد من التفجيرات في مؤسسات حكومية ومجمعات سكنية في أواخر القرن الماضي والعقد الأول من القرن الحالي، ووصفتها الحكومة السعودية بأنها عمليات إرهابية نفذها أفراد ينتمون لمنظمة القاعدة وغيرها، كما هاجمت قوات الأمن ما زعم بأنهم إرهابيين، واعتقلت وأعدمت أعداداً من هؤلاء الإرهابيين، وادعت بأن الهدف من كل هذه العمليات حتى تلك الموجهة للقوات الأمريكية في السعودية هو استقرار مملكة آل سعود، وبالتالي فهي ضحية للإرهاب.

ليس من شك في حدوث عمليات إرهابية داخل السعودية، أما البيانات الرسمية عن احباط عمليات إرهابية أو القبض على إرهابيين ومقتل البعض منهم فلا توجد شهادات مستقلة على صحتها، ومن الملفت للاهتمام أن معظم ضحايا هذه

العمليات هم من غير السعوديين، إذ استهدفت مواقع سعودية تستضيف جنوداً أمريكيين ومجمعات سكنية لغير السعوديين، فعلى سبيل المثال خمسة من أصل سبعة من قتلى الهجوم على مقر للحرس الوطني في الرياض كانوا أمريكيين، وقبض على أربعة سعوديين اعترفوا بتورطهم في الهجوم وحكم عليهم بالإعدام، وفي تفجير برج الخبر بالدمام قتل 19 أمريكياً وجرح آخرون، وبعد اتهام السلطات السعودية لجماعة موالية لإيران بالوقوف خلف التفجير منعت المحققين الأمريكيين من مقابلة المتهمين، ورفضت بشدة احتمال مسؤولية منظمة كبيرة محلية عن الهجوم.[364]

شهد العقد الأول من القرن الحالي عدداً من الهجمات الإرهابية في السعودية، وجاءت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في آذار من عام 2003م، ففي أيار من العام نفسه هاجمت جماعات من منظمة القاعدة الإرهابية ثلاث مجمعات سكنية في العاصمة الرياض، غالبية القاطنين فيها من العرب وعدد قليل من مواطني دول غربية، وقتل في الهجوم 26 شخصاً، ومن الملفت للاهتمام ارتداء المهاجمين ملابس الشرطة وقيادتهم سيارة خاصة بقوى الأمن وعدم اطلاقهم النار على حراس المجمع السعوديين، ودفعت هذه الحقائق برادلي إلى الاستنتاج بأن القوى الأمنية مخترقة من تنظيم القاعدة الإرهابي أو وجود متعاطفين فيها مع فكر وأهداف التنظيم.[365]وفي مدينة ينبع هاجم مسلحون مجمع بتروكيمياويات في عام 2004م، وقتلوا خمسة من العاملين فيه، ومثلوا بجثثهم إذ ربطوهم بشاحناتهم الصغيرة وسحلوهم في الشوارع.[366]ولقي 22 أجنبياً مصرعهم في عملية مماثلة في مجمع سكني في الخبر، وأدعت جماعة كتيبة الفلوجة المسؤولية عن قتل موظف في شركة لوكهيد مارتن الأمريكية بقطع الرأس، وانتهت عملية الهجوم على القنصلية الأمريكية في جدة بمقتل خمسة من العاملين فيها وأربعة من المهاجمين. اتهم بتنفيذ هذه الهجمات

---

[364] Wynbrandt, **A Brief History of Saudi Arabia**, p. 266-267.

[365] Bradley, **Saudi Arabia Exposed: Inside a Kingdom in Crisis**, pp. 112-114.

[366] Robert Lacey, 2009**. Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Terrorists, Modernists and the Struggle for Saudi Arabia.** London: Viking, p. 207.

تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية، وقتل وسجن عدد من أفراد التنظيم.[367] واستهدف تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) ستة مساجد للشيعة في المنطقة الشرقية وجيزان الذين تتفق الحكومة ومؤسستها الوهابية مع داعش في اعتبارهم مشركين فقتل أكثر من 40 وجرح العشرات.[368]

بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال وزير الداخلية الأسبق نايف بن عبد العزيز لم تسجل حوادث إرهابية داخل المملكة، وإذا تأكد ما نشر عن وجود اتفاق بين الحكومة السعودية وبن لادن زعيم تنظيم القاعدة يتعهد فيه بالامتناع عن تنفيذ عمليات إرهابية في المملكة مقابل السماح للتنظيم بجمع التبرعات بحرية يمكن الافتراض بأن هذه الهجمات من عمل تنظيمات منشقة عن القاعدة أو غير مرتبطة بها، استهدفت مواطني دول غربية بسبب دور هذه الدول في احتلال العراق، كما سقط فيها عدد من الضحايا العرب وعدد محدود من السعوديين، ومقتل شيعة بهجمات إرهابية أمر لا يحزن آل سعود، وكل هذه العمليات خدمت الحكومة السعودية في الادعاء بأنها هي الأخرى ضحية للإرهاب.

إنهاك الجيران بالحروب والفتن

"فخار يكسرّ بعضه" هكذا وصف مسؤول سعودي بدرجة وزير موقف حكومته من حرب العراق على إيران في ثمانينات القرن الماضي، كان ذلك في أول لقاء بيننا وبحضور جمع من مرؤوسيه السعوديين، وأضاف بأن حكومته تطبق مبدأ : "اللهم حوالينا لا علينا"، وبتصرف خبيث لحديث رسول الإسلام الأعظم الذي دعا فيه إلى هطول المطر حوالي المدينة لا وسطها، فيجنبها الغرق، وتربوا المناطق المحيطة

---

[367] Zuhur, **Saudi Arabia**, pp. 68-69.

[368] Adam Coogle, 2017. Saudi Arabia’s ‘war on terror’ Is now targeting Saudi Shiites. **Foreign Policy**, August 23. https://foreignpolicy.com/2017/08/23/saudi-arabias-war-on-terror-is-now-targeting-saudi-shia/

بها، أما المقصود بدعاء حكومة آل سعود فهو أن يكون التقاتل وسفك الدماء والخراب في البلاد المجاورة لا في مملكتهم، لذلك حرضت الرئيس العراقي صدام حسين على مواصلة حربه على إيران، وزودته بالمال الوفير والأسلحة، وصدرت النفط لحسابه، وحثّت حلفاءها الخليجيين وغيرهم على الاحتذاء بها، فكانت الحصيلة ما قدر بمليون ضحية من القتلى ومئات الألاف من الجرحى والمعوقين وخراب المدن وتدهور الاقتصاد في البلدين، كما ساعدت أمريكا في احتلال العراق وتدميره، و من قبل أججت الحرب الأهلية في اليمن بين الملكيين والجمهوريين، وأسهمت في تأسيس حركة طالبان الأفغانية وما نتج عنها من حروب أهلية وغزو أمريكي وغربي وضحايا بمئات الألاف ولاجئين يعدون بالملايين ومعاناة لم تنتهي بعد، ولا يخفي آل سعود والوهابيين دورهم الريادي في نشوب القتال في سورية منذ 2011م وحتى اليوم، وشنوا حرباً ضروساً على جارتهم الفقيرة اليمن بهدف اخضاعها لسيطرتهم ونشر عقيدتهم الوهابية، راح ضحيتها مئات الألاف من المقاتلين والمدنيين، ويعطي آل سعود لأنفسهم وبمباركة أمريكا ودول الغرب الحق في التدخل في شؤون دول أخرى مثل لبنان والعراق ومصر والسودان وليبيا خدمة لأهداف الغرب ونزعة الاستكبار والهيمنة لدى آل سعود. أما تصدير الوهابية المكفّرة الى الدول الإسلامية وغيرها فهو موضوع الفصل التالي.

الفصل السادس: تصدير الوهابية ونشأة الإرهاب

كان آل سعود حكاماً على قرية قميئة في وسط نجد، حلّ فيها محمد بن عبد الوهاب لاجئاً، فكان أشبه بـ "الغنيمة" كما وصفته زوجة الحاكم محمد بن سعود، واغتنم آل سعود عقيدة الوهابي التكفّيرية لمدّ سيطرتهم على معظم مناطق الجزيرة العربية، وما زالت الوهابية وسيلتهم الفضلى للحفاظ على ملكهم واخضاع رعاياهم. تدعي الوهابية بأنها النموذج الأمثل للإسلام، لذلك يؤمن اتباعها بأن واجبهم الديني يحتم عليهم نشرها بين كافة المسلمين، وفي العقد الثالث من القرن الماضي أصر الإخوان الوهابيون على استمرار الحملات "الجهادية" خارج حدود مملكة آل سعود، وقرنوا ذلك بالفعل، واضطر عبد العزيز إلى القضاء عليهم تخوفاً من نقمة بريطانيا، لكن آل سعود لم يتخلوا عن الوهابية، بل استثمروها لمنفعتهم داخل وخارج مملكتهم.

نشأة الوهابية العالمية

تبنى آل سعود الدعوة الوهابية ونشروها لأغراضهم الدنيوية في التسلّط وجمع الغنائم وجبي الزكوات، ثم عمدوا إلى تصديرها بهدف توسيع نفوذهم خارج حدود مملكتهم وجني الدعم والمشروعية لحكمهم وتسلطهم على مقدسات المسلمين. بعد استيلاء عبد العزيز بن سعود على الحجاز واقتراف القوات الوهابية لمجازر في الطائف وغيرها واستفراد الوهابيين بالسلطة الدينية واقصاء المذاهب السّنية الأخرى والصوفية شعر عبد العزيز بالحاجة لتبرير احتلال الحجاز أمام المسلمين بذريعة ظلم حكومة الأشراف وسكوتهم على البدع الممارسة في المنطقة ومنعهم حجيج نجد، وللحصول على صك براءة من المسلمين عن جرائم الوهابية واعتراف

منهم بجدارته في إدارة الحرمين الشريفين وكذلك لقطع الطريق على أي مرشح من مصر أو غيرها لوراثة الخلافة الإسلامية من العثمانيين دعا في 1926م إلى عقد مؤتمر لتكريس امتيازه بحماية الحرمين الشريفين، واضفاء الشرعية الدينية على حكم آل سعود، وحضرت المؤتمر وفود من العديد من الدول الإسلامية والجماعات الإسلامية، كما استعان بمواطني دول أخرى ومدّهم بالمال لتبييض تاريخ آل سعود والوهابية.

لا يرغب آل سعود بالخلافة على المسلمين لأن ذلك يعني اشراكهم في ثروات السعودية، الذين يريدونها لهم أولاً ولتمويل عقد المقايضة بينهم وبين رعيتهم، فهم يقدمون لهم الوظائف والخدمات ومؤخراً الترفيه مقابل الولاء المطلق للعائلة الحاكمة من دون المطالبة بالمشاركة في صنع القرار السياسي أو الحريات الكاملة، لكنهم بالتأكيد يريدون أن تكون لهم الزعامة الدينية والكلمة العليا في شؤون المسلمين وأن تتبنى الدول الإسلامية سياساتهم وعلاقاتهم الخارجية وأن يلتزم المسلمون بفتاوى الوهابية، وقد أفصح وزير الخارجية السعودي السابق عادل الجبير عن الجانب الديني من هذا المسعى عندما صرح في مقابلة مع شبكة فوكس الإخبارية الأمريكية بأن دور السعودية في العالم الإسلامي مشابه لدور الفاتيكان، لكنه لم يقرّ بسعيهم للتأثير في القرار السياسي للدول الإسلامية بما يخدم مصالحهم.[369]

الوهابية فرق تسد

يدعي الوهابيون بأنهم دعاة توحيد في سعيهم لتنقية الإسلام الأصيل من صدأ العقائد والشعائر والمظاهر الشركية، وحتى مع افتراض صدق وإخلاص وحسن

[369] Adel al-Jubeir, interview by Tony Snow, Fox News Sunday, **FOX**, May 18, 2003; Center for Religious Freedom of Hudson Institute With the Institute for Gulf Affairs, 2008. **2008 Update: Saudi Arabia's Curriculum of Intolerance**, Washington, DC: Center for Religious Freedom Hudson Institute, p.31.

نواياهم فهم في الواقع فرقوا بين المسلمين، ولم يفلحوا في توحيدهم حول عقيدتهم، ومع الاستطاعة وكحل لرفض الغالبية العظمى لدعوتهم في الجزيرة العربية وما جوارها اعتمدوا القتل والإبادة الجماعية والقسر وغسل الأدمغة لفرض عقيدتهم، وحكم سفير نرويجي سابق إلى السعودية على الوهابية في كتابه مملكة الإرهاب بأنها ليست "ديانة" بل طائفة منحرفة cult أسست على أوهام متطرفة لداعية بدوي متعطش للقوة والسلطة في القرن الثامن عشر.[370]

حرصت الحكومة السعودية على نشر العقيدة الوهابية في دول العالم، وقدّرت المبالغ التي صرفت لذلك بـ 75 مليار دولار، وتساوي ما يقارب 90 بالمئة من جميع ما تصرفه الدول الإسلامية على الأنشطة الدينية، شيدت بها مساجد تلقى فيها العظات الوهابية، ومدارس تعلم طلابها عقائدها، وتكونت بفضلها أحزاب تعكس سياساتها وتناصر قضاياها، فالتبشير الوهابي هو الأكبر تمويلاً وانتشاراً بين كافة الطوائف الإسلامية، وتتضاءل مقارنة به مؤسسات عريقة مثل الأزهر المصرية أو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ولا تقاربه ولو من بعيد أنشطة مشابهة لوزارات الشؤون الدينية في الدول الإسلامية كافة، كما تهيمن السعودية على المنظمات الإسلامية الدولية وهي منظمة التعاون الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي. لو أراد مسلم اليوم البحث عن تفسير لآية قرآنية أو حكم شرعي على محركات البحث الإلكترونية فستطالعه مواقع سعودية تعكس الفهم السلفي الوهابي وأحكامهم الفقهية، وينشر الوهابيون ألاف الأشرطة المصورة لدعاة وهابيين، وأنشأ الوهابيون محطات إذاعية ومتلفزة وبلغات عدة لبث عقيدتهم وتسخيف عقائد المخالفين، وتوفر مواقعهم الإلكترونية الألاف من الكتب الدينية الوهابية المجانية وبلغات متعددة، وبالنتيجة

---

[370] Former Ambassador to Saudi Arabia Says ‘Kingdom of Terror’ Spreading Islamism in Europe
http://www.breitbart.com/london/2017/02/10/former-ambassador-saudi-arabia-spreading-islamism-europe/

نشأت الوهابية العابرة للحدود التي وصفها دافيد أوفهاوزر ب "الحطب لعود ثقاب ابن لادن".[371]

تنتقد الحركة الوهابية لتركيزها المفرط على جوانب الاختلاف لا التماثل والاتفاق بينها وبين بقية المسلمين، حتى يشك بأن أتباعها يتعمدون التمايز عن البقية وتملق أنفسهم بالادعاء بأنهم الوحيدون الموحدون لله الذين يفهمون تعاليم الإسلام الأصيل ويطبقونها، وبالنتيجة فقد أدى انتشار الوهابية إلى انشاء طائفية أخرى مضافة إلى الطائفيات الموجودة، كما أن التركيز على الفوارق لا المشتركات أدى إلى تعميق الطائفية وتجذرها في المجتمعات الإسلامية، فلا يفتأ الوهابيون عن التذكير بأن الشيعة روافض ومشركون ويعبدون أئمتهم وعلماء دينهم، لذلك جعلت السعودية من مناهضة الشيعة وإيران الشيعية هدفاً استراتيجياً،[372] ولا تخفي عائلة آل سعود موقفها الطائفي من الشيعة كما يتبين من تصريح أمير المنطقة الشرقية سعود بن نايف آل سعود في 2015م يشنع فيه على الشيعة بأنهم "أحفاد عبد الله بن سبأ الصفوي"،[373] وهو جاهل أو متجاهل بأن عبد الله بن سبأ شخص مشكوك في صحة وجوده قيل بأنه يهودي ظهر في زمن الخلفاء الأوائل، وحرض على قتل عثمان بن عفان وفرق المسلمين وأسس المذهب الشيعي، وهو ادعاء مسيء للمسلمين الأوائل الذين قيل بأنهم انخدعوا به، أما الصفوية فهم حكام إيران الشيعة في القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، وما بين ابن سبأ المزعوم والصفويين حوالي ألف سنة. وبحماس أقل وجهوا للصوفية التهم بالمروق من الدين والاعتقاد

---

[371] Center for Religious Freedom of Hudson Institute With the Institute for Gulf Affairs, **2008 Update: Saudi Arabia's Curriculum of Intolerance,** p. 9; Wright, Lawrence, 2007.**The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11.** New York: Knopf.

[372] T. Matthiesen, 2015. The domestic sources of Saudi foreign policy: Islamists and the state in the wake of the Arab Uprisings. Working Paper. Rethinking Political Islam Series. **Brookings Institute**, p.1.

[373] Adam Coogle**,** 2017**.** Saudi Arabia's 'War on terror' Is now targeting Saudi Shiites**. Foreign Policy,** August **23**. https://foreignpolicy.com/2017/08/23/saudi-arabias-war-on-terror-is-now-targeting-saudi-shia/

المكفّر بالحلول، وحتى الفرق والمذاهب السّنية الأخرى لم تسلم من الانتقاص والرمي بالتهاون في التمسك بالتوحيد والتراخي في مقارعة بدع الفرق الأخرى، فهم كما وصفوهم شر خلف لشر سلف، وانتقصوا من كل مسلم لا يفسر القرآن الكريم حرفياً.[374] حتى أنهم نبشوا التاريخ للبحث في المثالب الحقيقية والمختلقة للسابقين المخالفين لعقيدتهم.

أنتج هذا الجهد الدعوي الوهابي الدؤوب شروخاً عميقة في اتجاهات ومشاعر المسلمين، وفشت الكراهية بينهم، فكانت وقوداً للإرهاب الذي غزا العالم الإسلامي ودول أخرى، حتى أن أمريكا الضامنة لحكم آل سعود خشيت على قواعدها وجنودها ومصالحها في المنطقة من الهبة الطائفية المستعّرة، وفي جلسة استماع أمام مجلس النواب الأمريكي شهد ليو وولسكي مدير المخاطر الدولية في مجلس الأمن الوطني أن المبدأ الأساسي للسياسة السعودية الخارجية نشر المذهب الوهابي، الذي يساند العنف من خلال تشجيع التفرقة والأعمال العنيفة ضد المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.[375] وفي تقرير لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكية في 2011 أشار الكاتب جريجوري جوز إلى ضرورة تذكير السعودية وبصورة دورية بأن "تسعّير لهيب التوترات الطائفية يوفر لتنظيم القاعدة أرضية خصبة للتجنيد."[376] وبعد التأكيد على مصلحة بريطانيا في الحفاظ على علاقات جيدة مع السعودية ودول الخليج لأنها ثرية وبغض النظر عن كونها غير ديمقراطية وسجلها في حقوق الإنسان رديء

---

[374] Center for Religious Freedom of Hudson Institute With the Institute for Gulf Affairs, **2008 Update: Saudi Arabia's Curriculum of Intolerance**, p. 30.

[375] U.S. State Senate Committee on Homeland Security & Governmental Affairs. **Lieberman Questions Why Progress to Stem Flow of Money To Terror Groups Has Not Been More Successful**, June 15, 2004.
https://www.hsgac.senate.gov/media/majority-media/lieberman-questions-why-progress-to-stem-flow-of-money-to-terror-groups-has-not-been-more-successful

[376] F. Gregory Gause III, 2011. **Saudi Arabia in the New Middle East**. New York: Council on Foreign Relations Report No. 63, pp. 28-29.

أوصت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس العموم البريطاني الحكومة البريطانية بحث السعودية على الحرص بألا يؤدي ترويجها الذي وصفته بـ"المشروع" للقيم الدينية إلى تعاظم التطرف في دول الشمال الأفريقي ودول إسلامية أخرى، كما طلبت من الحكومة مراقبة المنظمات في المعارضة السورية المسلحة التي تزودها السعودية بالأسلحة.[377]

هل السعودية مصدر الإرهاب؟

لو تتبعت خيوط الإرهاب والدماء المسفوحة فستنتهي إلى السعودية، ولا يتردد باحثون ومسؤولون من مختلف الدول والاتجاهات في اتهام السعودية بأنها مصدر الإرهاب، أو بتعبير آخر لو لم توجد السعودية لما كان هناك إرهاب، ولعل عناوين الكتب التالية باللغة الإنجليزية خير مثال على هذا اليقين، أذ يصفون السعودية بأنها "الشيطان"[378] و"مملكة الكراهية"[379] و"لب الإرهاب"،[380] ويصفون آل سعود بـ"أمراء الظلام"[381] وأعداء أمريكا، وشهد ديفيد أوفهاوزر بأنها "مركز" تمويل الإرهاب.

[377] House of Commons Foreign Affairs Committee . 2013. **The UK's relations with Saudi Arabia and Bahrain.** Fifth Report of Session 2013–14.
[378] Robert Baer, 2003. **Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude**. New York: Crown Publishers.
[379] Dore Gold, 2003. **Hatred's Kingdom: How Saudi Arabia Supports the New Global Terrorism**. Washington: Regnery Publishers.
[380] Stephen Schwartz, 2002. **The Two Faces of Islam: The House of Saud from Tradition to Terror**. New York: Doubleday.
[381] Laurent Murawiec, 2005. **Princes of Darkness: The Saudi Assault on the West**. Lanham, MD: Rowman & Littlefield.

الوهابيون السعوديون يروجون للإرهاب بالفكر والمال والتحريض ويمارسونه أيضاً في دول إسلامية وغيرها، و لم يكن إسامة بن لادن والإرهابيون المشاركون في عملية الحادي عشر من أيلول حالات نادرة واستثنائية، ويتأكد ذلك من ابتهاج واسع بين السعوديين بالعملية، وسارع الألاف منهم للالتحاق بجماعات إرهابية في دول عربية وإسلامية وغيرها، واوصلت القناعة بالدور السعودي في نشأة ونمو الإرهاب إلى طلب 191 عضواً في مجلس النواب الأمريكي ادراج السعودية على قائمة الدول الراعية للإرهاب، وطالبت الحكومة الأمريكية آل سعود بتنفيذ إجراءات للحد من التطرف المروج للإرهاب والعنف. أكد الصحافي البريطاني المتخصص في قضايا الشرق الأوسط روبرت فسك بأن السعودية لا إيران هي منبع الفكر الوهابي السلفي المتطرف الذي يقوم أتباعه الإرهابيون بقتل أبرياء.[382]

الحادي عشر من أيلول

على الرغم من حقيقة أن 15 من أصل 19 إرهابياً نفذوا العملية اتخذ آل سعود موقف التنكر لأي مسؤولية مباشرة أو غير مباشرة عن الإرهاب، وأتذكر ما قالته موظفة رفيعة في جهاز الإعلام السعودي على صلة وثيقة بآل سعود ومراكز القرار السعودي بعد العملية بزمن قليل بأن من المستحيل أن يكون منفذو العملية سعوديين، لأن مواطنيها برأيها لا يمتلكون المهارات اللازمة والجسارة لتنفيذ مثل هذه العملية. صدم المسؤولون الأمريكيون بتصريح للملك عبد الله في أيار من عام 2004م بأنه متأكد بنسبة 95% بأن الصهيونية تقف وراء العمليات الإرهابية في

[382] Robert Fisk, 2017. Donald Trump’s speech to the Muslim world was filled with hypocrisy and condescension**. The Independent**, May 12**.**
http://www.independent.co.uk/voices/donald-trump-saudi-arabia-muslim-speech-a7747856.html.

بلاده، وتكرر نفس الكلام على لسان وزير خارجيته، أما وزير الداخلية السعودي فأكد بأن الكيان الصهيوني يساند تنظيم القاعدة.

لعل أخطر الأدلة على تورط آل سعود في عملية الحادي عشر من أيلول وعلاقتهم الوثيقة مع بن لادن والقاعدة اعترافات الإرهابي أبي زبيدة، ونشرت جريدة التايمز البريطانية جانباً من هذه الاعترافات المنشورة في كتاب لبوسنر،[383] والسعودي أبو زبيدة هو أحد العقول المخططة التي اعتمد عليها بن لادن في حملته الإرهابية، وتولى إدارة عملية الهجوم على المدمرة الأمريكية كول في تشرين الأول 2000م، ونقل كاتب المقال تفاصيل مثير حول ظروف اعترافات أبو زبيدة، وادعى بأنها حصل عليها من مصدرين رفيعين في الإدارة الأمريكية، فبعد تعثر التحقيق لجأ فريق المخابرات الأمريكية إلى نقل الإرهابي إلى مجمع في أفغانستان يحاكي سجناً سعودياً، واستعانوا بأمريكيين من أصل عربي ليمثلا دور محققين سعوديين، وبعد تهديده باستعمال عقاقير طرأ تحول مدهش على سلوكه، فبدلاً من الذعر ظهرت عليه علامات ارتياح وابتهاج، وعندها زودهم بأرقام هواتف أمير سعودي وهو أحمد بن سلمان بن عبد العزيز، ابن الملك الحالي والأخ غير الشقيق لولي العهد، ومالك الحصان الذي ربح سباق الدربي المعروف في 2002م، وليبرهن للمحققين بأن اتهامهما له بالكذب غير صحيح كشف لهما عن شبكة العلاقات بين آل سعود والقاعدة، والتي تمر مباشرة بالأمير تركي بن فيصل بن عبد العزيز، الرئيس السابق لجهاز المخابرات السعودي، وأفاد أبو زبيدة بأن أسامة بن لادن أخبره شخصياً باجتماعه مع الأمير تركي في 1991م أسفر عن موافقة السعودي على تمويل ابن لادن سرياً مقابل تعهده بعدم التحريض على "الجهاد" داخل المملكة، وسمّى أبو زبيدة ثلاثة أمراء تولوا نقل الأموال السعودية المقررة إلى ابن لادن، وهم أحمد بن سلمان بن عبد العزيز وفيصل بن تركي آل سعود وفهد بن تركي بن سعود الكبير، وفي نفس السنة أي 2002م وبفارق أيام فقط توفي هؤلاء الأمراء الثلاثة بصورة مثيرة للريبة، إذ مات أحمد بن سلمان وعمره لم يتجاوز 43 عاماً بالسكتة القلبية أو الجلطة بعد عملية لشفط الدهون من بدنه،

---

[383] Gerald Posner, 2003. **Why America Slept: The Failure to Prevent 9/11**. New York: Random House.

وقُتل فيصل بن تركي في حادث سيارة أثناء توجهه لحضور عزاء أحمد بن سلمان، أما فهد بن تركي فهلك من شدة العطش خارج الرياض، والجدير بالذكر أن هذه "الوفيات" حدثت بعد ابلاغ وكالة الاستخبارات الأمريكية السعودية وباكستان باتهامات أبو زبيدة، التي تطرقت لتضافر مصالح حكومتي السعودية وباكستان مع القاعدة وتحالفهم السري، وشهادته بأن الحكومتين كانتا على دراية بعملية الحادي عشر من أيلول، وبالتحديد الأمير أحمد بن سلمان ورئيس القوات الجوية الباكستانية مصحف علي مير، وبأنها ستنفذ في اليوم المقرّر لكنهما لم يُبلغا بتفاصيل الأهداف، وبعد شهور قُتل القائد العسكري الباكستاني وزوجته وعدد من كبار الضباط الباكستانيين في حادث سقوط الطائرة التي أقلتهم، وادعت السلطات الباكستانية أن نتائج التحقيق استبعدت التخريب.[384]

اختلفت التكهنات حول الدافع الذي حدا بالأميرة هيفاء فيصل آل سعود، زوجة بندر بن سلطان سفير السعودية في أمريكا للتبرع بمبلغ مئة وخمسين ألف دولاراً لسعودي انتهى بحوزة إثنين من منفذي عملية 11 أيلول، وادعت السفارة السعودية أن المبلغ تبرع خيري، لكن الجدل حول ذلك لم يحسم بعد.[385] وهو على الأقل دليل آخر محتمل مضاف إلى قائمة الأدلة الموضوعية والظرفية على تورط السعودية في العملية.

---

[384] Johanna McGeary, 2003. Confessions of a terrorist. **Time**, August 31. http://content.time.com/time/magazine/article/0,9171,480226,00.html; Gerald Posner, 2007. The CIA's destroyed interrogation tapes and the Saudi-Pakistani 9/11 Connection, **Huffpost**, December 7. ; https://www.huffpost.com/entry/the-cias-destroyed-interr_b_75850.

[385] Baer, **Sleeping with the Devil: How Washington Sold our Soul for Saudi Cruse**, p. 87-89.

الوهابية وتنظيم القاعدة وداعش: عقيدة واحدة وأساليب مماثلة

صرح عضو مجلس الشيوخ الأمريكي كريس مرفي بأن التنظيمات الإرهابية الشرسة التي يعرفها الأمريكيون بالاسم تنتمي إلى الطائفة السنية ومتأثرة إلى حد كبير بالتعاليم السلفية الوهابية.[386] تتطابق أهداف ووسائل الحكام السعوديين وتنظيم القاعدة، فالطرفان يشتركان في الاعتقاد بمثالية المنهج السلفي الوهابي، وضرورة التمسك بعقائده والالتزام الصارم بتطبيقها ونشرها وان تطلب الأمر فرضها على كافة المسلمين، ويتخذان ذات المواقف من غير المسلمين، والاثنان يعتبران الإرهاب جهاداً في سبيل الله وأحد الوسائل المشروعة والمفروضة لإيجاد أمة إسلامية صالحة.

في مطالعة لعضو مجلس الشيوخ الأمريكي السابق كارل ليفين زعم بأن ما بين الحكومة السعودية والمتطرفين الذين يحضّون على الكراهية والعنف لبلوغ مآربهم تعاقد "فاوستي" (إشارة إلى العقد بين فاوست والشيطان في رواية فاوست للألماني جوته) يمتنع الإرهابيون بموجبه عن سفك الدماء على صحراء السعودية.[387] لكنهما يختلفان في موقفهما من الدول الغربية، فبينما يتحالف النظام السعودي معها يعاديها تنظيم القاعدة.

نشأ تنظيم ما سمي الدولة الإسلامية في العراق والشام أو داعش ليتمّم ما بدأه تنظيم القاعدة، ويتفوق عليه في احتلال مناطق واسعة وإخضاع سكانها لعقيدته المتطرفة، ويتبع داعش نفس عقائد الوهابية والقاعدة، وأوضح كروك بأن خطاب "خليفة" داعش أبو عمر البغدادي متطابق مع دعوة محمد بن عبد الوهاب،

---

[386] Jessica Schulberg and Akbar Shahid Ahmed, 2016. Senator wonders how Much longer U.S. will blindly support Saudi Arabia, **Huffpost Politics**, January 29. https://www.huffpost.com/entry/chris-murphy-us-saudi-arabia-relationship_n_56aba630e4b0010e80e9de96

[387] U.S. State Senate Committee on Homeland Security & Governmental Affairs. Lieberman Questions Why Progress to Stem Flow of Money To Terror Groups Has Not Been More Successful.

فالاثنان وضعا في مقدمة أهدافهما نشر عقيدة التوحيد، ومحاربة من يعتبرونهم كفاراً ومشركين، كما سمحت داعش بتوزيع كتب ابن عبد الوهاب في مناطق سيطرتها، واعتمدتها مواداً تدريسية في صفوف مدارسها.[388] استنتج نفس الكاتب في مقالة ثانية بأن ما يجمع بين داعش والوهابية أيضاً اخضاع السكان تحت سيطرتهم من خلال زرع الخوف في نفوسهم.[389] وفي تبريرها لهجماتها الإرهابية ضد الشيعة في السعودية والكويت واليمن تبنت داعش نفس العقيدة الوهابية المكفّرة لأتباع هذه الطائفة. أقرّ سعودي بأن أفعال داعش هي خلاصة ما تعلمه في مناهج الدراسة، فلو كانت المناهج صحيحة تكون داعش صائبة، ولو كانت مخطئة فمن المسؤول؟[390] ومن الواضح التطابق بين ما يتعلمه السعوديون في مدارس آل سعود في دروس التوحيد والعقيدة وفكر ومنهج داعش التكفيري الإرهابي.

أيد الكثيرون من السعوديين تنظيم داعش، وجاهروا بذلك، خلافاً للموقف السعودي الرسمي، الذي أبدى عدم رضاه عنه، لكنه برّر نشأته وتمدده كنتيجة متوقعة لما ادعاه من تهميش أتباع المذاهب السنية في العراق وسوريا، وبرهنت نتائج استطلاع أراء السعوديين في داعش نشرتها جريدة الحياة المملوكة للسعوديين في 2004م أن 92% من المجيبين أكدوا بأن داعش ملتزمة بتعاليم وقيم الإسلام، وبالنتيجة فهم راضون عنها، ولفت الصحفي السعودي جمال خاشقجي الذي أعدمته السلطات السعودية في قنصليتها في إسطنبول اهتمام حكومته إلى التحاق

---

[388] Alastair Crooke, 2014. Middle East time bomb: The real aim of ISIS Is to replace the Saud family as the new emirs of Arabia. **HUFFPOST**, November 2. https://www.huffpost.com/entry/isis-aim-saudi-arabia_b_5748744?saudi-arabia=.

[389] Alastair Crooke, 2017. You can’t understand ISIS if you don’t know the history of Wahhabism in Saudi Arabia. **Huffpost**, Mar 30. https://www.huffpost.com/entry/isis-wahhabism-saudi-arabia_b_5717157

[390] Hassan Hassan, 2016. **The Sectarianism of the Islamic State: Ideological Roots and Political Context.** Carnegie Endowment for International Peace, June 13.

ما بين ثلاثة إلى أربعة ألاف سعودي في صفوف داعش، وعزا ذلك إلى وجود أخطاء قائمة ومتوارثة، ونصحها بالاعتراف بأخطائها، وتصحيح أخطاء أسلافهم. [391]

السعوديون طلائع الإرهابيين

عمل مواطن سعودي على تحويل نضال الشعب الشيشاني لنيل استقلاله إلى "جهاد" إسلامي إرهابي، والإرهابيون السعوديون ذهبوا إلى اليمن لتنفيذ عمليات إرهابية انتحارية ضد سواح أجانب، وتبين من وثائق لتنظيم القاعدة في العراق بأن 41 بالمئة من الإرهابيين القادمين للمشاركة في عمليات إرهابية في 2006م هم سعوديون،[392] ونقل صحفي يعمل في جريدة لوس أنجلز تايمز عن مصدر عسكري أمريكي مطّلع أن الإرهابيين السعوديين الذين يشكلون حوالي 45 بالمائة من مجموع الإرهابيين الأجانب في العراق نفذوا أكبر عدد من الهجمات الانتحارية، وأن 54 بالمئة من عملياتهم استهدفت مدنيين عراقيين،[393] كما أن حوالي نصف عدد الإرهابيين المسجونين سعوديون.[394] أما الحكومة السعودية فقلّلت من عدد مواطنيها المشاركين في العمليات الإرهابية في العراق إلى 800، وفي سوريا تصدر السعوديون قائمة الإرهابيين الانتحاريين،[395] وطالبت السعودية الحكومة السورية بالإفراج عن

---

[391] Alastair Crooke, 2014. Middle East time bomb: The real aim of ISIS Is to replace the Saud family as the new emirs of Arabia. **HUFFPOST**, November 2. https://www.huffpost.com/entry/isis-aim-saudi-arabia_b_5748744?saudi-arabia=.

[392] Richard A. Oppel, Foreign fighters in Iraq are tied to allies of U.S., **New York Times**, November 22, 2007.

[393] Warren, **Forged in the Crucible of Defensive Jihad: Arab Foreign Fighters and their Trajectory to Involvement in Islamist Terrorism,** p. 137.

[394] Ned Parker, 2007. The conflict in Iraq: Saudi role in insurgency, **Los Angeles Times**, July 15.

[395] Warren, **Forged in the Crucible of Defensive Jihad: Arab Foreign Fighters and their Trajectory to Involvement in Islamist Terrorism,** p. 67.

980 سعودياً منتمين لتنظيم القاعدة وترحيلهم إلى بلادهم ،كما بلغ عدد السعوديين المحبوسين بتهمة الإرهاب في الأردن 74، وفي 2007م قاد طبيب سعودي اعتداءً إرهابياً في مطار جلاسجو، وفي سجن جوانتانامو جاء ترتيب السجناء السعوديين المتهمين بالإرهاب في المرتبة الثانية من حيث العدد بعد الأفغان.[396] في 2011م اقترفت 10000 عملية إرهابية في 70 دولة، راح ضحيتها 4500، بينهم 12500 قتيل، ويمكن التخمين بأن لولا الفكر الوهابي والأموال السعودية ومشاركة السعوديين لما أزهقت كل هذه الأرواح.

بطشت حكومة آل سعود بالمعارضين السلميين، فأعدمت البعض وسجنت وشردت آخرين، لكنها أولت الإرهابيين معاملة خاصة، فأحدثت لهم ما عرف ببرنامج "المناصحة" الهادف إلى تغيير فكرهم المتطرف ومن ثم اطلاق سراحهم، وهو أشبه بالتوجيه من أب حنون لابن متمرد، وغضاً للنظر عن اقتراف البعض منهم أبشع الجرائم في دول مجاورة، وادعت السلطات السعودية نجاح البرنامج بنسبة 80 بالمئة، وهو ادعاء غير موثق من مصادر مستقلة، والمؤكد هو أن عدداً غير قليل من خريجي البرنامج عادوا إلى ممارسة الإرهاب بعد اطلاق سراحهم، وهلك البعض منهم في عمليات إرهابية.

سافر السعودي أحمد عبد الله الشايع إلى العراق آواخر عام 2004م للمشاركة في القتال ضد قوات الاحتلال الأمريكي، وبعد أقل من شهرين فجّر نفسه داخل صهريج وقود أمام السفارة الأردنية، فقتل 12 مدنياً عراقياً، ونجا الشايع لكنه أصيب بحروق بالغة، وبدلاً من محاكمته سلمته الحكومة العراقية تحت الاحتلال الأمريكي إلى السلطات السعودية، وبدورها لم تحاكمه السعودية، بل أدخلته برنامج المناصحة لإعادة تأهيله، وأبدى الشايع تجاوباً تاماً مع أهداف البرنامج في إدانته المتكررة للإرهاب بكافة أشكاله، وقدمته الحكومة السعودية كدليل على نجاح برنامجها، لكن في 2013م ظهر الشايع من جديد ليعلن انضمامه لتنظيم داعش ومبايعته زعيمه أبي

[396] Center for Religious Freedom of Hudson Institute With the Institute for Gulf Affairs, 2008, p. 32-33.

بكر البغدادي.[397] ولم يكن الشايع السعودي الوحيد الذي التحق بتنظيمات إرهابية بعد تخرجه من برنامج المناصحة، وسعيد علي الشهري الذي أطلق سراحه من سجن جوانتانامو غادر بعد "تأهيله" في برنامج المناصحة ليتولى منصباً قيادياً في تنظيم القاعدة في اليمن، وبعد مشاركته في العمليات الإرهابية في العراق والقبض عليه اجتاز خالد السويد البرنامج المعد لإقناعه بنبذ الإرهاب ثم شارك في العمليات المسلحة في سوريا وقتل هناك.[398]

"نحن وهابيون"

بهاتين الكلمتين عبر أبو أيمن، الاسم المستعار لسوري، عن انتمائه المذهبي، وفي السعودية استمع أبو أيمن بإعجاب لمحاضرات الشيخ السوري أبي القعقاع الذي شارك في القتال في أفغانستان ضد الاحتلال السوفيتي، وتذكر قوله: " علينا نحن أصحاب اللحى الاتحاد،" وبعد عودته إلى سوريا أصبح واحداً من مريديه. اعتقد أبو أيمن بأن "الجهاد" على طريقة أسامة بن لادن هو السبيل الوحيد لخلاص المسلمين. بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عبر هو ومجموعة من السوريين والسعوديين الحدود العراقية للالتحاق بالتنظيم الإرهابي بزعامة الأردني أبو مصعب الزرقاوي في العراق، وبعد تعديل اسم تنظيمه إلى قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين بدأت أموال السعوديين تنهال عليه.[399]

---

[397] Roger Patrick Warren, 2017. **Forged in the Crucible of Defensive Jihad: Arab Foreign Fighters and their Trajectory to Involvement in Islamist Terrorism.** A Thesis Submitted for the Degree of PhD at the University of St Andrews.

[398] P. Beaumont, 2014. 'Living suicide bomb' rejoins al-Qaida after Saudi deprogramming. **The Guardian**. January 18. http://www.theguardian.com/world/2014/jan/18/suicide-bomb-al-qaida-saudi-ahmed-alshayea#start-of-comments.

[399] Ghaith Abdul Ahad, 2005.Iraq: From here to eternity, **The Guardian**, June 8.

كان لفتاوى دعاة الوهابية في السعودية الأثر الكبير في حث السعوديين وغيرهم على التوجه إلى العراق لقتال الأمريكيين المحتلين، وكان معظم ضحايا عملياتهم الإرهابية مدنيين، ونقل وارن بأن نتائج مقابلات مع حوالي 150 سعودياً بيتوا النية للسفر إلى العراق والمشاركة في قتال الأمريكيين اقتنعوا بذلك بفعل الفتاوى الصادرة عن دعاة الوهابية السعوديين، ولكنهم استهدفوا المدنيين العراقيين وبالذات الشيعة بالحصة الأكبر من عملياتهم الإرهابية، والدافع الوحيد لمشاركة السعوديين في القتال في سوريا كما أفصح عنه الداعية السعودي عبد الله المحيسني هو محاربة الروافض والنصيرية، وهو هدف أساسي للوهابية.[400]

السعودية هي موطن السلفية الوهابية ومصدرها، وحكومتها تروج لعقيدتها داخل حدودها وتصدرها إلى خارجها، وبما أن معظم الجماعات الإرهابية في الدول الإسلامية تتبنى المنهج السلفي "الجهادي"، الذي أحياه محمد بن عبد الوهاب في نجد قبل أكثر من قرنين ونصف من السنين، تكون الوهابية العقيدة المشتركة للسعودية مع القاعدة وداعش وطالبان وجبهة النصرة وحركة الشباب الصومالية وبوكو حرام وغيرها من المنظمات الإرهابية.

التمويل السعودي للإرهاب

"هي المصدر الرئيسي للتخفي والحركة الضروريتين لشن [الإرهاب]. إنه وقود مؤسسة الإرهاب"، هكذا وصف ديفيد أوفهاوزر المستشار العام لوزارة الخزانة الأمريكية التمويل الذي يحصل عليه الإرهابيون، وأضاف بأن أفضل طريقة للقضاء على الإرهاب هي تقصي مصادر تمويله وتجفيفها،[401] وقاد هذا البحث والتقصي

---

https://www.theguardian.com/world/2005/jun/08/iraq-al-qaida

[400] المصدر السابق، ص 157.

[401] Testimony of David D. Aufhauser General Counsel U.S. Department of the Treasury Before the Senate Judiciary Committee Washington, D.C. November 20, 2002, https://home.treasury.gov/news/press-releases/po3639

الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى السعودية، لكنها اختارت ألا تفعل شيئاً، وفي شهادة أخرى وصف نفس الخبير السعودية بأنها epicenter أي "مركز" تمويل الإرهاب، وبدرجة أقل دول خليجية أخرى لم يسمّها.[402]

يوجد شبه اجماع على أن السعودية هي الممول الرئيسي للإرهاب بشعارات إسلامية، ويؤكد تقرير لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكي بأن التمويل المقدم من مصادر غير حكومية في المملكة للجماعات الإرهابية ولما أسماه بالمجاهدين عنصر مهم في ملف مكافحة الإرهاب، وتقدر هذه المساهمة بأكثر من 60 بالمئة من التمويل الذي تحصل عليه القاعدة، ويمكن الافتراض بأن معظم المتبقي يأتي من دول خليجية أخرى.

اشتكى سياسيون وخبراء من تدني تعاون المسؤولين السعوديين مع جهود تجفيف منابع تمويل الإرهاب داخل المملكة بعد عملية الحادي عشر من أيلول، وأدت الضغوط الأمريكية المتواصلة إلى اتخاذ السعوديين بعض القرارات والإجراءات العملية، والتي اعتبرتها بعض الأوساط الأمريكية غير كافية، وعندما صنفت الحكومة الأمريكية في اذار 2002م مكاتب مؤسسة الحرمين الخيرية السعودية في الصومال والبوسنة جهات مساندة للإرهاب، لم يكن لدى الحكومة السعودية خيار سوى المصادقة على ذلك، وتُخمن مساهمة المؤسسة في تمويل القاعدة بخمسين مليون دولار سنوياً، وبعد إلغاء المؤسسة أنشأت السعودية مؤسسة جديدة للإشراف على الجمعيات الخيرية السعودية التي تقدم تبرعات خارج المملكة، لكن تكشف في جلسة لجنة الشؤون الحكومية في مجلس الشيوخ الأمريكي المنعقدة في حزيران 2004م بأنه منذ عملية أيلول الإرهابية لم تعاقب السعودية أحداً من المتبرعين السعوديين للإرهابيين، إذ تلكأت في تقديم رئيس مؤسسة الحرمين عقيل العقيل للمحاكمة، ونقل عضو مجلس الشيوخ ولجنة الشؤون الحكومية جو ليبرمان عن

---

[402] Written Testimony of David D. Aufhauser, General Counsel Before the Committee on Banking, Housing and Urban Affairs United States Senate, September 25, 2003, https://home.treasury.gov/news/press-releases/js760.

محللين مستقلين بأن السعوديين يتفوهون بتصريحات مرضية لكنهم لا يعملون بها، وفي أغلب الحالات غضوا الطرف عن الأموال التي أرسلت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى الإرهابيين، وامتنعوا عن ملاحقة سعوديين اتهمتهم السلطات الأمريكية بتمويل الإرهاب.

كشفت وثائق وكيليك السرية بأن تمويل الإرهاب موضوع متكرر في الحوار الأمريكي السعودي، ومنذ 2008م أجرى قنصل وزارة الميزانية في السفارة الأمريكية في الرياض اتصالات حثيثة بمسؤولين رفيعين في وزارة الداخلية ومؤسسة النقد السعودي ووزارتي المالية والخارجية والاستخبارات بشأن هذا التمويل، وأسفرت هذه الاتصالات عن اضعاف التمويل لمنظمات إرهابية باستثناء طالبان وغيرها.[403] أما في العراق فتقدر مصادر عسكرية أمريكية أن تنظيم القاعدة في العراق يحصل على معظم أمواله من السعوديين.[404] وبذلت السعودية وقطر أيضاً الأموال والمساعدة اللوجستية السرية لتنظيم داعش الإرهابي وجهات إرهابية أخرى، وانكشفت هذه الحقيقة المزعجة للولايات المتحدة الأمريكية في رسالة إلكترونية مسربة لهيلاري كلنتون مرسلة في 2016م، وفي رسالة أخرى اتهمت السعودية بتصدير أيديولوجيات متطرفة أكثر من أي دولة أخرى ومنذ ثمانينات القرن الماضي، وبعرقلة خطط أمريكا في سوريا بإرسالها أسلحة إلى منظمات متطرفة.[405]

---

[403] Gregory Gause III, **Saudi Arabia in the New Middle East,** pp. 28-29.

[404] Richard A. Oppel Jr, 2007.Foreign fighters in Iraq are tied to U.S. Allies. **The New York Times**. November 22.
https://www.nytimes.com/2007/11/22/world/middleeast/22fighters.html

[405] Ben Norton, 2016. Leaked Hillary Clinton emails show U.S. allies Saudi Arabia and Qatar supported ISIS. **Salon**, October 11.
https://www.salon.com/2016/10/11/leaked-hillary-clinton-emails-show-u-s-allies-saudi-arabia-and-qatar-supported-isis/

الحرب على اليمن: كل الإرهاب في وعاء واحد

كانت الدول الاستعمارية مثل بريطانيا وأمريكا وفرنسا وهولندا ترسل سفنها الحربية لتقصف المدن الساحلية للبلدان المستهدفة لإرهاب حكامها وسكانها حتى يذعنوا ويقبلوا بإملاءاتها. في حرب السعودية وبمشاركة قوات من دولة الإمارات العربية المتحدة والسودان على اليمن أُستعملت كافة وسائل الإرهاب العسكري والاقتصادي والمالي والدبلوماسي لفرض الإرادة السعودية على غالبية الشعب اليمني الرافضة لاستمرار هيمنة آل سعود على القرار اليمني. تركت السعودية والإمارات لمرتزقتها من داخل وخارج اليمن ساحات القتال البرية، وتفرغت للقصف الجوي والمدفعي المتواصل، ومنذ بدء المعرك استهدفت المدنيين والمنشئات المدنية، بهدف إرهاب اليمنيين ودفعهم إلى الاستسلام والقبول بالإملاءات المذلّة لآل سعود وحكام الإمارات.

أغارت مقاتلات السعودية والإمارات وحلفائهما على المستشفيات ومصافي المياه ومحطات الكهرباء والمزارع والمصانع والورش والمساكن فأحالت بعض المدن والبلدات والأحياء إلى أطلال غير مأهولة، وشردت مئات الألاف من السكان، واضطرتهم للعيش في الخيم ومساكن القش والصفيح بلا خدمات أو مياه جارية أو مجاري أو كهرباء، والتي غدت مرتعاً لانتشار الأوبئة والمجاعة، ولاحقتهم طائرات العدوان إلى مساكنهم البائسة لتحرقها وتشردهم مرة بعد أخرى.

استهدفت الغارات والقصف المدفعي المدنيين، وأكثر من ثلث الغارات الجوية على اليمن أصابت أهدافاً مدنية،[406] ففي غارة سعودية إماراتية على أحد الأعراس قتل مائة وثلاثين من المحتفلين، وكانت تلك واحدة من أربع غارات على أعراس

---

[406] Ewen MacAskill and Paul Torpey, 2016. One in three Saudi air raids on Yemen hit civilian sites, data shows, **The Guardian,** September 16. **https://www.theguardian.com/world/2016/sep/16/third-of-saudi-airstrikes-on-yemen-have-hit-civilian-sites-data-shows.**

خلال شهرين،[407] كما لم تُحترم حرمة الموتى وعزائهم، وحولت العزاء الواحد إلى العديد من مجالس العزاء، ففي تشرين الأول 2016م قتلت غارة سعودية 155 معزياً في مجلس عزاء وجرحت أكثر من 500،[408] وعدتها منظمة هيومن رايتس جريمة ضد الإنسانية في الظاهر، وباستعمال أسلحة أمريكية، وكان للنساء والأطفال نصيباً وافراً من التقتيل السعودي والإماراتي، وبعد تدميرها المدارس طاردت الطلاب فقتلتهم في حافلاتهم، ففي آب من عام 2018 ألقت طائرة حربية سعودية قنبلة مصنعة في الولايات المتحدة الأمريكية على حافلة مدرسية فحصدت أرواح 40 طفلاً، وجرحت العشرات،[409] وتركت الغارات السعودية والإماراتية في مواقع القصف وغيرها القنابل العنقودية المحرمة دولياً لتزهق المزيد من الأبرياء وجلّهم من الأطفال.[410] في تشرين الثاني من العام 2021م بينت إحصاءات الأمم المتحدة أن عدد ضحايا الحرب السعودية الإماراتي على اليمن بلغ 388 ألفاً. في اليمن تتفحم أجساد الرجال والنساء والأطفال نتيجة القصف السعودي والإماراتي، ولا يقترب منها في الفظاعة سوى حرق الإرهابيين السلفيين لأحياء في سوريا.

---

[407] Adam Chandler, 2015. Another Saudi airstrike, another wedding in Yemen struck. **The Atlantic**, October 8. https://www.theatlantic.com/international/archive/2015/10/saudi-airstrike-yemen-wedding-again/409684/

[408] Saudi-led coalition airstrike hits Yemen funeral, killing over 140 people, 2016. **CNBC**, October 9. https://www.cnbc.com/2016/10/08/saudi-led-coalition-airstrike-hits-yemen-funeral-more-than-140-killed.html

[409] Nima Elbagir, Salma Abdelaziz, Sheena McKenzie and Waffa Munayyer, 2019**.** The schoolboys on a field trip in Yemen were chatting and laughing. Then came the airstrike. **CNN**, February 27. https://edition.cnn.com/2018/08/13/middleeast/yemen-children-school-bus-strike-intl/index.html ; Julian Borger, 2018. US supplied bomb that killed 40 children on Yemen school bus, **The Guardian**, August 19. https://www.theguardian.com/world/2018/aug/19/us-supplied-bomb-that-killed-40-children-school-bus-yemen

[410] Bob Plain, 2016. Human Rights Watch condemns use of Textron-made cluster bombs**. Human Rights Watch,** February 24, p. 1.

اقتراناً بالحملة العسكرية الوحشية أطبقت السعودية وشريكتها الإمارات وحلفاؤهما الإقليميون والدوليين حصاراً خانقاً على منافذ وموانئ ومطار العاصمة صنعاء، ليكمل إرهاب التجويع والأوبئة والأمراض الفتاكة إرهاب القتل والدمار، وكان لهما شركاء في مجلس الأمن والأمم المتحدة والحكومات الإقليمية والدولية. توقف صرف رواتب حوالي مليون موظف حكومي، ولم تعد شحنات الغذاء والأدوية والوقود تصل بانتظام، وحتى بعد اخضاعها السفن لتفتيش صارم بمشاركة أممية لم تسمح حكومة آل سعود وشركاؤها بوصولها إلى اليمن إلا بعد شهور من التأخير وبأعداد قليلة، أما مطار صنعاء فقد دمرت الغارات الجوية منشآته عدة مرات، ومنعت هبوط طائرات الركاب والمساعدات فيه.

نتج عن حصار آل سعود لمناطق الكثافة السكانية التي يقطنها 80 بالمئة من اليمنيين كوارث إنسانية، فقد تفشت المجاعة بينهم، ومات جوعاً أو من سوء التغذية مئات الألاف، ومن يشاهد صور الأجساد الضامرة من الجوع لأطفال يمنيين يتأكد له بأنها حرب إرهابية، وتتخوف المنظمات الإنسانية من مجاعة محتملة في المدى القصير تهدد حياة الملايين، وأحصي ما يزيد على 120 ألف وفاة لمرضى عاجلتهم المنية نتيجة تعذر سفرهم للعلاج في الخارج عن طريق مطار صنعاء، وقد يكون مصير 480 ألف مريض مماثلاً لو استمر الوضع الحالي، كما أن احتجاز السعودية وشركاؤها سفن المشتقات النفطية لمدد زمنية تزيد على السّنة أحياناً أدى إلى نقص حاد ومزمن في الوقود عطّل خدمات المؤسسات الصحية ووسائط النقل الضرورية لحياة وعمل السكان فارتفعت أسعار المواد الغذائية.

تفشت الأوبئة والأمراض المزمنة بين اليمنيين بسبب الحرب والحصار، وحصد وباء الكوليرا الذي انتشر في سنوات عدة الألاف من الأرواح، وزاد عدد المصابين بالمرض على المليون، كما ظهر وباء الكوفيد في المدن، وواجهت المؤسسات الصحية صعوبات جمة في معالجة المرضى بالأوبئة بسبب تعرض منشآتها ومذاخرها للقصف وقلة الأدوية والمعدات الطبية، ولم تكن المساعدات الطبية المقدمة من الأمم المتحدة ومؤسسات خيرية مثل أطباء بلا حدود كافية للتعويض عن هذا النقص.

الغارات اليومية التي تشنها مقاتلات آل سعود والإمارات وحلفائهم على أهداف مدنية قتلت البشر ودمرت مدنهم وقراهم ومصادر رزقهم ومؤسساتهم الحيوية كما أنها استهدفت معنوياتهم والطمأنينة من نفوسهم، والأكثر عرضة للتأثيرات السلبية على النفوس هم الأضعف من المسنّين والأطفال، فيصابون باضطرابات وأمراض نفسية مثل القلق والتوتر والخوف المزمن، التي بدورها تزيد من حالات أمراض السكري والضغط العالي وضعف المناعة. لبلوغ الإرهاب النفسي أقصى درجاته تشّن طائرات تحالف الحرب على اليمن غاراتها في الليل عندما يكون المدنيون نياماً، وتستهلها باختراق جدار الصوت على ارتفاع منخفض، تذكّر بأسلوب مكرر لدى قوات آل سعود والوهابية منذ أواسط القرن الثامن عشر مروراً بعهد عبد العزيز بن سعود وهو اطلاق نار البنادق في نفس الوقت عند حدود المدن والبلدات المستهدفة بالغزو والاحتلال لإرهاب وإرعاب السكان حتى أن بعض الحوامل تسقط أجنتها.

استعملت السعودية الخطاب الوهابي التكفيري في تبريرها للحرب على اليمن، فبالإضافة إلى ادعائها مساعدة حكومة عبد ربه منصور هادي في استعادة السيطرة على المناطق الخاضعة لأنصار لله أضفت صفة القتال الديني على حربها، واعتبره الداعية السعودي ناصر العمر "جهاداً" وفرضاً على كل مسلم للقيام بواجبه في قتال "الصفويين"، أي أنصار الله الذين يتبعون المذهب الزيدي الشيعي،[411] وأفتت هيئة كبار العلماء بأن قتلى الجيش السعودي شهداء. تضافر إرهاب داعش مع حرب السعودية على اليمن، ففي 2015م فجر الإرهابيون مسجدين في العاصمة اليمنية صنعاء فقتلوا 140 مصلياً وجرحوا الكثيرين.[412]

---

[411] Alexandra Siegel, 2015. **Sectarian Twitter Wars: Sunni-Shia Conflict and Cooperation in the Digital Age**. Carnegie Endowment for International Peace, December 20.

[412] Colin Freeman and Andrew Marszal, 2015. At least 142 killed in ‘Isil’ bombings of Yemen Shia mosques,” **Telegraph,** March 20. http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/yemen/11485080/Dozens-killed-in-Yemen-Shia-mosque-bombings.html

تساعد دول عديدة السعودية والإمارات وحلفائهما في حربهما الإرهابية على سكان اليمن، تتصدرها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والدول الغربية، ووصف ريدل الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما بأنه الأكثر حماسة بين رؤساء أمريكا لبيع السلاح إلى السعودية ، وبلغت قيمة صفقة سلاح للسعودية في عهده 110 مليار دولار، ويذكر ريدل بأن الحرب على اليمن وان أهملتها الصحافة الأمريكية هي "حربنا"[413]، ثم حلّ محله دونالد ترامب، ليبزه في تهافته على بيع أسلحة للسعودية، وعلقت في الذاكرة صورة جمعت بين الرئيس الأمريكي ترامب ومحمد بن سلمان ولي العهد السعودي ويلّوح فيها ترامب بلافتة دونت عليها تفاصيل الأسلحة التي ينوي بيعها إلى السعودية لتستمر في حربها على فقراء اليمن. بالإضافة إلى السلاح تزود أمريكا المقاتلات السعودية بالوقود في الجو، وتوفر لها المعلومات الاستخبارية وتدرب مقاتليها، كما تصادق على مشاريع القرارات المحابية للسعودية وتمنع إدانتها في المنظمات الدولية.

تؤازر الحكومة البريطانية السعودية والإمارات في حربهما على اليمن بالسلاح والعتاد والتدريب، وقد ثبت أن قنابل عنقودية اسقطت على اليمن صنعت في بريطانيا، ويتجلى دجل ونفاق بريطانيا في إدانتها قصف السوريين المدنيين في الوقت الذي تزود السعوديين والإماراتيين وحلفاءهم بأسلحة مماثلة تستعمل في قصف اليمنيين العزل.[414] كما أن دول عديدة تنخرط في مساعدة السعودية وحلفائها في الحرب على اليمن، إذ تحصل السعودية على كميات كبيرة من الأسلحة من دول غربية أخرى مثل فرنسا وإسبانيا، وتمدها تركيا بطائرات مسيرة وكذلك الصين،

---

[413] Bruce Riedel, 2016. Is selling tanks to Saudi Arabia such a good idea. **The National Interest**, August 11. http://nationalinterest.org/print/feature/selling-tanks-saudi-arabia-such-go.

[414] Michael Axworthy, 2016. Now is a good time for the UK to tell Saudi Arabia some unpalatable truths. **The Guardian,** December 21. https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/dec/21/saudi-arabia-uk-relationship-middle-east-islam-money-truth

وتصوت روسيا إلى جانبها، ويشارك الألاف من الجنود و مليشيا الجنجويد السودانيين في الحرب.

اتخذ تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية الإرهابي اليمن مقراً لقيادته ومقاتليه، وفيها نفذ العديد من العمليات الإرهابية ضد اليمنيين، كما امتد نشاطه إلى دول مجاورة منها السعودية كما تدعي، واستهدفته القوات الأمريكية بالغارات الجوية والعمليات الخاصة وقتلت بعض زعماءه ومقاتليه، لكن ظهرت أخبار موثقة عن مشاركة التنظيم الإرهابي في الحرب اليمنية بجانب القوات التابعة للتحالف السعودي الإماراتي، فقد أكدت صفاء الأحمد المختصة بإعداد الأفلام الوثائقية لمؤسسة الإذاعة البريطانية في تقرير لها من مسرح القتال في محافظة تعز اليمنية أن مقاتلين تابعين لمنظمة أنصار الشريعة المتفرعة من تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية شاركوا في هجوم القوات المسنودة من السعودية والإمارات على مواقع الحوثيين (حركة أنصار الله)، وكانت قوات إماراتية تقدم دعماً تكتيكياً للهجوم، وأبلغ تقرير البي بي سي بورود أخبار على مدى شهور عن مشاركة التنظيم الإرهابي بجانب قوات التحالف السعودي الإماراتي.[415] يتضح من تقارير لأنصار الله وبيانات تنظيم القاعدة وداعش تكبد التنظيمين الإرهابيين لخسائر في صفوفهما نتيجة قتالهما مع قوات التحالف، فبين الحين والآخر نعت القاعدة وداعش مقتل قادة بارزين، واعترفا بمشاركة قواتهما في القتال ضد أنصار الله لأنهم روافض مشركين، وهي نفس الذريعة التي يجاهر بها السعوديون الوهابيون لتبرير حربهم على اليمن.[416]

---

[415] Yemen conflict: Al-Qaeda seen at coalition battle for Taiz. 2016. **BBC**. February 22. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-35630194.

[416] رشيد الحداد، 2012. قوات صنعاء تحسم جبهة الجوبة. **الأخبار**، 14 تشرين الأول. https://www.al-akhbar.com/Yemen/320330/معركة-مأرب-قوات-صنعاء-تحسم-جبه..

التستر الأمريكي على موبقات الوهابية

تعود العلاقة الحميمة بين آل سعود والحكومة الأمريكية إلى أواسط أربعينات القرن الماضي، ففي الاجتماع بين الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت وعبد العزيز بن سعود على متن بارجة حربية أمريكية في قناة السويس وضع الاثنان أسس التحالف بين الطرفين، وقد يكون وصف العلاقة بالتحالف غير دقيق للتباين الكبير في قوة الطرفين، ومن منظور أكثر واقعية فقد أسفر اللقاء عن استبدال آل سعود الحامي البريطاني لنظامهم بالأمريكي، فتعهد السعودي بتزويد أمريكا بالنفط وخدمة مصالحها في المناطق مقابل بسط حمايتها على النظام السعودي، ولم يتغير جوهر العلاقة الوثيقة حتى اليوم.

بعد عملية الحادي عشر من أيلول الإرهابية التي نفذها تنظيم القاعدة الإرهابي برئاسة السعودي أسامة بن لادن، وكان 15 من أصل 19 إرهابياً نفذوا العملية سعوديين يحملون الفكر الوهابي المتطرف الذي تروجه السعودية، ويفرض المنطق السليم معاقب أمريكا للسعودية، لكنها لم تفعل، فقد سارعت حكومة الرئيس جورج بوش الابن لتسهيل رحيل أمراء سعوديين وأقارب ابن لادن من أمريكا استثناءاً من قرار حظر الرحلات الجوية بعد العملية، واختارت أفغانستان والعراق هدفين لانتقامها فأبعدت الأنظار عن الدور السعودي في الجريمة الإرهابية.

رفع أقارب ضحايا عملية 11 أيلول دعوى قضائية ضد الحكومة السعودية وعدد من الأمراء السعوديين وجمعيات خيرية سعودية بتهمة المسؤولية عن العملية، وبطلب من الرئيس جورج بوش ردت محكمة أمريكية في نيويورك الدعوى بحجة الحصانة التي يمنحها القانون للحكومات الأجنبية، وبعد ثلاثة أعوام من هذا القرار وفي 2008م صادقت محكمة عليا على قرار الحصانة، فرفع المدعون القضية إلى المحكمة العليا الفدرالية فسارعت إدارة الرئيس أوباما إلى الاستناد إلى قانون الحصانة لرفض الدعوى. في 2011م وبعد مرور 6 سنوات على القضية سمحت محكمة

فدرالية بالنظر في الدعوى.[417] لكنها حتى الآن وبعد مرور عشرين عاماً على العملية الإرهابية لم تحسم بعد.

أصرّت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على حفظ سرية 28 صفحة من التقرير النهائي للجنة الوطنية المكلفة بدراسة عملية الحادي عشر من أيلول، مما أثار تكهنات باحتوائها أدلة تدين تورط الحكومة السعودية في العملية الإرهابية، وكان أقارب ضحايا العملية يعولون على نشرها ليتسنى لهم الاستناد عليها في قضيتهم المرفوعة ضد الحكومة السعودية لمطالبتها بالتعويض المالي، كما أن العضو السابق في مجلس الشيوخ الأمريكي بوب جراهام كان متيقناً تماماً باحتواء الجزء السّرّي من التقرير الذي شارك في اعداده ما يدين السعودية في العملية،[418] وبعد إزالة صفة السّرّية عنها اقتنع البعض بأنها لا تتضمن أدلة قاطعة على هذا التورط، لكنها لم تقطع الشك باليقين.

اشتكى جو بايدن عندما شغل منصب نائب الرئيس الأمريكي باراك أوباما بأن تركيا والسعودية مدفوعين بحماسهما للتخلص من نظام الرئيس السوري بشار الأسد أغدقتا مئات الملايين من الدولارات وأطناناً من الأسلحة على تنظيم القاعدة وجبهة النصرة، وأدعى بأن الحكومة الأمريكية فشلت في اقناع "زملاءنا" في الكفّ عن ذلك،[419] وتؤيد مصادر أخرى حقيقة الدعم التركي والسعودي للإرهابيين في سوريا، لكن من الصعب التسليم بأن أمريكا المصدر الرئيسي لأسلحة البلدين حليفة الأتراك والحامية للنظام السعودي لا تملك نفوذاً أو تأثيراً عليهما وبالذات السعودية.

لاحظت أليسون مياكيم بأن أكبر وأخطر منظمة إرهابية في حينها هي الدولة الإسلامية أو داعش، وهي منظمة تتبع المذهب السني الحنبلي السلفي، وشهد وزير

---

[417] Jeffrey Steinberg and Edward Spannaus, 2013.Saudi Bankrolling of al-Qaeda Well Known to U.S. Government. **EIR Counterintelligence,** September 27.

[418] Carl Huse, 2015. Florida ex-senator pursues claims of Saudi ties to Sept. 11. attacks, **New York Times**, April 13. New York Times, April 13, 2015. http://www.nytimes.com/2015/04/14/world/middleeast/florida-ex-senato...

[419] Ben Norton, 2016. Leaked Hillary Clinton emails show U.S. allies Saudi Arabia and Qatar supported ISIS. **Salon**, October 11.

خارجية أمريكا الأسبق جون كيري بأن هذه المنظمة الإرهابية اقترفت " مذابح جماعية" ضد الشيعة، لكن هذه الحقيقة يهملها الإعلام الأمريكي والغربي الذي يركز على مقتل مسيحيين، وفي اليمن شهدت الكاتبة بأن جماعة "الحوثي" أي أنصار الله هم الأكثر فاعلية في محاربة تنظيم القاعدة في اليمن، لكن الغرب يغضّ النظر عن ذلك، ويساند الموقف السعودي بتصوير القتال في اليمن بأنه صراع بالوسطاء بين السعودية وإيران.[420]

علق روبرت فسك على ادعاء الرئيس الأمريكي السابق ترامب بأن "قيماً مشتركة" تجمع ما بين بلده والسعودية ساخراً: ما هي القيم المشتركة التي تلتقي بها أمريكا مع السعودية الدكتاتورية قاطعة الرؤوس من غير النفط وصفقات الأسلحة؟[421] ولعل هذه "القيم المشتركة " التي بينها فسك هي من دفعت أمريكا ودول الغرب لانتخاب السعودية في عضوية لجنة حقوق الإنسان الأممية.

تدعي الحكومة الأمريكية بأنها بحاجة لمساعدة السعوديين في مكافحة الإرهاب وذلك لما يمتلكون من معلومات قيمة، وأن هذا التعاون منع حدوث عمليات إرهابية، وحتى لو كان هذا الادعاء صحيحاً فإن المعلومات الاستخبارية التي بحوزة السعوديين هي نتيجة كونها المصدر الرئيسي للفكر المحفز على الإرهاب وللإرهابيين عابري الحدود وأكرم الممولين لنشاطهم، ووصف أكسورثي المساعدة السعودية في مكافحة الإرهاب بأنها كمن يضربك بشدة على رجلك ثم يقدم لك ضمادة.[422]

---

[420] Allison Meakem, 2016. It's always Sunni: Patterns of persistent Western anti-Shiite policy in the Middle East. **Brown Political Review**, December 8.

[421] Robert Fisk, Donald Trump's speech to the Muslim world was filled with hypocrisy and condescension. **The Independent,** May 21. http://www.independent.co.uk/voices/donald-trump-saudi-arabia-muslim-speech-a7747856.html.

[422] Michael Axworthy, 2016. Now is a good time for the UK to tell Saudi Arabia some unpalatable truths. **The Guardian,** December 21. https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/dec/21/saudi-arabia-uk-relationship-middle-east-islam-money-truth

خلص الكاتبان شتاينبرج وستانوس أن الحكومة الأمريكية قد خانت شعبها في احجامها عن تحميل السعودية مسؤولية عملية 11 أيلول الإرهابية وتمويلها الإرهاب، وهما مقتنعان بأن لو الحكومة الأمريكية وجهت جهدها لمحاسبة السعودية كما تفعل مع إيران استناداً إلى أدلة أقل بكثير لجنبت العالم الكثير من العمليات الإرهابية الكبرى، ومن الواجب ولو متأخراً قطع الصلات مع السعودية ومقاضاتاها وداعميها البريطانيين بدون هوادة.[423]

[423] Jeffrey Steinberg and Edward Spannaus, 2013. Saudi Bankrolling of al-Qaeda Well Known to U.S. Government. **EIR Counterintelligence,** September 27.

خاتمة

الهدف من هذا الكتاب اختبار فرضية كون النظام السعودي إرهابياً أم لا، ولأن للنظام جذور تمتد إلى أكثر من قرنين ونصف من الزمن كان لزاماً البحث في تاريخه عن مظاهر الإرهاب الفكرية والسلوكية في أحداث ذلك التاريخ الطويل نسبياً، إن وجدت. كان الغزو وما رافقه ونتج عنه من فظائع أحياناً عادة قبلية متأصلة في النظام الاجتماعي الموروث منذ ما قبل الإسلام، ولم تشكل مخالفته الفجّة للشرع الإسلامي عاملاً مثبطاً، بل عدّه العرف القبلي موجباً للتفاخر ووسيلة ضرورية للبقاء، وكان من الممكن في تلك الظروف اعتبار عنف آل سعود متوافقاً مع الأعراف، لولا وجود اختلافات جذرية، فهذا العنف لم يكن وسيلة ضرورية للبقاء وإنما للسيطرة والتسلّط البشري والمناطقي، كما أضفي عليه حلّة شرعية باعتباره جهاداً لا لمصلحة دنيوية بل لتصحيح عقيدة الناس وانتشالهم من هوة الكفر والشرك ليكونوا مسلمين موحدين، فلم يعد الهدف من الغزو نهب أموال وماشية ومتاع فقط بل أيضاً اخضاع البدو والحضر لسلطتين دنيوية ودينية واستلابهم هامشاً واسعاً من الحريات، فالعنف الذي مارسه آل سعود وبمباركة من المذهب الوهابي شمل الدنيا والدين والعقل أيضاً، وكل من وقف في طريقه سُحق بلا رحمة، أو استوعب بعد التخلي عن فرديته، وبقي السيف السعودي-الوهابي مصلتاً فوق الرقاب، رمزياً في العلم، وبأيدي الجلادين في ساحات القصاص، وفي الزنزانات، وحتى القنصلية خارج الحدود، وكذلك في فتاوى التكفير والتحذير من الخروج على أولياء الأمر من آل سعود، وهذا هو جوهر الإرهاب السعودي.

كشف البحث في تاريخ الفترات الأولى من الحكم السعودي عن أمثلة عديدة على وجود إرهاب مكتمل الصفات، والمؤرخون الوهابيون الذين وثقوه تفاخروا به، وليكون شاهداً عليهم من أهلها، فلا حاجة لاستعادة تفاصيل الفترة الأولى من الحكم السعودي، إذ يكفي التذكير بأفعال الحاكم الثالث وما قبل الأخير سعود بن عبد العزيز، الذي أقرّ الوهابيون بقسوته المفرطة. من الأحساء والقطيف في الشرق إلى

الطائف في الغرب، ومن بلاد الشام مروراً بكربلاء والزبير في الشمال حتى عُمان واليمن جنوباً لم تستثني سيوفه العزّل من الرجال والنساء وحتى الأطفال، ولعل أبلغ صورة عن إرهابه صوت اطلاق رصاص بنادق جنده دفعة واحدة عند الفجر وقبل بدء الهجوم على بلدة، لبث الرعب في نفوس سكانها، حتى أن النساء الحوامل تسقط الأجنة من بطونها، فلا ريب في أنه قتل حتى الأجنة، وفرار سكان البلدات قبل وصول قواته لأطرافها لهو أقصى درجات الإرهاب، وقصفت مدافعه المدن فلم تفرق بين مقاتل ومدني، علماً بأن حتى مقاتلي ذلك الزمن كانوا مدنيين اضطروا لحمل السلاح والقتال دفاعاً عن أرواحهم وعوائلهم، كما يلاحظ بأن آل سعود نادراً ما أخذوا أسرى في معاركهم بل كانوا يقتلون كل من وقع بأيديهم أو جُرح أو استسلم. ولم يكتمل الانتقام الإرهابي في حالتي بلدتي حريملاء والعيينة عند القتل بل تعداه إلى الهدم والتدمير، وكان أهون التنكيل قطع الأرزاق من نخيل وزروع ونهب الماشية ليواجه السكان خطر المجاعة.

كانت الفترة الثانية من الحكم الوهابي مضطربة، بسبب الصراعات داخل العائلة على الحكم، وتبدت قسوتهم في استعدادهم لقتل أقاربهم من أجل السلطة، ولكن في السنوات القليلة التي استقر الحكم لهم فيها مارسوا عنفاً يرقى إلى مستوى الإرهاب، وتحدثت تواريخهم عن قسوة ودموية البعض منهم، ومنهم عبد الله بن ثنيان، الذي وصف بأنه سفاك للدماء، فكانوا بحق الحلقة التي وصلت بين إرهاب الفترة الأولى واللاحقة، فما أن بدأت الثالثة حتى استعاد السكان الشعور بالرهبة من الآتي، فكان الإرث الإرهابي للفترتين السابقتين وسيلة فعالة لاستعادة السيطرة والتسلّط.

بدأت الفترة الثالثة من الحكم السعودي بدرجة عالية من العنف وتغذية التطرف الوهابي، واستمرت حتى بعد استيلاء عبد العزيز بن سعود على ما ادعاه بملك أبائه وأجداده، فكانت المحصلة إرهاباً فاق أحياناً إرث أسلافه، فحفلت فترة حكمه بالمجازر الدموية والإعدامات والحصار التجويعي، فكانت الطائف على سبيل المثال مسرحاً لمذبحة أخرى في تاريخهم، واعتمد في تحقيق طموحه التوسعي على الإخوان الوهابيين، الذين استساغت نفوسهم العنف والقتل فأبوا التوقف عن ذلك، وهم

الذين عرفوا بتكفير وقتل كل من لا يتطابق فكره وسلوكه ورداءه مع النموذج الوهابي الموصوف، وقتلوا حتى الرضع الذكور من ذرية مخالفيهم، وتجاوز إرهابهم حدود أراضيهم ليحصد أرواح الألاف من مواطني البلاد المجاورة في الخليج والعراق والأردن واليمن، وسجل الضابط البريطاني جون كلوب المشهد المفجع لرعاة عراقيين فارّين من أمام الوهابيين طلباً للنجاة بأرواحهم تاركين وراءهم كل ما يملكون من متاع الدنيا. وكان مصير من تجرأ على التمرد على سلطة عبد العزيز التوسعية الاستعمارية قطع الرأس والتمثيل به كما هو حال ابن رفادة أو قتلة شنعاء كالتي أنهت حياة عبد الحسين الجمعة.

ورّث عبد العزيز بن سعود الحكم لأبنائه، فساروا على نهجه وسيرة أسلافهم في استعمال العنف والتهديد لترويض رعاياهم على الولاء المطلق، فغرسوا العقائد الوهابية في العقول من خلال المناهج الدراسية ووسائل الاتصال المختلفة، فالوهابي في كنفهم هو الأنقى عقيدة والأقرب إلى خالقهم بين كل المسلمين، وبهذا يكون لآل سعود رعاة الوهابية فضل متميز على أتباعهم المخلصين، وسعوا إلى التسلّط على المسلمين خارج حدودهم، من خلال تصدير مذهبهم الوهابي المكفّر واصطفاء الأتباع وشراء الموالين ومحاولة التأثير في شؤونهم الداخلية وعلاقاتهم الخارجية، وغذت هذه التدخلات الفرقة بين المسلمين وحركت النعرات الطائفية بينهم، ومهدت لنشوء جماعات إرهابية، تتطابق عقائدها المتطرفة مع دعوى الوهابية، ومارست عنفاً مماثلاً للعنف الوهابي في مختلف مراحل الحكم السعودي، وكانت السعودية المصدر الرئيسي لأموال التنظيمات الإرهابية، كما انضم الألاف من السعوديين لهذه التنظيمات، وشاركوا في تنفيذ عمليات إرهابية قتلت الألاف من المدنيين، ولكل هذه الأسباب يتأكد بأن المملكة السعودية دولة إرهابية ومولدة وراعية للإرهاب خارج حدودها.

المصادر

العربية

البكلي، جعفر. 2015م. الحج إلى كعبة...آل سعود؟ **الأخبار**، 23 أيلول. https://www.al-akhbar.com/Opinion/11491/الحج-إلى-كعبة-آل-سعود.

ابن بشر، عثمان بن عبد الله. 1982. **عنوان المجد في تاريخ نجد**. الجزء الأول، الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

ابن بشر، عثمان بن عبد الله. **مخطوط عنوان المجد في تاريخ نجد 1210-1290هـ**. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

ابن عابدين، محمد بن أمين. **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**. الجزء السادس. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع

ابن غنام، حسين. **تاريخ نجد**. دار الشروق.

أبو الاسعاد، محمد. 1996. **السعودية والإخوان المسلمون**. مصر الجديدة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان.

أرمسترونج، هـ. س. **عبد العزيز بن سعود: سيد الجزيرة العربية**، ترجمة يوسف نور عوض. بدون بيانات نشر، نسخة إلكترونية.

أسد ،محمد (ليوبولد فايس). 2010. **الطريق إلى مكة**. ترجمة رفعت السيد علي. بغداد: منشورات الجمل.

البسّام، عبد الله بن محمد. 2000. **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**. الكويت: شركة المختلف للنشر والتوزيع.

البراءة لداعية سعودي عذب طفلته بالضرب والنار حتى الموت،**RT** ، 4 شباط 2013. https://arabic.rt.com/news/606834-
البراءة_لداعية_سعودي_عذب_طفلته_بالضرب_والنار_حتى_الموت/

بن غوريون، ديفيد. **يوميات الحرب 1949-1974**. ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

. "بيع" اللاجئات السوريات للزواج في الأردن، 10 أيار 2013البي بي سي.
https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2013/05/130510_syrian_refugees_sold_for_marriage

تاريخ حمد بن حمد بن لعبون، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن البسّام. خزانة التواريخ النجدية.

حبيب، جون س. 1998. **الإخوان السعوديون في عقدين 1910-1930**. ترجمة صبري محمد حسن. الرياض: دار المريخ للنشر.

الحداد، رشيد 2012. قوات صنعاء تحسم جبهة الجوبة. **الأخبار**، 14 تشرين الأول.

https://www.al-akhbar.com/Yemen/320330/معركة-مأرب-قوات-صنعاء-تحسم-جبه..

الحسن، حمزة جعفر. 1999. **الشيعة في المملكة العربية السعودية**، الجزء الأول. بيروت: دار الساقي.

حنانة، يوسف كمال. 1926. **المسألة الحجازية**. بغداد: مطبعة العراق.

الحنبلي، محمد بن عبد الله النجدي. 1996. **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**. الجزء الأول، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الخطيب، عبد الحميد. 1951. **الإمام العادل عبد الرحمن الفيصل آل سعود**. الجزء الأول، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الخطيب، محمد عوض. **صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث.** قم: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق، مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود للشيخ عثمان بن سند الوائلي البصري، اختصره الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، القاهرة: المطبعة السلفية.، 1952.

الخنيزي، أُبي بن عبد المحسن. 2020. ما بين الملك المؤسس وزعيم القطيف، **موقع الحدث،** 20 أيلول. https://www.alhadath.net/2020/09/20/ #

دحلان، أحمد بن زيني. 1950. **الدرر السنية في الرد على الوهابية،** مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

دحلان، أحمد بن زيني. 2011. **خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام.** إسطنبول: مكتبة الحقيقة.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا. 1995. جمع عبد الرحمن محمد النجدي، الجزء 7، بدون بيانات نشر.

ديكسون، هارولد. 1990. **الكويت وجاراتها،** الجزء الأول، صحارى للطباعة والنشر.

الذكير ، مقبل بن عبد العزيز النجدي. **سوابق العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية،** خزانة التواريخ النجدية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد. 1928**. بيان زغل العلم والطلب ويليه النصيحة الذهبية لابن تيمية.** دمشق : مطبعة التوفيق**.**

رؤوف، عماد عبد السلام. **المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين: السلطة والمتغيرات السياسية والاقتصادية في ضوء تقارير المفوضية العراقية في جدة.** بدون بيانات نشر.

رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية، 1994. تحقيق يوسف شلحد، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

الريحاني، أمين. 1928 . **تاريخ نجد الحديث وملحقاتها.** بيروت: المطبعة العلمية.

الريحاني، أمين. 1987. **ملوك العرب.** الجزء 2، بيروت: دار الجيل.

الزركلي، خير الدين. 1988. **الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز.** بيروت: دار العلم للملايين.

سعود، سيف الإسلام. **قلب من بنقلان.** بيروت: دار الفارابي.

السلمان، محمد عبد الله. 1999. **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية: 1238-1309هـ/ 1823-1891م.** بدون بيانات نشر.

الشطي، محمد جميل. **روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر 1200-1300.** دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.

شوية، وليد https://www.marefa.org/.

الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي المالكي. **حاشية الصاوي [على تفسير الجلالين]،** وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، كتاب إلكتروني

صبحي، أحمد محمود. 1991. **الزيدية.** بيروت: دار النهضة العربية.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير. **إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب.** المكتبة الشاملة.

العاملي، محمد الأمين الحسيني. 1928.**كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب.** دمشق: مطبعة ابن زيدون.

العبودي، محمد بن ناصر. 2010. **معجم أسر بريدة،** الجزء الأول، الرياض: دار الثلوثية للنشر والتوزيع.

العثيمين، محمد بن صالح. 2007. **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، الجزء التاسع عشر. الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

عطار، أحمد عبد الغفور. **صقر الجزيرة**. الجزء السادس. بدون بيانات نشر.

العقيلي، محمد بن أحمد. 1989، **تاريخ المخلاف السليماني**. مطابع الوليد.

الغزالي، محمد. 2005. **الإسلام والاستبداد السياسي**. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الفرزان، متعب بن صالح. 2009. من شيم الملك عبد العزيز كما رواها الرواة ، **الجزيرة**، 13 أيلول. -https://www.al jazirah.com/2009/20090913/wo2.htm نقلاً عن كتاب فهد المارك.

فضل الله، محمد حسين. 2013 .**حياتي: محاولات الاغتيال الّتي تعرّضت لها**، 10 رجب 1434هـ / ٢٠١٣/٥/٢٠ http://arabic.bayynat.org/NewsPage.aspx?id=2081

فلبي، هاري سانت جون. 1421 هـ. **حاج في الجزيرة العربية**. الرياض: مكتبة العبيكان.

القابسي، محي الدين. **المصحف والسيف**. دار الناصر للنشر والتوزيع.

الكليدار، محمد حسن مصطفى. 1969. **مدينة الحسين**. كربلاء: مطبعة أهل البيت.

كورانسي، لويس دو. **الوهابيون: تاريخ ما أهمله التاريخ**. ترجمة مجموعة من الباحثين، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

الماضي، منيب وموسى، سليمان. **تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900-1950**. عمان: مكتبة المحتسب.

مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية - المجلد الثامن والعشرون (العقيدة). رابط المادة: http://iswy.co/e3jq7

مكلوغلن، لزلي 1995. **ابن سعود مؤسس مملكة.** ترجمة د. محمد شيا.

المسلّم، محمد سعيد. **ساحل الذهب الأسود: دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي**. بيروت: دار مكتبة الحياة.

منتديات سبيع العلياء.
http://www.sobe3.com/vb/showthread.php?s=0d324689f58e5723b019e4d6149dc1d6&t=10512

موسيل، ألويس. 2003. **آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية**. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

موقع الحجاز https://www.alhejaz.org/qadaya/030201.htm

موقع مفتي المملكة السعودية عبد العزيز بن باز .

https://binbaz.org.sa/audios/3080/تفسير-قوله-تعالى-فيه-ايات-بينات-مقام-ابراهيم-ومن-دخله-كان-امنا

النقيدان، منصور. **الملوك المحتسبون**. دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث.

نولده، أدوارد. 1997. **الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر**. ترجمة عوض البادي. دار بلاد العرب للنشر.

الهماش، ناصر محمد. **أسد الجزيرة**. بدون بيانات النشر.

هيكل، محمد حسنين. **يا صاحب الجلالة.** القاهرة: كتب قومية.

وهبة، حافظ. 1956. **جزيرة العرب في القرن العشرين**. الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الآفاق العربية.

وهبة، حافظ. **خمسون عاماً في جزيرة العرب**. القاهرة: دار الآفاق العربية.

الأجنبية

Abdul Ahad, Ghaith**.** 2005.Iraq: From here to eternity, **The Guardian**, June 8.

https://www.theguardian.com/world/2005/jun/08/iraq-al-qaid.

Algar, Hamid. 2002. **Wahabism: A Critical Essay**. New York: Islamic Publications International.

Amnesty International, 2008. **Affront to Justice: Death Penalty in Saudi Arabia**. London; Amnesty International Publications.

Asad, Muhammad. 2004.**The Road to Mecca**. New Delhi: Islamic Book Service.

Atiyyah, Hamid S. 1990. The sponsorship and the infringements of the rights of foreign workers in Gulf countries. **Employees Responsibilities and Rights Journal**, Vol. 3, No. 4, 267-276.

Axworthy, Michael. 2016. Now is a good time for the UK to tell Saudi Arabia some unpalatable truths. **The Guardian,** December 21.
https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/dec/21/saudi-arabia-uk-relationship-middle-east-islam-money-truth.

Baer, Robert 2004. **Sleeping with the Devil: How Washington Sold Our Soul for Saudi Crude**. New York: Crown Publishers.

Basrawi, Fadia. 2007**. Arabia's Hidden America**: **A Saudi Woman's Memoirs**. Reading, UK: South Street Press.

Beaumont, P. 2014. Living suicide bomb' rejoins al-Qaida after Saudi deprogramming. **The Guardian**. January 18.

http://www.theguardian.com/world/2014/jan/18/suicide-bomb-al-qaida-saudi-ahmed-alshayea#start-of-comments.

Bey, Ali. 1816. **Travels of Ali Bey in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey, Between the Years 1803 and 1807**, Vol. 2, Philadelphia: John Conrad.

Borger, Julian. 2018. US supplied bomb that killed 40 children on Yemen school bus, **The Guardian**, August 19. https://www.theguardian.com/world/2018/aug/19/us-supplied-bomb-that-killed-40-children-school-bus-yemen

Bowen, Wayne H. 2008. **The History of Saudi Arabia** Westport, Conn.: Greenwood press.

Bradley, John R. 2005**. Saudi Arabia Exposed: Inside a Kingdom in Crisis**. New York: Palgrave Macmillan.

Burckhardt, John Lewis. 1831. **Notes on the Bedouins and the Wahabys**. London: Henry Colburn and Richard Bentley.

Center for Religious Freedom of Hudson Institute With the Institute for Gulf Affairs, 2008. **2008 Update: Saudi Arabia's Curriculum of Intolerance**, Washington, DC: Center for Religious Freedom Hudson Institute.

Chandler, Adam. 2015. Another Saudi airstrike, another wedding in Yemen struck. **The Atlantic**, October 8.

https://www.theatlantic.com/international/archive/2015/10/saudi-airstrike-yemen-wedding-again/409684/

Chayes, Sarah and de Waal Alex. 2016. Start preparing for the collapse of the Saudi Kingdom. **Defense One**, February 16. http://www.defenseone.com/ideas/2016/02/de-waal-and-chayes-saudi-arabia/125953/?oref=search_saudi%20arabia

Commins, David. 2006. **The Wahhabi Mission and Saudi Arabia**. London: I. B. Taurus.

Coogle, **Adam.** 2017. Saudi Arabia's 'war on terror' is now targeting Saudi Shiites. Foreign Policy, August **23**. https://foreignpolicy.com/2017/08/23/saudi-arabias-war-on-terror-is-now-targeting-saudi-shia/

Crooke, Alastair. 2014. Middle East time bomb: The real aim of ISIS Is to replace the Saud family as the new emirs of Arabia.

HUFFPOST, November 2. https://www.huffpost.com/entry/isis-aim-saudi-arabia_b_5748744?saudi-arabia=.

Crooke, Alastair. 2017. You can't understand ISIS If you don't know the history of Wahhabism in Saudi Arabia. **Huffpost**, March 30. https://www.huffpost.com/entry/isis-wahhabism-saudi-arabia_b_5717157.

Doughty, Charles Montagu. 1921.**Travels in Arabia Deserta,** Vol. 2. London: Philip Lee Warner Ltd. and Jonathan Cape.

Elbagir, Nima**,** Abdelaziz, Salma**,** McKenzie**,** Sheena and Munayyer, Waffa**.** 2019. The schoolboys on a field trip in

Yemen were chatting and laughing. Then came the airstrike. **CNN**, February 27. https://edition.cnn.com/2018/08/13/middleeast/yemen-children-school-bus-strike-intl/index.html.

Fisk, Robert. 2017. Donald Trump's speech to the Muslim world was filled with hypocrisy and condescension**. The Independent**, May 12**.** http://www.independent.co.uk/voices/donald-trump-saudi-arabia-muslim-speech-a7747856.html.

Freeman, Colin and Marszal, Andrew. 2015. At least 142 killed in 'Isil' bombings of Yemen Shia mosques," **Telegraph,** March 20. http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/yemen/11485080/Dozens-killed-in-Yemen-Shia-mosque-bombings.html

Gause, F. Gregory III. 2011. **Saudi Arabia in the New Middle East**. New York: Council on Foreign Relations Report No. 63.

Gold, Dore. 2003. **Hatred's Kingdom: How Saudi Arabia Supports the New Global Terrorism.** Washington: Regnery Publishers.

Hassan, Hassan. 2016. **The Sectarianism of the Islamic State: Ideological Roots and Political Context.** Carnegie Endowment for International Peace, June 13.

House of Commons Foreign Affairs Committee. 2013. **The UK's relations with Saudi Arabia and Bahrain. Fifth Report of Session 2013–14**.

Human Rights Watch, 2022. Saudi Arabia: Mass execution of 81 men. **HRW**, March 15. https://www.hrw.org/news/2022/03/15/saudi-arabia-mass-execution-81-men.

Huse, Carl. 2015. Florida ex-senator pursues claims of Saudi ties to Sept. 11. attacks. **New York Times**, April 13. http://www.nytimes.com/2015/04/14/world/middleeast/florida-ex-senato.

Jones, Toby Craig. 2010. **Desert Kingdom: How Oil and Water Forged Modern Saudi Arabia.** Cambridge: Harvard University Press.

Al-Jubeir, Adel interview by Tony Snow, **Fox News Sunday,** FOX, May 18, 2003.

Kechichian, Joseph. A. 2001. **Succession in Saudi Arabia**. New York: Palgrave.

Al-Khamri, Hana. 2019 ،Vision 2030 and poverty in Saudi Arabia. **Al-Jazeera**, December 23. https://www.aljazeera.com/opinions/2019/12/23/vision-2030-and-poverty-in-saudi-arabia.

Kostiner, Joseph. 1993. **The Making of Saudi Arabia, 1916-1936**. New York: Oxford University Press.

Lacey**,** Robert 2009**. Inside the Kingdom: Kings, Clerics, Terrorists, Modernists and the Struggle for Saudi Arabia.** London: Viking.

Lebanon charges Saudi prince with drug smuggling, 2015**. BBC**, November 2. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-34700489.

Leigh, David and Evans, Rob. 2007. The al-Yamamah deal. **The Guardian**, June 7. https://www.theguardian.com/world/2007/jun/07/bae15

Little, Donald P. 1975. Did Ibn Taymiyya have a screw loose? **Studia Islamica**, No. 41, 93-111.

MacAskill, Ewen and Torpey, Paul. 2016. One in three Saudi air raids on Yemen hit civilian sites, data shows, **The Guardian,** September 16. https://www.theguardian.com/world/2016/sep/16/third-of-saudi-airstrikes-on-yemen-have-hit-civilian-sites-data-shows**.**

Matthiesen, Toby. 2014. Sectarianism comes back to bite Saudi Arabia. **The Washington Post**, November 18. https://www.washingtonpost.com/news/monkey-cage/wp/2014/11/18/sectarianism-comes-back-to-bite-saudi-arabia/

Matthiesen, Toby. 2015. The domestic sources of Saudi foreign policy: Islamists and the state in the wake of the Arab Uprisings. Working Paper. Rethinking Political Islam Series. **Brookings Institute**.

McGeary, Johanna. 2003. Confessions of a terrorist. **Time**, August 31.

http://content.time.com/time/magazine/article/0,9171,48022,00.html.

McLoughlin, Leslie. 1993. **Ibn Saud: Founder of a Kingdom**. New York: Palgrave Macmillan.

Meakem, Allison. 2016. It's always Sunni: Patterns of persistent Western anti-Shiite policy in the Middle East. **Brown Political Review**, December 8.

Montgomery, Jack. 2017. Former ambassador to Saudi Arabia says 'Kingdom of Terror' spreading Islamism in Europe. **Breitbart**, February 10.

http://www.breitbart.com/london/2017/02/10/former-ambassador-saudi-arabia-spreading-islamism-europe/

Murawiec, Laurent. 2005. **Princes of Darkness: The Saudi Assault on the West.** Lanham, MD: Rowman & Littlefield.

Al-Nogaidan, Mansour. 2003. Telling the truth, facing the whip. **The New York Times**. November 28. https://www.nytimes.com/2003/11/28/opinion/telling-the-truth-facing-the-whip.html.

Norton, Ben. 2016. Leaked Hillary Clinton emails show U.S. allies Saudi Arabia and Qatar supported ISIS. **Salon**, October 11.

https://www.salon.com/2016/10/11/leaked-hillary-clinton-emails-show-u-s-allies-saudi-arabia-and-qatar-supported-isis/

Oppel, Richard A. Jr. 2007.Foreign fighters in Iraq are tied to U.S. Allies. **The New York Times**, November 22.

https://www.nytimes.com/2007/11/22/world/middleeast/22fighters.html.

Parker, Ned. 2007. The conflict in Iraq: Saudi role in insurgency, **Los Angeles Times**, July 15.

Peake, Frederick Gerard. 1934. **A History of Jordan and Its Tribes**, vol. 2. Amman, Jordan:Typewritten manuscript.

https://archive.org/details/McGillLibrary-rbsc_isl_history-trans-jordan-tribes_DS1544B551934_vol1-5254.

Peterson, J. E. 2003. **Historical Dictionary of Saudi Arabia**. Lanham, Maryland: Scarecrow Press

Philby, H.ST. John. 1955. **Sa'udi Arabia**. London: Ernest Benn Limited.

Plain, Bob. 2016. Human Rights Watch condemns use of Textron-made cluster bombs**. Human Rights Watch,** February 24.

Posner, Gerald. 2003. **Why America Slept: The Failure to Prevent 9/11**. New York: Random House.

Posner, Gerald. 2007. The CIA's destroyed interrogation tapes and the Saudi-Pakistani 9/11 Connection, **Huffpost**, December 7. ; https://www.huffpost.com/entry/the-cias-destroyed-interr_b_75850Q

Quaiti, Nabeel. 2016**.** Saudi-led coalition airstrike hits Yemen funeral, killing over 140 people. **CNBC**, October 9.

https://www.cnbc.com/2016/10/08/saudi-led-coalition-airstrike-hits-yemen-funeral-more-than-140-killed.html

Riedel, Bruce. 2016. Is selling tanks to Saudi Arabia such a good idea. **The National Interest**, August 11. http://nationalinterest.org/print/feature/selling-tanks-saudi-arabia-such-go.

Sampson, William. 2021.Confessions of an innocent man: Torture and survival in a Saudi prison. **Quill and Quire**, 3/11/2021. https://quillandquire.com/review/confessions-of-an-innocent-man-torture-and-survival-in-a-saudi-prison/

Satellite images show scale of devastation inside Saudi town under siege from its own government. 2017. **The Independent,** August 9**.** https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/saudi-arabia-siege-town-awamiyah-qatif-shia-nimr-al-nimr-al-musawara-a7882266.html

Saudi Arabia executes 81 men in 24 hours. 2022. **The Guardian**, March 12. https://www.theguardian.com/world/2022/mar/12/saudi-arabia-executes-men-in-one-day.

Schulberg, Jessica and Ahmed, Akbar Shahid. 2016. Senator wonders how Much longer U.S. will blindly support Saudi Arabia, **Huffpost Politics**, January 29. https://www.huffpost.com/entry/chris-murphy-us-saudi-arabia-relationship_n_56aba630e4b0010e80

Schwartz, Stephen. 2002. **The Two Faces of Islam: The House of Saud from Tradition to Terror.** New York: Doubleday.

Sciolino, Elaine. 1987. Mecca tragedy: Chain of events begin to emerge, **The New York Times**, September 6. https://www.nytimes.com/1987/09/06/world/mecca-tragedy-chain-of-events-begins-to-emerge.html

Siegel, Alexandra. 2015. **Sectarian Twitter Wars: Sunni-Shia Conflict and Cooperation in the Digital Age**. Carnegie Endowment for International Peace, December 20.

Steinberg, Jeffrey and Spannaus, Edward. 2013. Saudi Bankrolling of al-Qaeda Well Known to U.S. Government. **EIR Counterintelligence,** September 27.

Testimony of David D. Aufhauser General Counsel U.S. Department of the Treasury Before the Senate Judiciary Committee Washington, D.C. November 20, 2002, https://home.treasury.gov/news/press-releases/po3639

Troeller, Gary. 1976.**The Birth of Saudi Arabia: Britain and the Rise of the House of Sa'ud**. New York: Routledge.

Tyler, Patrick E. 1989.Saudis Behead 16 Kuwaitis for Bombings. **The Washington Post**, September 22. https://www.washingtonpost.com/archive/politics/1989/09/22/saudis-behead-16-kuwaitis-for-bombings/ea9c9a68-6646-473f-be53-5e5f574b8883/.

U.S. State Senate Committee on Homeland Security & Governmental Affairs. **Lieberman Questions Why Progress to**

Stem Flow of Money To Terror Groups Has Not Been More Successful, June 15, 2004. https://www.hsgac.senate.gov/media/majority-media/lieberman-questions-why-progress-to-stem-flow-of-money-to-terror-groups-has-not-been-more-successful.

Vassiliev, Alexei. 2000. **The History of Saudi Arabia**. New York: New York University Press.

Wagner, Heather Lehr. 2004. **Gertrude Bell: Explorer of the Middle East.** Philadelphia: Chelsea House Publisher.

Warren, Roger Patrick. 2017. **Forged in the Crucible of Defensive Jihad: Arab Foreign Fighters and their Trajectory to Involvement in Islamist Terrorism.** A Thesis Submitted for the Degree of PhD at the University of St Andrews, Scotland, UK.

Webster's Collegiate Dictionary.

Williams, Kenneth. 1933. **Ibn Saúd the Puritan King of Arabia**. London: Jonathan Cape.

Winsor, Curtin Jr. 2007. Saudi Arabia, Wahhabism and the spread of Sunni theofascism. **Mideast Monitor** , Vol.2, No. 1. http://www.mideastmonitor.org/issues/0705/0705_2.htm

Woodward, Bob 1987. **Veil: The Secret Wars of the CIA: 1981-1987**. New York: Simon &Schuster Paperbacks.

Wright, Lawrence, 2007.**The Looming Tower: Al-Qaeda and the Road to 9/11.** New York: Knopf.

Written Testimony of David D. Aufhauser, General Counsel Before the Committee on Banking, Housing and Urban Affairs United States Senate, September 25, 2003, https://home.treasury.gov/news/press-releases/js760.

Wynbrandt, James. 2004. **A Brief History of Saudi Arabia**. New York: Facts On File Inc.

Yemen conflict: Al-Qaeda seen at coalition battle for Taiz. 2016. **BBC**. February 22.

https://www.bbc.com/news/world-middle-east-35630194.

Zuhur, Sherifa. 2011. **Saudi Arabia**. Santa Barbara, California: ABC- CLIO.

Zwemer, S.M. 1900. **Arabia The Cradle of Islam**. New York: Fleming H. Revell Company.